

Princeton University Library



32101 074320738

P₇

التعابير القرآنية والبيئة العربية
في مشاهد القيامة

al-Saffār, Ibtisām Marhūm

al-Ta'ābir al-Qur'āniyah

التعابير القرآنية والبيئ العربية

فمَشَاهِدُ الْقِيَامَةِ

تأليف
ابتسام رهون الصفار

2274
.7958
.389

الطبعة الاولى

مطبعة الاداب في النجف الاشرف

١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

لقد كان القرآن الكريم - معجزة الرسول العربي الدينية - حدثا عظيما في حياة العرب احدث انقلابا في حياتهم السياسية والفكرية والادبية ذلك لان اللغة العربية كانت في أوج ازدهارها ، وتقدمها فجاء القرآن الكريم في بلاغته وبيانه ممثلا لها . واثار اسلوبه البياني دهشة العرب فسرعان ما آمنت به نفوس بعضهم ، واطمأنت لما فيه من احكام وتعاليم ، وضلت الاخرى عن الهدى ولكن الاسلوب القرآني خلب الباطن ، واثار دهشتها فقالت (ان هذا لاسحر يؤثر) سورة المدثر ٧٤ : ٢٤ وأراد الله سبحانه وتعالى ان يثبت نبوة محمد (ص) فلم يختار الا الاسلوب القرآني يتحدى به العرب ان يأتوا بسورة من مثله (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا - ولن تفعلوا - فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين) سورة البقرة ٢ : ٢٣ - ٢٤ . واجتمع جبابرة قريش وفضاحلها ولكن بغير جدوى لان الايات الكريمة تسير باسلوب خاص يسحر الالباب وقصة ايمان عمر بن الخطاب لمجرد سماعه آيات من الذكر الحكيم مشهورة تذكرنا بالتأثير العظيم الذي كان القرآن الكريم يتركه في نفوس سامعيه مسلمين ومشركين . ومن هنا أكد القرآن الكريم ضرورة سماع المشركين للايات الكريمة لانهم ان سمعوا لابد ان يتأثروا باسلوبها الرائع (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) سورة

9-11-68
1943

التوبة ٩ : ٦ . ولنا ان نتساءل هل يستطيع القارئ العربي في هذا العصر ان يفهم الايات الكريمة كما فهمها العرب ايام نزولها ؟ مما لاشك فيه ان القرآن الكريم خالد معجز بروعة اسلوبه ، وجماله البياني الا ان القارئ العربي اليوم يقرأ الايات الكريمة فيعجب بها ، ويفهم المعنى العام الذي توحيه حتى اذا تعمق في فهم الايات الكريمة وجد فيها معانٍ لم يفهمها من قبل ، وروعة لايلحقها اسلوب آخر فيتململه باعجاب لايستطيع معه إلا أن يقر الاقدمين على اعجازه وروعته .

ان فهم القرآن بدراسة دلالة الفاظه تقربنا من الصورة التي فهمها العرب ، ذلك لان الله سبحانه وتعالى انزل القرآن بلغة العرب ، واساليبهم الكلامية . ومن هنا تفيدنا دراسة دلالة التعابير القرآنية على فهم الاعجاز الذي ترسمه الآيات الكريمة المختلفة ، وهي دراسة تفتقر اليها المكتبة العربية - خاصة الحديثة - التي صبت اكثر اهتمامها على الادب والشعر ناسية القرآن الذي يمثل روعة العربية في سحرها وبيانها .

ودراسة البيئة امر مفيد ، لان لها اهمية عظيمة في توجيه تفكير الانسان وتطوير لغته ذلك لان الانسان ابن بيئته فيها يعيش ، وعليها تنمو لغته واساليبه في الحياة . ومع ان الاقدمين لم يولوا دراسة البيئة اهمية كبيرة الا اننا لانعدم اشارات لطيفة اوردها الجاحظ مبينا اهمية البيئة في خلق الانسان وعاداته ، وتبعه في هذا آخرون كابن رسته والقزويني وابن خلدون وغيرهم ممن نهج منهج الجاحظ ، الا أن هذه كلها كانت اشارات تعطينا بداية لمثل هذا البحث الطريف .

اما دراسة التعابير القرآنية على ضوء البيئة العربية فمنهج تفتقر اليه الدراسات القرآنية ايضا ، ذلك لان المفسرين اتجهوا كل الى وجهة خاصة في تفسير القرآن الكريم فمنهم من اولى غريب القرآن اهتمامه كأبي عبيدة

والسجستاني ، وابن قتيبة ، ومنهم من شابت تفسيره اخبار أهل الكتاب وما يسمى بالاسرائيليات كقنابل بن سليمان مثلاً ، ومنهم من صب اهتمامه على الناحية الفقهاء والمذهبية كالتستري ، و فرات الكوفي مثلاً ومنهم من اعتمد على نقل الروايات في التفسير كالطبري والطوسي . واخيراً هناك من وجه اهتمامه ليدافع عن فكرة التزمها كالزخشري في تفسيره حين ضمنه تأكيداً على مذهب الاعتزال الى جانب اهتمامه بالاسلوب البياني حين حاول ان يبين اوجه الحجاز الذي استعملت فيه الكلمة ثم ما يعكسه هذا الحجاز في بعض الاحيان من دلالة على البيئية والذوق العربي كما ستراه في بحثه عن الزرقة .

أما المعاجم اللغوية فقد رتبت فيها الالفاظ ترتيباً ابجدياً ، واهمها فيها التدرج التاريخي لتطور دلالة الكلمة . ومن هنا كان بحثي قياساً الى تفاسير الاقدمين دراسة جديدة لفهم التعابير القرآنية ودلالة الالفاظ . إلا ان هذا لايعني انعدام الاشارة الى هذا المنهج عند الاقدمين فقد حاول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة ان يضع اصلاً واحداً او اصلين لكل كلمة تدور حوله جميع مشتقاتها مع تطور معانيها ، إلا انه يختلف عن منهجنا في هذه الرسالة في انه يضع الاستعمال المعنوي للكلمة اصلاً لها فيبتعد بذلك عن البيئية التي يشترط ان تبدأ فيها دلالة الالفاظ الحسية ومنها تتطور الى المجازية والمغنوية . كما نجد في كتاب الزينة للرازي محاولة جديدة في هذا الباب لدراسة الالفاظ الاسلامية ، وتتبع معانيها الاصلية إلا انه ما ان يسير شوطاً على هذا المنهج حتى ينحو في بحثه نهج معاصره فيتحول بحثه الى دراسة عن الفرق ، والمذاهب الاسلامية مبتعداً عن المنهج الذي سار عليه في اول كتابه . ونجد مثل هذا بصورة اوضح عند الشريف الرضي في شرحه لمجازات القرآن الكريم والحديث النبوي ، والشريف المرتضى في اماليه حين بين اوجه الحجاز وعاد بنا الى الاصل الحسي لبعض المجازات ،

ولكنها ايضا اشارات محدودة ، وليست منهجا معيناً بذاته .

كل هذه الطرف التي وجدناها عند الاقدمين ألفت ضوءاً كاشفاً رسم لي معالم هذا البحث واخذ بيدي للسير في خضم التعابير القرآنية ، وما توحيه من الصور الرائعة العديدة . وقد وجدت في دراسة بعض المحدثين عوناً لي في هذا البحث كان اولها محاضرات النقد الادبي التي القاها علينا استاذي الدكتور جميل سعيد والتي وجهنا فيها الى دراسة البيئة والذوق العربي قبل دراسة النص الادبي مما اعاننا على تذوق النصوص الادبية وفهمها فهما بيانياً . ثم محاضرات فقه اللغة التي وجهنا فيها الاستاذ الدكتور ابراهيم السامرائي لدراسة اللفظة دراسة موضوعية ترتب فيها معانيها ترتيباً تأريخياً ابتداء من اصولها الحسية الى المجازية . وفي الجمع بين هذين التوجيهين بدأ اعجابي بمثل هذه الدراسة القيمة . ثم كانت محاضرات السنة التحضيرية (البيئة الصحراوية وأثرها في الادب الجاهلي) لاستاذي الدكتور جميل سعيد فاتحة جديدة لبحث تطبيقي لاهمية البيئة على الادب واللغة بصورة عامة كان يؤكد لنا فيها ضرورة تطبيق هذا المنهج على نص القرآن الكريم مما وجهني الى كتابة بحث صغير في موضوع الجنة والنار فتح امامي ابواباً واسعة لهذا البحث الطريف وعلق نفسي بدراسة القرآن الكريم . ومن هنا كانت فكرة الرسالة وتوسيع ذلك البحث الصغير الى بحث دقيق موجه .

اما دراسة القرآن الكريم على ضوء البيئة العربية فأول ما وجدته في مقال قيم نشرته مجلة الهيئة المغربية بعنوان البيئة العربية في القرآن الكريم للاستاذ الدكتور ابراهيم السامرائي عرض فيه صوراً رائعة من البيئة العربية متجلية في مشاهد عديدة من القرآن الكريم مما القى ضوءاً جديداً على منهجي في هذا البحث . ومن كتبوا في هذا الموضوع الدكتور بنت الشاطيء في كتابها (التفسير البياني للقرآن الكريم) الذي حاولت فيه دراسة الاسلوب

القرآني بما يوحية من صور بياضه مبتعدة في ذلك عن الشروح اللغوية واستطراد المفسرين وبحثها هذا يختلف عن منهجي في الرسالة في انها اكتفت بفهم المعاني المتعددة التي يوحياها اللفظ على حين حاولت ان اضيف الى هذا دراسة البيئة العربية ، وابرز صورها بما وصلنا من نصوص شعرية تجلي لنا موحيات التعابير القرآنية اكثر فأكثر. يضاف الى هذا ان كتابها مقدمة لتفسير بياني خصت به بعض السور القصار دون غيرها من الآيات ولكنه بحث قيم في توجيه دراسة القرآن الكريم دراسة بيانية . اما كتاب مشاهد القيامة في القرآن الكريم لسيد قطب فانه يختلف تماماً عن منهجي في هذا البحث الا انني استفدت من اسلوب الكاتب الرائع في عرض الآيات الكريمة عرضاً ادبياً في كل صورة تخص يوم القيامة .

وقد خصصت مشاهد القيامة بهذه الدراسة لانها تشكل لنا سلسلة من المشاهد المتتابعة تبدأ منذ اللحظة الاولى التي يحدد فيها يوم القيامة الى الخلود الابدي ، وانطلاقاً من هذه الفكرة كان منهجي في تقسيم اصول الرسالة . فكل فصل منها يمثل مشهداً كاملاً متعدد الجوانب ، والصور لا يمكن ان نقدمه على فصل آخر ذلك لان مجموع الفصول تمثل مجموع الاحداث التي تجرى يوم القيامة . هذه الاحداث تتتابع فتشكل لنا صوراً كاملة لمشاهد القيامة .

فأول مشاهد القيامة نجده في الفصل الاول : النفير (بعث الناس من القبور) وقد صور بعدة تعابير قسمتها الى ثلاثة مجاميع : الصور والناقور وتشكلان الصورة الاولى التي يكون النفير فيها بواسطة آلة ينفخ فيها . اما المجموعة الثانية فيمثلها تعبير الداعي والمنادي اما المجموعة الثالثة فهي التي تمثلها الزجرة والصيحة اللتان تصوران النفير بانه يكون بواسطة صوت مفرع دون تحديده بالآلة او شخص . وقد حاولت تتبع ايجاعات كل تعبير ، ثم

دلالتها بمجموعها على النفير المفزع الذي يبعث الناس من قبورهم .
اما الفصل الثاني ففيه تصوير للظواهر الكونية ، والاضطرابات التي
تحدث يوم القيامة وقد حاولت ان استشف من مجموع هذه الظواهر
الرهيبة بعض جوانب البيئة العربية ، وكيف ان العرب استطاعوا ان يتصوروا
اضطراب السموات والارض يوم القيامة بما عرفوه في بيئتهم من ظواهر
طبيعية ، رسخت صورها في اذهانهم .

وفي هذا الخضم المضطرب للسموات والارض تبدأ صور اخرى نجدها
في الفصل الثالث : صفة الناس يوم القيامة ، حيث يبعثون من قبورهم
فتفزع نفوس الكافرين ويسرعون على غير هدى وقد شاملهم اليأس ،
وذلت نفوسهم . اما صورة المؤمنين فانها تنساب بهدوء رائع غير مبالغ
بالمفزع الذي يشمل الكون كله .

وبعد ان تكتمل صور الاضطراب المفزع يبدأ مشهد آخر وهو الذي
بحثته في الفصل الرابع : (القضاء بين الناس) حيث يقف الناس امام
قضاء عادل سوي لانشوبه شائبة من الباطل وقد نفت الآيات الكريمه
وجود القيم الجاهلية التي سادت المجتمع العربي فاضاعت الحق ، فلا شفاعة
ولا فداء ، ولا اي وسيلة من الوسائل التي كان العرب يتخلصون بواسطتها
من العقاب . وقد صورت دقة الحساب بصور حسية وثيقة الصلة بالبيئة
العربية ، تلك التي عرفها العربي في الموازنة والمعادلة بين الاشياء المادية .
وكذا الامر في نتيجة الحساب وما يعكسه من صور البيئة العربية :

اما الفصل الخامس فانه يمثل المشهد الذي يتبع القضاء حيث يعاقب
المجرمون . وقد صور بعدة تعابير لها دلالتها الوثيقة الصلة بالبيئة العربية ،
وتنداعى فيها الايحاءات في كل تعبير يرسم لنا صورة النار ، او تسميتها
اولهيبها ، أو في صفة شراب اهل النار والعطش الدائم الذي يعانونه وما

ينقله من صور العطش المصني الذي عاناه العربي في الصحراء الشحيحة بالماء وأخيراً الفصل السادس ، الثواب بالجنة ، وقد حاولت فيه ان استشف بعض جوانب البيئة العربية . فالخضرة الدائمة ، والاشجار المتنوعة نستشف منها صوراً رائعة تعكس لنا اهمية الخضرة المحيية الى نفس العربي وانهار الجنة ومياهها الوفيرة تعكس لنا اهمية الماء في البيئة الصحراوية والصورة الجميلة التي يرسمها في الذهن العربي . ثم اهمية اللبن والعسل والخمر وما تعكسه هذه الصور من ملامح البيئة العربية .

أما مراجعي فقد تنوعت بتعدد المواضيع التي طرقتها في هذا البحث فاضطرت الى مراجعة كتب الادب العامة استشف منها لمحات عن الذوق العربي والبيئة العربية ثم التفاسير القرآنية ، وما يتعلق بالقرآن والفقهاء من دراسات في هذا الباب والمعاجم اللغوية لأتبع فيها معاني الكلمة ودلالاتها وبعض الكتب الجغرافية لاجد فيها ملامح البيئة العربية . وقد اعتمدت على الدواوين الشعرية استشف منها صور البيئة العربية التي خلدها الشعراء . وقد حاولت ان اجد نسبة للابيات ، ولكن هناك ابياناً تمثل بها المفسرون انفسهم دون نسبتها الى قائلها فهي بين امرين اما انها كانت معروفة في زمانهم فاستغنوا عن ذكر قائلها ، واما انها لشاعر مجهول تمثلوا باشعاره فسرت على هذا المنهج ولم اکتف بالشعر الجاهلي بل جاوزه الى الاسلامي والاموي لأن منهج الشعراء لم يتبدل الا قليلاً ثم انني وجدت المفسرين يتمثلون باشعار هؤلاء عند شرحهم لآيات القرآن الكريم كأبن عباس ، والطبري ، والرخشي وامل اكثر من وجه اهتمامه للاستفادة من النصوص الشعرية في فهم التعابير القرآنية هو ابن عباس حين سأله نافع بن الازرق بعض المسائل المتعلقة بالقرآن الكريم فكان يتمثل بشواهد شعرية ليؤكد لنافع ان العرب كانت تعرف هذا المعنى . اما الحديث النبوي الشريف فلم اعتمد عليه اعتماداً كلياً إلا

في التعابير التي تعاضدت على فهم مغايبها كتب اللغة ، والتفاسير ، وايدتها
نصوص الشعر لان المحدثين جوزوا رواية الحديث النبوي بمعناه .
وقد خصصت بالبحث التعابير التي لها دلالة على البيئة العربية ،
واهملت فيها التعابير الاعجمية والعربية التي ليس لها دلالة واضحة على
البيئة العربية .

وهذا البحث كتبته في فصول متتالية كان استاذي المشرف الدكتور
جميل سعيد يتابعني فيها فقرة فقرة ، ويوجهني الى النواحي الادبية وكان
يرى ان كثرة الشواهد الشعرية تضيع ملامح الصورة الفنية لذا اكتفيت
بشاهد او شاهدين مع الاشارة الى الشواهد الاخرى في هامش البحث .
واخيرا ارجو ان اكون قد وفقت في هذا البحث ، وعرضت جانبا
من جوانب القرآن الكريم الذي لم ينل حظه من الدراسة والبحث الدقيق
والله ولي التوفيق :

ولا يسعني وانا اقدم الرسالة بين يدي القارئ الكريم إلا ان اتقدم
بجزيل شكري وامتناني للاستاذ المشرف الدكتور جميل سعيد لتشجيعه المتواصل
وتوجيهاته القيمة واشكر كلاً من الاستاذ الدكتور مصطفى جواد والدكتور
ابراهيم السامرائي والدكتور حسين نصار لما أبدوه من مساعدة خلال بحثي
كما اتقدم بجزيل شكري الى كل من اعانني على اخراج هذه الرسالة وانخص
منهم الاختين نبيله وادبية في مكتبة معهد الدراسات الاسلامية العليا والاخت
آمال قاسم في كلية الاداب :

الفصل الأول

النفير (بعث الناس من القبور)

١ - وسائل النفير :

- أ - الصور والناقور
- ب - الداعي والمنادي
- ج - الصيحة والزجرة

٢ - مدة النفير :

١ - وسائل النفير

ان اول مشاهد القيامة في القرآن الكريم هو مشهد النفير المفزع الذي يثير الناس الى البعث ، ويحشرهم من قبورهم الى ساحة الحساب ، والقضاء .

ومشهد النفير هذا صورته عدة تعابير كل منها يوحى بصورة خاصة من صور النفير ، حتى اذا اجتمعت هذه الصور المتعددة تشكلت في الذهن صورة جامعة حية متحركة لمشاهد النفير ، والبعث .

أ - الصُّور والناقور

أما الصورة الأولى في رسمها تعبيران هما الصُّور والناقور . والصُّور هو الذي يحدد يوم القيامة . قال الله سبحانه وتعالى : (وَجاءت سَكْرَةٌ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ .) (١) وقد صورت الآيات الكريمة الصدى البعيد الذي يحدثه نفخ الصُّور ، وذلك انه يُنْفِزُ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : (وَبِوَجْهِ يُنْفِخُ فِي الصُّورِ فَتَمِزَعُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ) (٢) ومع الفزع الذي يوقظ الناس فأنهم يُزْعَجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ وَيُهْرَعُونَ أَفْوَاجًا إِذْ لَاءِ لَتَلْبِيةِ صَوْتِ النَّفِيرِ الْمَفْزَعِ : (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا؟ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) (٣)

(١) سورة ق ٥٠ : ١٩ - ٢٠ ،

(٢) سورة النمل ٢٧ : ٨٧ ،

(٣) سورة يس ٣٦ : ٥٠ - ٥٢ ،

وقال تعالى أيضاً : (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً) (١)
(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَا لَهُمْ جَمْعاً) (٢)

وقد اختلف المفسرون في تفسير معنى الصور . قال ابو عبيدة (يقال انها جمع صورة تُنْفَخُ فيها رُوحها فتحيا) (٣) فابو عبيدة هنا لم يفسر الصور على انه آلة ينفخ فيها للتنبيه والنفير وانما هي عنده جمع صورة فكان الأرواح البشرية تعود الى الحياة في اجسامها اذا نفخ فيها وتؤيد رأي أبي عبيدة قراءة الحسن البصري (يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) (٤) .

أما التفسير الثاني وهو الذي عليه معظم المفسرين فهو قولهم ان الصور قرن يُنْفَخُ فيه (٥) ورفع هذا التفسير الى النبي (ص) حين سئل عنه (٦) كما روي عنه (ص) في حديثه عن الدجال (٧) وانه يقول حين يتمثل لهم : (الا تستجيبيون ؟ فيأمرهم بالاوئان فيعبدونها ، وهم في ذلك دارّة ارزاقهم ، حسن عيشتهم ، ثم يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ، فلا يسمعه

(١) سورة النبأ : ٧٨ : ١٨ .

(٢) سورة الكهف : ١٨ - ١٠٠ .

(٣) مجاز القرآن ١ : ١٩٦ ، جامع البيان ٧ : ٢٤١ ، وانظر ايضا قول الخليل

في العين الورقة (١٩٨) ،

(٤) الصحاح ٢٩ : ٧١٦ .

(٥) جامع البيان ٧ : ١٤١ التبيان ٧ : ١٨٧ .

(٦) جامع البيان ٧ : ٢٤١ .

(٧) الدجال : المموه يقال انه رجل من يهود ، يخرج في آخر ايام هذه الامة

سمي بذلك لأنه يدجل الحق بالباطل ، وقيل بل لانه يغطي الارض بكثرة جموعه

وقيل لانه يدعي الربوبية ، انظر لسان العرب ١٣ : ٢٥١ .

احد الا اصغى له ، وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه ، فيصعق ، ثم لا يبقى احد الا صعق (١) . وهذا الحديث يرسم لنا الصور ، وكيف انه اذا نُفخَ فيه سبب صوتا قويا مفرعا يصعق من يسمعه . وفي وصفه (ص) لصاحب الصور قال : (كيف أنعمُ وصاحبُ الصُّورِ قد التقم الصُّورَ ، وحنى جبهته ، واصغى سمعه ، ينتظر متى يُؤمر (٢) وفي رواية أخرى (قد التقم القرن) (٣) وهذا الاختلاف في الرواية يؤيد تفسير الصُّور بالقرن ! لانه يدلنا على انهما تعبيران لهما نفس الدلالة في الذهن العربي ، وقد ذكر هذا المبارك ابن الأثير حين رجح معنى القرن بقوله (والصحيح الأول لأن الأحاديث تعاضدت عليه تارة بالصور ، وتارة بالقرن) (٤) ثم إن وصف صاحب الصور في الحديث النبوي الشريف يمثل لنا صورة شخص قد وضع آلة النفخ في فمه وحنى جبهته وأصاخ سمعه ، ينتظر الأمر بالنفخ في آله تماماً كما ينفخ في بوق مثلاً .

اما اللغويون فقد ذهب معظمهم الى تفسير الصُّور بالقرن (٥) . وناقش بعضهم كون الصور جمع صورة . قال الفراء : (كل جمع على لفظ الواحد الذكر سبق جمعُه واحدته ، فواحدته بزيادة هاء فيه ، وذلك مثل الصوف والوبر ، والشعر ، والقُطن ، والبعشب ، فكل واحدة من

(١) مسند الامام احمد ٢ : ١٦٦

(٢) ن . م . ٣٠ : ٧٣

(٣) جامع البيان ٢٩ : ١٥١ التبيان ٧ : ١٨٧

(٤) النهاية في غريب الحديث ٣ : ٥

(٥) جمهرة اللغة ٢ : ٣٣٨ ، الصحاح ٢ : ٧١٦ ، لسان العرب ٦

١٤٦ ، تاج العروس ٣ : ٣٤٣ ، وكذا فسرهما ياقوت في شرحه لمادة

صور انظر معجم البلدان ٣ : ٤٣٣ ، وانظر

هذه الأسماء اسم لجميع جنسه فإذا أفردت واحده زيدت فيه هاء لأن جمع هذا الباب سبق واحده ، ولو ان الصوفية ، كانت سابقة الصوف لقالوا صوفية وصوف وبسرة وبسرة كما قالوا غرقة وغرف ، وزلفة زائف . اما الصور القرن فهو واحد لا يجوز ان يقال واحده صورة ، وانما تجمع صورة الانسان صوراً ، لأن واحده سبقت جمعه (١) . وقال ابو الهيثم (٢) مناقشاً أبا عبيدة متهمه بقلة معرفته باللغة ، والغريب قال (ولا نعلم احداً من القراء قرأها فأحسن صوركم وكذلك قال ونفخ في الصور ، فمن قرأ ونفخ في الصور او قرأ فأحسن صوركم فقد افترى الكذب وبدل كتاب الله ، وكان ابو عبيدة صاحب اخبار ، وغريب ولم يكن له معرفة بالنحو) (٣) ، ولكن ابا عبيدة ليس وحده القائل بهذا الرأي فقد مرت بنا آنفاً قراءة الحسن البصري والتي فيها تأييد لما قاله بعده ابو عبيدة (٤) .

ويضاف الى الأدلة التي تعاضدت على تفسير الصور بالقرن ان البيئة العربية تعضدنا في هذا التفسير ، ذلك لأن القرون مما توفر في حياة العرب ولا بد أنهم استغلوا وفرتها في الاستفادة منها في بعض شؤون حياتهم ، من ذلك اتخاذهم القرن آلة في اتمام حياكة الثياب ، وهي تلك التي يسمونها بالصيصية . قال ابن دريد ، (صيصية الحائك : الشوكة التي يمدّها على الثوب وازشد لدريد بن الصمة : (٥)

- Arabic English Lexicon , Book I, Part 4, P. 1744 .

(١) لسان العرب ٦ : ١٤٦

(٢) لم اعثر على ترجمته

(٣) لسان العرب ٦ : ١٤٦ وانظر ايضا قول ابى علي في المخصص ١ : ٥٣

(٤) انظر ص : ١٦

(٥) دريد بن الصمة الجشمي شاعر جاهلي قيل عمر مائتي سنة ، حتى سقط -

فَجِئْتُ اليه والرماحُ تَنُوشُهُ كوقعِ الصيِّاصي في النسيجِ المُمدِّدِ
واصل الصيصية القرن (١) واستعمل القرن كذلك لقلع التمر ،
واطلق عليه ايضاً اسم الصيصية (٢) ، وهناك مجال آخر استعملت فيه
القرون ، وذلك انها تركب في الرماح مكان الأسنان كما يقول الجوهري (٣)
وربما كان هذا الاستعمال اكثر من غيره نظراً لاهمية الرماح والسلاح في
البيئة العربية الحربية .

وكل هذا يدلنا على اهمية القرون في البيئة العربية ، ويقرب لنا
معنى الصُّور وكونه البوق الذي يُصنَعُ من القرن . الا اننا نفتقر في
هذا الباب الى الشواهد الشعرية ، وذلك لانه لم يرد فيما وصل الينا من
الشعر الجاهلي ذكر للصُّور الا الشاهد الذي أورده الجوهري وهو :
لقد نَطَحْنَاهُمْ غَدَاةَ الجمعين نَطْحاً شديداً لاكنطحِ الصورين (٤)
ولا يمكن الاعتماد على هذا الشاهد ، لانه لم ينسب الى قائله ، ولم
يقبل الجوهري ان مفرد الصورين هو نفس الصُّور الذي ينفخ فيه يوم
القيامة :

وهناك لفظة عبرية الاصل ، تقارب معنى الصور ودلالته ، تلك هي
كلمة الشَّبُور التي تعني البوق وهي في الاصل شوفار : وكان يستعمل في
— حاجباه على عينيه وادرك الاسلام ولم يسلم ، وقتل يوم حنين كافراً . انظر
المعمرون : ٢٧ المؤلف والمختلف : ١٦٣ .

(١) الصحاح ٣ : ١٠٤٤ ، وانظر ايضاً غريب الحديث : ٨٤ ، المخصص ١٢

٢٦ ، لسان العرب ٨ : ٣١٨

(٢) لسان العرب ٨ : ٣١٩

(٣) الصحاح ٣ : ١٠٤٤ ، وانظر ايضاً لسان العرب ٨ : ٣١٨

(٤) الصحاح ٣ : ١٠٤٤

الاعیاد الكبرى كراس السنة ، والعيد الاكبر عيد الصيام (١) ، وأول من اشار الى اصلها العبري - فيما وصل الينا - هو ابن الاثير حين قال (وفي حديث الاذان ذكر له الشبُّور ، وجاء في الحديث تفسيره انه البوق ، وفسروه ايضاً بالقبع ، واللفظة عبرانية) (٢) ونجد في روايات اخرى ذكراً للبوق ، وإن الرسول (ص) اراد ان يجعل بوقاً كبوق اليهود الذي يكون لصلاتهم ثم كرهه ، ثم امر بالناقوس فنحتت (٣) . وبوق اليهود هذا سمي في روايات اخرى بالقرن (قرنا مثل قرن اليهود) (٤) والظاهر ان الرسول (ص) كره اتخاذ البوق لانه آلة ينفخ فيها اليهود ، وهم ما عليه من البغض والكراهية للاسلام .

كل هذا يقدم لنا صورة للفظ الشبُّور العبرية ، ودلالاتها الواضحة في الذهن العربي ، وقد ورد ذكرها في الاستعمال اللغوي مقترنة باليهود (٥) ومع ان هذه الكلمة تعطينا نفس الدلالة التي توحيها كلمة الصور ، وانها القَرْن الذي ينفخ فيه فمن المستبعد ان يقال ان كلمة الصور متطورة عن الاصل العبري الشبُّور او الشوفار لتباين مخارج حروفها وعددها (٦)

(١) هكذا حققها الاستاذ عبد السلام هارون في هامش كتاب الحيوان

٤ : ٥٢٥

(٢) النهاية في غريب الحديث ٢ : ٢٠٢

(٣) سيرة النبي ٢ : ١٢٨ ، وانظر ايضاً ذيل لمقال الالفاظ السريانية مجلة

المجمع العلمي العربي م ٢٦ ح ٤ : ٤٨٧

(٤) صحيح مسلم ١ : ٢٨٥ ، سنن الترمذي ١ : ٣٦٢ سنن النسائي ٢ : ٢

(٥) الحيوان ٤ : ٢٥ مجالس العلماء : ١٨

(٦) مع ان السين مقارنة للصاد فانَّ إقحام الباء هنا يبعد كون الصور

متطوراً عن الشبُّور وقد استأنست في هذا برأي الاستاذ ابراهيم السامرائي -

الا ان معرفة الشبّور يعطينا صورة لمعرفة البوق الذي ينفخ فيه ، وإنّهُ كان يُصنَع من القرن في اكثر الاحيان ، وكان يستعمل للنفير ، والتنبيه ، ومن هنا جاء التعبير القرآني (الصّور) والذي فسر بالقرن ليرسم صورة النفير ليوم القيامة ، وانه يكون بالنفخ فيه ، وتنبيه الناس من قبورهم ، ومما يؤيد تفسير الصّور بالبوق ، ان ذكر البوق ورد في التوراة بأن الناس يُحشّرون من قبورهم على صوته المفزع (١) .

اما التعبير الآخر الذي يصور لنا آلة النفير فهو النافور . قال الله تعالى : (فاذا نُقِرَ في النافورِ فذلكَ يومئذٍ يومٌ عَسيرٌ ، على الكافرين غيرُ يسير ، ذرّني ومن خَلَقْتُ وحيدا ، وَجَعَلْتُ له مالا ممدّودا ، وبنينَ شُهُودا ، ومَهَّدْتُ له تمهيدا ، ثم يَطْمَعُ ان ازيدا ، كالا انه كان لاياتنا عَنيدا . سأُرهِقُه صَعودا) (٢) .

لقد فسّر معظم المفسرين النافور باذه آلة ينفخ فيها يوم القيامة اعلانا وتنفيرا وقرنوا بينه وبين الصور (٣) . وقد اوردوا الحديث الشريف الذي مرّ انفا في تفسير الصور (كيف انعم وصاحب القرن ، قد التقم القرن ، وحنى جبهته) (٤) .

اما الفريق الثاني فكما فسروا الصور على انه جمع صورة ، فكذلك

— باعتباره متخصصاً في اللغة العبرية والأستاذ مصطفى جواد ، ولم يشر الى أصلها غير العربي احد من الذين كتبوا في الدخيل كالجو البتي والسيوطي والخفاجي وغيرهم

(١) انظر الكتاب المقدس متى ٢٤ : ٣١ ، تسالونيكي ٤ : ١٥

(٢) سورة المدثر ٧٤ : ٧ — ١٦

(٣) غريب القران : ٢٤٩ ، جامع البيان ٢٩ : ١٥١ التبيان ١٠ : ١٧٤ ،

وكذا قال الخليل في العين الورقة ٣٦

(٤) جامع البيان ٢٩ : ١٥١

فسروا الناقور . ذكر الطبري (الناقور الصور ، والصور الخلاق) (١) وروي عن ابن الاعرابي انه فسر الناقور بالقلب (٢) فكأن النفخ يكون سبباً لاحياء القلوب ونستبعد هنا هذا التفسير لأن ايجاء الآيات الكريمة بعيد عن معنى القلب وقد مر بنا تفنيد هذا الرأي حين فسّر به الصور . اما تفسير الناقور بالقرن فهو الذي عليه معظم اللغويين (٣) ، وهذا التفسير أمر بلغت النظر لان اول ما توحىه كلمة النقر هو الضرب الذي يستتبعه صوت ما ، وهو معنى يرسم في الذهن صورة الدف (٤) الذي هو بعيد عن معنى الصور ، والبوق لاختلاف موحيات كل منهما عند سماع صوتهما . ويسند معنى النقر ، والضرب قول ابن فارس : (النون والقاف والراء اصل يدل على فرع شيء حتى تهزم فيه هزيمة ثم يتوسع فيه) (٥) . والذي يقارن بين معنى النقر الذي هو النفخ في تفسير من فسّر الناقور بالصور ، وبين معنى الضرب والقمرع يجد لاول وهلة ان هناك هوة بعيدة بينهما ، ويخيل اليه انه لا رابط بين المادتين ، ولكن محاولة ترتيب التدرج التاريخي لمعاني الكلمة ، تفيدنا في فهم الداليتين المختلفتين .

(١) جامع البيان ٢٩ : ١٥١

(٢) لسان العرب ٧ : ٨٩

(٣) غريب القرآن : ٢٤٩ ، جامع البيان ٢٩ : ١٥١ ، التبيان ١٠ : ١٧٤

وكذا قال الخليل في العين : الورقة (٣٦)

(٤) وقد ورد النقر مقترنا بالدف في قول عامر بن عمرو :

ولا تنقريني نقر ك الدف دائما فانك لا تدريين كيف المغيب

الحماسة البصرية : الورقة ١٨٤ (ب)

(٥) مقاييس اللغة ٥ : ٤٦٨

واقرب المعاني لكلمة النقر هو نقر الخيل الارض بجوافرها ، وذلك اذا اسرعت في سيرها فصوتت بسنابكها ، واحتفرت الارض ، قال الليث (١) (انتقرت الخيلُ بجوافِرها نقرًا أي احتفرتُ بها) (٢) . وقد وردت بهذا المعنى في شعر المرقش الاكبر (٣) واصفاً سير ناقته من وجيف ، وابساس ، ونقر :

وَجِيْفٌ وَاِبْسَاسٌ وَتَنْقُرٌ وَهَزَّةٌ

إلى ان تَكَلَّ الْعَيْسُ وَالْمَرْءُ حَادِسٌ (٤)

وقال عمرو بن الاهثم (٥) :

وَقَوْمٌ يَنْظُرُونَ إِلَى شِزْرٍ عِيُونُهُمْ مِنَ السَّبْغِضَاءِ عَوْرٌ
قَصَدْتُ لَهُمْ بِمَخْزِيَةٍ إِذَا مَا أَصَاحَ الْقَوْمُ وَأَسْتَمِعَ النَّقِيرُ (٦)

(١) الليث بن المظفر ، وقيل بن نصر بن سيار الخراساني ، كان من اكتب الناس في زمانه بارعاً في الادب ، بصيراً بالشعر ، والغريب ، والنحو . اهلى الخليل عليه كتابه العين . وقال الازهري انه انتحل كتاب العين للخليل ، ليرغب فيه .

انظر نزهة الالباء : ٢٩ ، بغية الوعاة : ٣٨٣

(٢) لسان العرب ٧ : ٩٠

(٣) هو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة شاعر من مُتَمِّمِي الْعَرَبِ ،

وفرسانها انظر المؤلف والمختلف : ٢٨١

(٤) المفضليات : ٢٢٥

(٥) هو عمرو بن سنان بن خالد كان سيدياً من سادات تميم خطيباً بليغاً

شاعراً ، وقد قدم الى رسول الله (ص) مع وفد تميم وهو الذي قال الرسول (ص) عن كلامه (إن من البيان لسحرا) توفي حوالي سنة ٥٧ هـ انظر البيان

والتبيين ١ : ٥١ لباب الآداب ٣٥٥ الاصابة ٢ : ٥١٧ ، ٥١٨

(٦) المفضليات : ٤١١

وقد فسّر الاستاذ عبد السلام هارون النقر هنا من النواقر وهي الدواهي ، وقال انه معنى لم يرد في المعاجم (١) ، والذي يبدو ان تفسير النواقر بالدواهي هنا بعيد ، وانما يصيخ القوم لوقع قوائم الخيل المسرعة نحوهم ، فتكون الداهية نتيجة الغارة ، ونقر الخيل الارض بحوافرها وسرعة هجومها عليهم .

والملاحظ في هذا الاستعمال المادي انه يجمع بين الصوت الشديد ، وبين ما يتبع هذا الضرب من السير من قرع الارض ، وحفرها ، وهو اصل مادي ملازم للبيئة العربية التي تنغود فيها العربي الغارات المفاجئة وسرعة الخيل حين تضرب الارض بقوة فتنقر فيها تنقرا صغيرة .

ومن هذا الصوت الذي تثيره الخيل بقوائمها إستعملت الكلمة في مجال آخر وهو التصويت الذي يُسكّن به الفرس ، وقد وصفه الخليل بقواه : (التقر أن تُلزق لسانك بيحنكك ثم تُصوت وقد نقرت بالدابة) (٢) . وقد نقل المبرد قول الشاعر :

انا ابن ماوية إذ جدد النقر (٣)

فقال معلقا عليه : (يريد النقر يا فتى ! وهو النقر بالخيل . . .

النقر : صوت باللسان يسكن به الفرس اذا اضطرب بفارسه قال امرؤ القيس :
أخفضه بالنقر لما علوته ويرفع طرفاً غير جاف غضيض (٤)

(١) المفضليات : ٤١١

(٢) الخليل عن المخصص ٦ : ١٨٢ ، وانظر ايضاً الصحاح ٢ :

٨٣٤ ، الافعال : ١١١ ، اساس البلاغة : ٩٨٥ ، لسان العرب ٧ : ٨٨

(٣) الكامل : للمبرد ٢ : ٥٠٢

(٤) ن . م والشطر الثاني من قول ابن ماوية (وجاءت الخيل أثنائي زمر)

لسان العرب ٥ : ٨٨ والظاهر ان الشاعر لم يقصد بقوله هذا الصوت الذي -

والنقر أيضاً تصويت الأصابع وذلك : (ضَمَّكَ الابْهَامَ إِلَى طَرْفِ
الْوَسْطَى ثُمَّ تَنْقَرُ فَيَسْمَعُ صَاحِبِكَ ذَلِكَ) (١) .

هذه هي المعاني التي اقترنت في إجماعاتها ، بنقر الخيل ، ومنها أيضاً
تطور معنى آخر وهو قولهم : النقرة ، الحفرة ، (٢) ثم أطلقت على الآبار
وعلى كل منخفض (٣) .

ونجد للنقر معنى حسياً آخر مستمدّاً من معنى الحفر ، وذلك ان يُنقَر
الخشب فتحفر فيه نقرة لغرض من الأغراض (٤) .

ونستعيد الآيات الكريمة التي وردت فيها كلمة الناقر . (فاذا نُقِرَ
فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمٌ مَّئِيذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ، عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ، ذَرْنِي
وَمَنْ خَسَفَتْ وَوَحِيدًا ، وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ، وَبَيْنَ شُهُودًا ، وَمَهْدَتِ

— يسكن به الفرس ، وإنما المقصود به سرعة الخيل في الحروب وهو الذي يفتخر
به ابن ماوية إذ يكون أهلاً للحروب والغزوات التي تسمع فيها قوائم الخيل المسرعة
وهجومها عليه زمراً كثيرة ، وهو المعنى الذي يكمله الشطر الثاني ، وربما جاء حديث
المبرد عن النقر الذي هو التصويت على سبيل الاستطراد ، وبيت امرئ القيس
في ديوانه : ٧٥ .

(١) الصحاح ٢ : ٨٣٥ ، لسان العرب ٧ : ٨٩ .

(٢) الغريب المصنف : الورقة ٢٤٥ ، لسان العرب ٧ ، ٩٠ ، وانظر أيضاً

قول الخبيل السعدي في المفضليات : ١١٦ .

(٣) الغريب المصنف الورقة ٢٤٥ ، مقاييس اللغة ٥ : ٤٦٨ ، لسان العرب

٧ : ٨٦ ، ٩ . وانظر أيضاً قول الخبيل السعدي في المفضليات : ١١٦ ، ديوان

ابن مقبل : ٣٤١ .

(٤) الصحاح ٢ : ٨٣٥ مقاييس اللغة : ٥ : ٤٦٩ ، أساس البلاغة : ٩٨٥

لسان العرب ٧ : ٨٦ .

له تمهيدا ، ثم يطمع ان يزيدا ، كلا انه كان لاياتينا غنيـدا ، سأُرهِقُهُ
صعودا (١) . ومن سياق هذه الآيات يتضح لنا معنى الناقور ، وكيف
انهم قرنوا بينه وبين الصور آلة النفير فاذا كان الصُّور أشبه ما يكون بالبوق
وانه اطلق آنذاك على القرن ينفخون فيه فان الناقور الذي جعل مرادفآ له
عند بعض المفسرين يكون على هذه الشاكلة ويقرب نقر الخشب صورته ! وذلك
ان تنقر الخشبة حتى تصبح مجوفة ينفخ فيها ، ويفيدنا في رسم هذه الصورة
قولهم النقر ، لاصل الخشبة التي تنقر فيُنْبَدُ فيها الرطب والبسر (٢) ، مما
يعطينا صورة للنقر الذي يجوف الخشبة أو أي آلة يعمل فيها .

وبما ان النقر قد اقترن بالصوت المفزع وهو نقر الخيل في الشدائد
فاننا نستطيع ان نجد في الآية الكريمة ايجاء آخر في رسم صورة الفزع الأكبر
الذي يحيط النفخ بالصور والناقور وكيف انه يرهب من يسمعه ، ويجعل
الكافر موقناً بالمصيبة العظيمة التي ستحل به ، ويذكره هذا بالرعب والفزع
الذي يشعر به حين يسمع نواقر خيل الأعداء القوية ويساعده جو الآيات
العام على هذا التصور وهو معنى واضح الملامح عميق الصلة بالبيئة العربية
التي كثرت الغارات فيها وتعود العربي صريخ الخيل وسرعة سيرها ، وما يوحيه
نقر قوائم الخيل خاصة عند الغارات من معاني الفزع والهول مما يقرن يوم
القيامة بصورة الفزع والرعب المفاجيء ، وهو معنى تشترك فيه كل التعابير
التي تخص القيامة منذ ساعة النفير .

وبما ان النقر قد اقترن بالصوت المفزع الى جانب معنى الضرب والحفر
فان ايجاء آخر يضاف الى الكلمة ، وهو دلالتها على الصوت . وهذا المعنى
هو الذي فسر به بعضهم قول طرفة المشهور :

(١) سورة المدثر ٧٤ : ٨ - ١٧ .

(٢) الصحاح ٢ : ٨٣٥ ، لسان العرب ٥ : ٨٦ .

يَا لَيْلِكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْرِ
 خَلَا لَيْلِكَ الْجُؤُفُ فَيَبْضِي وَاصْفِرِي
 وَنَقْرِي مَا شِئْتَ أَنْ تُنْقِرِي
 قَدْ حَلَّ الصَّيَادُ عَنْكَ فَابْشِرِي (١)

فقيل التنقير مثل الصفير (١) .

أما معنى النفخ الذي يفهم من كلمة النقر (فاذا نُقِرَ في الناقورِ
 فذلكَ يَوْمٌ مِثْلُ يَوْمِ عَسِيرٍ) (٣) فهو معنى جديد اكتسبه الكلمة من طبيعة
 استعمال الآلة حيث ينفخ فيها . ونستطيع ان نقول ان كلمة النقر قد
 ضُمَّنَتْ معنى النفخ في الآية الكريمة على اسلوب العرب في تضمين كلامهم
 معاني لم يعرفوها من قبل (٤) . ومن هنا عُدِّي الفعل (نقر) بالحرف (في)
 واستعمال هذا الحرف هو الذي يبعد معنى الضرب الذي قد يتبادر الى الذهن
 فلو كان معنى النقر كذلك ل قيل نُقِرَ الناقورُ ، أو نُقِرَ بالناقورِ كما قيل
 نَقَرْتُ الشَّيْءَ نَقْبَتَهُ بِالْمَنْقَارِ ، وَنَقَرَتِ الطَّائِرُ الحَبَّ بِمَنْقَارِهِ ، وَنَقَر
 النَّقَّارُ الرِّحَى بِمَنْقَارِهِ ، وَنَقَرَتِ العُودَ ، وَالدَّفَّ ، وَنَقَرَتِ رَأْسَهُ بِاصْبَعِهِ
 نَقْرَةً (٥) أما تعدية النقر بالحرف (في) فإنه يقوي ما ذهب اليه المفسرون

(١) ديوان طرفة : ١٩٣ .

(٢) الأزهري عن لسان العرب ٥ : ٨٧ ، الصحاح ٢ : ٨٣٦ ، ومن الجائز

ان يراد بالنقر هنا المعنى المادي وهو التقاط الحب .

(٣) سورة المدثر ٧٤ : ٧ .

(٤) قال ابن هشام في موضوع التضمين : (قد يشربون لفظاً فيعطونه

حكمه ويسمى ذلك تضميناً ، وفائدته أن تُؤدَى كلمة مُؤدَى كلمتين) . مغني

اللبيب ٢ : ٦٨٥ ، وانظر أيضاً شرح الفية ابن مالك ١ : ٤ ، ٥ ، هجع الهوامع ٢ : ١٣٠

(٥) الصحاح ٢ ، ٨٣٤ ، أساس البلاغة : ٩٨٤ ، لسان العرب ٧ : ٨٠ ، ٨٦

من ان معنى النقر هو النفخ وان الناقور هو الذي ينفخ فيه .
ومن هذين التعبيرين تتشكل الصورة الأولى للنفير في يوم القيامة ، اذ يدعى الناس ، ويحشرون من قبورهم على صوت مفرع يبعث من آلة هي الصور أو الناقور ، وقد ورد في الكتاب القديم ذكر للبق الذي ينبه الناس ويحشرهم من قبورهم (١) ، مما يؤكد تفسير الصور والناقور على اتها آلتان ينفخ فيها يوم القيامة .

ب - الداعي والمنادي

أما الصورة الثانية فيشكلها تعبيران آخران هما الداعي والمنادي فقد ورد الداعي في قوله « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ، فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ، لا تَرى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا ، يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَعِوَجَ لَه ، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا » (٢) . وقال أيضاً : « فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكُورٍ ، خَشَعَتِ أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ مَهْطَعِينَ إِلَى الدَّاعِ ، يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسِيرٍ » (٣) . فالداعي في هذه الآيات الكريمة هو الذي يدعو الناس الى موقف القيامة فيحشرهم اليه (٤) ، وقد خشعت أبصارهم ، ونكست رؤوسهم وأدركوا حقيقة النفير

(١) جاء في سفر متي ٢٤ : ٣١ (ويرسل ملائكته ببوق ، وصوت عظيم ، فيجمعون مختاربه من الرياح الأربع من أقاصي السماوات الى اقاصيها) ، وانظر أيضاً سفر تسالونيكي ٤ : ١٥ .

(٢) سورة طه ٢٠ : ١٠٥ - ١٠٨ .

(٣) سورة القمر ٥٤ : ٦ - ٨ .

(٤) جامع البيان ٢٦ : ٢١٤ ، ٢٧ : ٨٩ ، التبيان ٩ : ٤٤٥ .

الذي يدعوه ، واذا كان السياق العام هو الذي يوحي لنا بهذه الصورة المرعبة فان كلمة الداعي وحدها تعطي من الصور والايحاءات المتعددة ما يزيد ملامح صورة النفير وضوحاً ويعكس لنا جوانب متعددة من البيئة العربية . فالداعي في المجال اللغوي استعمل للدلالة على معان مختلفة قد تبدو بعيدة الأصل عن المعنى القرآني ، ولكن معرفة الصور الحسية التي تفرغت عنها تعيننا على ربط المعاني بعضها ببعض ، وفهمها من التعبير القرآني الكريم . ومن الصور الحسية الأولى الواردة في الشعر الجاهلي صورة تداعي الكئيب اذا تحرك بعض الرمل فانها وانهدم ، قال ابن منظور (تداعي الكئيب من الرمل اذا هيل، فانها) (١) . قال النابغة ذاكراً الكئيب المتداعي .
تَخْفِي بِأَظْلَافِهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ

يُبْسَسَ الكَثِيبِ تَدَاعَى التُّرْبُ فانهما (٢)

وقال زهير بن أبي سلمى واصفاً صورة قريبة من صورة النابغة :
يَمْرِي بِأَظْلَافِهِ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ

يُبْسَسَ الكَثِيبِ تَدَاعَى التُّرْبُ فانسخرَ قَا (٣)

فسرعة سير الثور ، وركضه ، تهدم الكئيب ، وتهيل ترابه مرة واحدة وهذا هو الذي يطلق عليه اسم التداعي ، وقال طرفة متغزلاً :

وَإِذَا قَامَتْ تَدَاعَى قَاصِفٌ مَالٍ مِنْ أَعْلَى كَثِيبٍ مُنْتَقِعِرٌ (٤)

(١) لسان العرب ١٨ : ٢٨٧ .

(٢) أمالي المرتضى ٢ : ١٣ ، والبيت غير موجود في ديوان النابغة الذبياني ومقارنته ببيت زهير المذكور أعلاه يشير الشك في نسبته الى قائله .

(٣) شرح ديوان زهير : ٤٦ .

(٤) ديوان طرفة . ٧٣ .

أما داعية اللبن فهو ما يترك في الضرع ليدعو مابعد (١) . وقد ورد في الحديث النبوي الشريف ، ان الرسول (ص) قال لرجل بعثه لحلب ناقته أن دَعَّ داعي اللبن (٢) وقال ابن منظور شارحاً قول الرسول (ص) السابق : أي ابق في الضرع قليلاً من اللبن ، ولا تستوعبه كله فان الذي تبقيه فيه يدعو ماوراءه من اللبن فيزله ، واذا استقصى كل مائي الضرع أبطأ درّه على حاله قال الأزهري : «ومعناه عندي دع ما يكون سبباً لنزول الدرة ! وذلك ان الحالب اذا ترك في الضرع لأولاد الحلائب لبينة ترضعها طابت أنفسها فكان أسرع لافاقتها» (٣) .

وحركة تداعي الكتيب واضحة في داعية اللبن ، ولكنها على صورة أخرى فهي أيضاً حركة ناتجة عن وجود أخرى سابقة لها ، وهي البقية القليلة من اللبن التي تستدعي نزول مابعداها الا ان ماتوحيه من الصور بعيد عن معنى داعي النفير لأن في اللبن ايجاء الخير والفرح ، أما داعي النفير فانه محاط بالفرح ، والهول وما يتبع ذلك من صور رهيبة مرعبة . ومن هذا الاستعمال المادي جاء قولهم الحجازي : «تداعت عليهم القبائل من كل جانب اجتمعت عليهم وتألبت بالعداوة» (٤) . وبهذا المعنى وردت في الحديث النبوي الشريف (٥) .

-
- (١) الصحاح ٦ : ٢٣٣٧ ، مقاييس اللغة ٢ : ٢٨٠ ، ثمار القلوب : ٤٩٤
 أساس البلاغة : ٢٧٢ ، لسان العرب ١٨ : ٢٨٢ .
 (٢) مسند الامام أحمد ٤ : ٧٦ ، وانظر أيضاً سنن الدارمي ٢ : ٨٨ .
 (٣) لسان العرب ١٨ : ٢٨٤ ، انظر أيضاً المخصص ٧ : ٤٠ .
 (٤) أساس البلاغة ٢٧٢ ، وانظر شواهد الشعر في الطرائف الأدبية : ١٤ .
 (٥) مسند الامام أحمد ٤ : ٢٧٨ ، ٢٦٨ ، ٢٧٤ ، ١٧٨ ، سنن الدارمي
 ٢ : ٤٢٦ ، لسان العرب ١٨ : ٢٨٧ .

هذه الصور المتداخلة نستطيع ان نجدها في أحد جوانب صورة الداعي المفزع فالناس يترაკضون نحوه ، ويتدافعون بسرعة كما تتدافع أجزاء الكшиб حين ينهال بعضها على بعض ونفهم انهم في تداعيهم ، وتدافعهم نحو الداعي يسرون بصورة تلقائية تماماً كما ينهال كшиб الرمل اذا تساقطت بعض أجزائه . ونستطيع أن نلمح في الداعي صورة أخرى لها دلالة أعمق للبيئة العربية ! وذلك ان الداعي أطلق في بيئتهم الحربية المتنازعة على الشخص الذي يُتَقَرَّر ويدعو للأمر الملم الشديد ويستصرخ قومه ، فكأن صياحه يكون سبباً لتداعي قومه حوله ونجدتهم له ، وقد كثر افتخار شعرائهم بتلبية دعوة الداعي وتسارعهم نحوه مع الفزع الذي يثيره في نفوسهم ، قال متمم بن نويرة (١) رثياً أخاه .

وقد كان مجذماً إلى الجربِ رِكضُهُ

سريعاً الى الداعي اذا هو أفزَعَا (٢)

أي انه كان شجاعاً بطلاً يسرع الى استجابة صرخة الداعي ، مع نأ غيره يفزع منها ويهرب . وقال النابغة الجعدي (٣) مفتخرأ :

(١) متمم بن نويرة بن جمره بن شداد بن ربوع يكنى أبا نهشل شاعر جاهلي أدرك الاسلام فاسلم وحسن اسلامه واستفرغ شعره في مرثي أخيه مالك بن نويرة الذي قتل في حروب الردة توفي نحو سنة ٣٠ هـ انظر معجم الشعراء : ١٩٤ .

(٢) أمالي البزبيدي : ١٩ .

(٣) شاعر معمر عاش في الجاهلية والاسلام ، وقد اختلف في اسمه هل هو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة ام حبان بن عبد الله الا انهم اتفقوا على انه من مضر وان سبب تلميقه بالنابغة لأنه قال الشعر في الجاهلية ، ثم اجبل دهرأ ثم نبغ بالشعر في الاسلام توفي نحو سنة ٥٠ هـ انظر طبقات فحول الشعراء ١٠٣ ، الشعر والشعراء ١ : ٢٤٧ ، الأغاني ٥ : ٥ ، المؤلفات واختلف : ٢٩٣ .

يَسْتَخْفُونََ الى الداعي بِهِمْ ٠ ولى الضيفِ اذا الضيفُ نَزَلَ (١)
 وحين يسمع صوت الداعي في الحي يسرع الرجال نحوه ، ويتابع
 ركض الخيل المسومة الى حومة القتال :
 متى ما ادعُ في أسدِ تُجِبي مَسَوْمَةٌ على خَيْلِ صِيامِ
 تَتَابَعُ نَحْوَ دَاعِيهَا سِرَاعاً كما انْسَلَّ الفريد من النِظَامِ (٢)
 ووصف طرفة بن العبد دعوة الداعي في الحي ، وكيف انها تشير
 الفزع ، والطلع فيُجرد الشجعان سيوفهم ، ويعتلون جيادهم الطوال السريعة .
 حين نادى الحيُّ المَّا فزِعوا ودعا الداعي وقد لَجَّ الذُّعْرُ
 أيُّها الفَتِيانُ في مَجَلِسِنَا جَرِّدُوا منها وراذاً وشُقْرُ
 أعْوَجِياتٍ طِوالاً شُزْباً دُوخِلَ الصنعةُ فيها والضميرُ (٣)
 فالداعي في هذه الصور المنعددة (٤) يعكس لنا جانباً من جوانب
 البيئة العربية التي ساد فيها الاضطراب والفوضى ، فالأمن مفقود ، والاحياء
 مُعَرَّضة للغارات المفاجئة ، ومايتبعها من السلب ، والنهب ، والقتل . .
 ويأتي دور الداعي الذي يستصرخ قومه ، وينبههم الى الحادث المفاجيء ،
 فاستعمال الداعي هنا يستلزم صياح أحد ، أو استغاثة مهواة تتبعها إجابة
 من الآخرين ، فكأن في المسألة طرفين متلازمين تلازم حركة الكتيب الأولى

(١) ديوان الذابغة الجمعي : ٩٧ .

(٢) الحماسة البصرية : الورقة ٤٨ (ب) .

(٣) ديوان طرفة : ٨٠ ط صادر .

(٤) انظر شواهد أخرى للداعي في ديوان عامر بن الطفيل : ٨٢ ، ديوان

عبيد : ١٣١ ، ديوان بشر : ٨٦ ، ديوان طرفة : ٧٧ ، ديوان الشماخ : ١٠ ،

المفضليات : ١٦٦ ، الوحشيات : ٤٣ ، العين : ٤٢ ، الصناعتين : ١٦٨ ، الأشباه

والنظائر ١ : ١٠٥ ، ديوان الحماسة : ٥٨ .

بانهدام الرمل والكثيب من جميع جوانبه ، أو حركة داعية اللبن التي تستدر مابعدها ، والداعي يستصرخ ويستنجد فيجابه ويغاث ، وحتى اذا لم ينجد فان دعوته في الأصل كانت طلباً للاجابة والنجدة .

ويستدل على هذا بالاستعمال القرآني للكلمة ، ومشتقاتها ، وتلازم الاجابة لها في كثير من الآيات القرآنية ، فالله سبحانه وتعالى يستجيب دعاء من يدعوهُ مخلصاً « واذا سَأَلْتَكِ عِبَادِي عَنِي فَأَنِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي » (١) وكذلك اقترنت الاجابة بالدعاء في الحديث عن الآلهة التي اتخذها المشركون من دون الله تعالى فجاءت الآيات القرآنية الكريمة تبين لهم بأنهم انما يعبدون ما لا يسمع دعاءهم ، ولا يستجيب لهم : « ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم » (٢) . فالحجة القوية في مناقشة المشركين هي انهم يدعون آلهة لا تسمع دعاءهم ، فالاجابة ملازمة للدعاء وان كانت سلبية . أما الآيات التي ذكر فيها الدعاء دون ملازمة الاجابة فانها تفسر على ضوء قوله تعالى : « ادعوني استجب لكم » (٣) أو ان الدعاء في الأصل انما يكون في انتظار الاجابة . هذه الاجابة ملازمة لدعوة الداعي يوم القيامة قال تعالى : « ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً ، فيدثرها قاعاً صاففاً ، لا ترى فيها عوجاً ولا أمثاً . يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع الا همساً » (٤) حين نقرأ هذه الآيات

(١) سورة البقرة ٢ : ١٨٦ ، وانظر أيضاً النمل ٢٧ : ٦٢ ، غافر ٤٠ : ٦٠

(٢) سورة الكهف ١٨ : ٥٤ ، وانظر أيضاً القصص ٢٨ : ٦٤ ، الشعراء

٧٢ : ٧٢ ، فاطر ٣٥ : ١٤ الأحقاف ٤٦ : ٥١ ، الأعراف ٧ : ١٩٤ .

(٣) سورة غافر ٤٠ : ٦٠ .

(٤) سورة طه ٢٠ : ١٠٥ - ١٠٨ .

الكريمة المتسلسلة السياق ترسم في الذهن صورة الناس حين يفرعون لصيحة الداعي المهولة التي تنفرهم الى ساحة الحساب فيتراكضون حوله ، ويستجيبون له بصورة تلقائية يتبع بعضهم البعض الآخر ، وقد ملاً الفزع ، والهلع قلوبهم . وتساعدنا صورة الداعي في الحروب على فهم اتجاهات مختلفة طلع صيحة الداعي ونفيره ، فهي لانوحي معنى الاجابة فحسب ، انما ترسم في الذهن كل ماتوحيه البيئة الحربية في حياة العرب حين يفاجيء الحي بصريخ الداعي الذي يخبرهم بالغايرة ، وتضاف الى هذا صورة تداعي الكتيب التي تصور لنا الناس في تراكضهم نحو الداعي بأنهم يتدافعون بعضهم فوق بعض وقد ملاء الرعب والفزع قلوبهم .

أما المنادي فانه تعبير آخر للشخص الذي يدعو الناس يوم القيامة والذي سمي أيضاً بيوم التناد قال تعالى على لسان الرجل المؤمن حين يخاطب قوم فرعون محاولاً هدايتهم : (وقال الذي آمن يا قوم إني أخافُ عليكم مثلَ يومِ الأحزابِ ، مثلَ دَابِ قَوْمِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ ، والذينَ من بعدِهِم وما اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ، ويا قومِ إني أخافُ عليكم يومَ التنادِ ، يومَ تُؤاؤونَ مُدْبِرِينَ ما لكم من اللهُ من عاصمٍ ومن يُضِلِّ اللهُ فَمَا لَهُ من هَادٍ) (١) وقال سبحانه وتعالى أيضاً « واستمعْ يومَ ينادِ المنادِ ، من مكانٍ قريبٍ ، يومَ يَسْمَعُونَ الصيحةَ بالحقِّ ذلكَ يومَ الخُروجِ ، انَّا نحنُ نُحْيِي ونُمِيتُ ، والينا المصيرُ ، يومَ تَشَقَّقُ الأرضُ عنهم سِراعاً ، ذلكَ حشرٌ علينا يسيرٌ » (٢) .

هذه الآيات الكريمة صورت لنا حقيقة الموقف حين يهب الناس على صوت المنادي فيهرعون نحوه ملين نداهه ، مسرعين الى ساحة الحشر المهولة .

(١) سورة غافر ٤٠ : ٣٠ - ٣٣ .

(٢) سورة ق ٥٠ : ٤١ - ٤٤ .

أما المفسرون فقد اختلفوا في تفسير التناد نتيجة لاختلافهم في قراءتها ان عامة قراء الأمصار (يوم التناد) بتخفيف الدال وترك اثبات الياء بمعنى التفاعل من تنادى القوم تناديا (١) وقال الأزهرى: القراء على تخفيف الدال (٢) وهذه القراءة توجه تفسير الآية عدة توجيهات .

١ - فسرّ التناد على انه الخطاب والكلام الذي يكون بين الناس يوم القيامة كما قال جلّ ثناؤه : (ونادى أصحابُ الجنةِ أصحابَ النارِ أنْ قدّ وجَدْنَا ما وعدْنَا ربُّنا حقًا ، فهل وجدتم ما وعدَ ربِّكم حقًا ؟ قالوا : نعم) (٣) . وقال (ونادى أصحابُ النارِ أصحابَ الجنةِ أنْ أفِيضوا علينا من الماء) (٤) فلذلك تأوله قارئو هذه القراءة (٥) .

ونجد ان هذا التوجيه اعتمد على قول العرب : التنديدُ رفعُ الصوت (٦) قال أبو زيد (٧) ، وهو مجرد النداء الذي يكون بصوت مرتفع عال (٨)

(١) جامع البيان ٢٤ : ٦٠ .

(٢) لسان العرب ٤ : ٤٢٩ .

(٣) سورة الأعراف ٧ : ٤٤ .

(٤) سورة الأعراف ٧ : ٥٠ .

(٥) جامع البيان ٢٤ : ٦٠ ، وانظر أيضاً الكشاف ٣ : ٥٣ .

(٦) لسان العرب ٤ : ٤٣ ، ابن السكيت عن المخصص ٢ : ١٣٣ ،

الفاخر : ٢٨٨ .

(٧) أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري كان عالماً باللغة والنحو أخذ عن

أبي عمرو بن العلاء ، وأخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام ، والسجستاني . وكان ثقة من أهل البصرة وكان سيديوه اذا قال سمعت الثقة يريد به أبا زيد ، توفي في البصرة

سنة ٢١٤ أو سنة ٢١٥ ، أنظر نزهة الألباء : ٨٥ - ٨٨ .

(٨) المفردات في غريب القرآن : ٥٠٥ .

وقد وردت بهذا المعنى في أربع وخمسين آية (١) ، ولكننا نجد ان السياق العام الذي ورد فيه تعبير التناد أو المنادي ملء بالرعب والفرح لا مجرد مخاطبة الناس بعضهم بعضا فالناس في خوفهم يسرعون نحو الداعي وقد ذلت نفوسهم وخشعت . وانما تكون مخاطبة الناس كما تصوره سورة الأعراف بعد الحساب حين يساق المجرمون الى جهنم ، وينعم المؤمنون بالجنة . أما ساعة الحشر حين يجتمع الناس على صوت المنادي فلا مجال للمحاورة والحديث بينهم .

٢ - وفسر البعض الآخر ممن قرأ (التناد) بالتخفيف ان المقصود به ليس مجرد مخاطبة بين الناس ، وانما هو أعظم من ذلك وأرهب حيث يتصايح الناس خوفاً ورهبة مما ينتظرهم من العذاب . وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا التأويل حيث قال : « مُدْبِرِينَ ينادي بعضهم بعضاً ، وهو الذي يقول الله يوم التناد » (٢) . وسنجد ان هذا التفسير يعضد التفسير الأخرى في رسم صورة المنادي .

٣ - ويمكن ان يفسر التناد بأنه اليوم الذي ينادى فيه الناس فيجتمعون لصوت المنادي الذي ينبههم وينفرهم من قبورهم وهو التفسير الذي فسر به قوله تعالى (واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب ، يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج) (٣) . فقد وصفوا هذا المنادي بأنه (ملك قائم على صخرة بيت المقدس وينادي أيتها العظام البالية والأوصال المنقطعة) (٤) . ويقوي هذا التفسير الصور السابقة التي مرت بنا

(١) راجع المعجم الفهرس : ٦٦١ .

(٢) جامع البيان ٢٤ : ٦١ .

(٣) سورة ق ٥٠ : ٤١ .

(٤) جامع البيان ٢٦ : ١٨٣ ، التبيان ٩ : ٣٧٦ ، وانظر أيضاً مجالس ثعلب

والتي تصور قيام الناس بعد النفير الذي يوجه اليهم بواسطة الصور ، أو الناقور أو الداعي . وقد اعتمد في هذا التفسير على أحد معاني الكلمة ، وهو دلالتها على الاجتماع . قال أبو زيد : « نَدَّ القومُ وانتَدوا : اجتمعوا ، والمنادي والندي المجلس مجتمعين فيه ، فاذا تفرقوا فليس بندي » (١) . قال بشر بن أبي خازم :

وما يَنْدُوهُمْ النّادي ولكنْ بكل مَحَلَّةٍ مِنْهُمْ فِئَامٌ (٢)
الفِئَامُ الجماعةُ من الناس . يريد ان قومه كثيرون لا يجمعهم نادٍ وانما تجد منهم جماعة في كل مكان . ومعنى الجمع تؤكدُه آيات أخرى كقولهِ تعالى : « ونفِخ في الصورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَماعاً » (٣) وكذلك تسمية يوم القيامة بالحشر ، لأن الناس يجمعون ، ويساقون فيه الى الحساب (٤) .
أما قراءة من قرأ (التناد) بتشديد الدال فانه قد اعتمد فيها على صورة وثيقة الصلة بالبيئة العربية ، تلك هي صورة الابل حين تفر من صاحبها وتهرب بعيدا عنه ، فيقال عنها حينئذ (نَدَّت) . هذا المعنى هو الذي اعتمد عليه في هذه القراءة من الندّ (وذلك اذا هربوا فندُّوا في الأرض كما تَنْدُ الابلُ اذا شَرَّكَتْ على اربابِها) (٥) وقال أبو الهيثم : (هو من

(١) المخصص ٣ : ١٤٥ ، وانظر أيضاً مقاييس اللغة ٥ : ٤١١ ، المفردات

٥٠٥ ، أساس البلاغة : ٩٤٦ ، وقد وردت بهذا المعنى في سورة العنكبوت ٢٩ :

٢٩٠ ، وسورة العلق ٩٦ : ١٧ ، وانظر الشعر في ديوان طرفة : ٨٠ .

(٢) ديوان بشر بن أبي خازم ٢٠٩ ، المفضليات : ٣٣٦ .

(٣) سورة الكهف ١٨ : ١٠٠ .

(٤) مجاز القرآن ١ : ٢٠٤ ، ٢ : ٢٠ ، وانظر أيضاً الصحاح ٢ : ٦٣٠ ،

مقاييس اللغة ٢ : ٦٧ .

(٥) جامع البيان ٢٤ : ٦١ .

ندَّ البعيرُ نداداً أي شَرَدَ (١) وهذا التفسير أقرب التفسير إلى الحياة البدوية ، لأن الصورة التي يوحىها أسرع إلى الذهن من الصورة الأخرى لأنها صورة عالقة في ذهن العربي ، مرتسمة أمام ناظره ، لأن الإبل عماد حياته في الصحراء قد شهدنا في هدايتها ، ونفارها ، وخبر حركاتها وسكناتها ، ومن هنا وفرت التعابير التي تخص الإبل ورسخت في الذهن العربي توحى له بالصورة المادية حتى إذا استعارها للتعبير عن معنى جديد مشابه لها أثارت في الذهن الصورة الحسية الأولى إلى جانب المعنى الجديد الذي استعملت فيه . قال ذو الاصبع العدواني (٢) مفتخراً بكرامته ، وعزة نفسه حيث يشرد وينفر من البلد الذي لاكرامة فيه متمثلاً في ذهنه صورة الإبل حين تنفر من صاحبها قال :

عَفُّ نَدُّودٌ إِذَا مَاخَفْتُ مِنْ بَلَدٍ

هَوْنًا فَلَسْتُ بِوَقَافٍ عَلَى الْهَوْنِ (٣)

فصورة الإبل حين تنفر من صاحبها واضحة في اتجاهات البيت السابق ولكن موحيات التعبير القرآني أعمق آثاراً ، لأنها ترسم حول التعبير صوراً أخرى تزيد ملامح صورة نفار الإبل وضوحاً وبياناً ، فيوم التناد هو اليوم

(١) عن لسان العرب ٤ : ٤٢٩ ، وانظر أيضاً جمهرة اللغة ١ : ٧٧ ، ٣ :

١٩٠ ، الصحاح ١ : ٥٤٠ ، مقاييس اللغة ٥ : ٤١١ ، المخصص ٧ : ٨٥ باب ترك

الإبل وإهمالها .

(٢) ذو الاصبع العدواني واسمه حرثان بن حارثة بن محرث ، وقيل له

ذو الاصبع لأن أفعى ضربت إبهام رجله ففقطعتها ، وهو أحد الحكماء الشعراء قيل

أنه عمر دهمراً . أنظر الشعر والشعراء ٢ : ٥٩٧ ، المعمرون : ٥٨ ، المؤلف

والمختلف : ١٧٠ .

(٣) المفضليات : ١٦٣ .

الذى يفر الناس فيه بعضهم من بعض يشبهون في ذلك الابل حين تند على وجهها بعيداً عن اصحابها ، وتنفر هاربة منه ، ومن الطبيعي ان الابل لا تفر من اصحابها الا اذا فزعت واضطربت اضطرابا شديدا . وبذلك شبه حال الناس حين يسمعون صوت النفير المفزع يفر كل انسان بنفسه ناسياً اهله وأولاده . لان هول الموقف لا يبقي لهم تفكيراً ، ويكون الناس عند سماعهم صوت النفير كما تصورهم الآيات الكريمة : (يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ، وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً ، يُبْصِرُونَ نَهُمُ يَوْمَ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئذٍ بِبَنِيهِ ، وَصَاحِبَتُهُ وَآخِيهِ ، وَفَصِيلَتُهُ الَّتِي تُؤْوِيهِ ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ) (١) . ومع اننا نجد ان المعاني الأخرى التي توحىها كلمة المتنادي ، والتناد ، تجتمع كلها لترسم صورة ساعة النفير الا ان صورة الابل الشاردة اوضح ملامح ، واعمق ابعادا من الصور المعنوية الأخرى وهذا التوجيه للآية الكريمة يرسم صورة الناس المفزعين المدبرين الذين يتصاحجون ، ويتصارخون بالويل والثبور ذلك لان الآية التي ورد فيها (التناد) قد أتبعته بقوله جل من قائل : (يَوْمَ تَوَكَّدُونَ مَدْبِرِينَ مَا تَأْتِيكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ) (٢) .

وإذا عدنا الى التفاسير السابقة نجد ان المفسرين اعتمدوا على أربع استعمالات للكلمة - كما مرت بنا - وهي النداء بمعنى رفع الصوت والمخاطبة ، ثم التنادي بمعنى التصايح من الخوف والثبور ، وثالثها النداء حيث يجتمع الناس على صوت يناديهم ، وهو الاستعمال الذي قد يبدو متعارضاً مع الاستعمال الرابع الذي هو النفور :

وتبدو هذه التفاسير بعيدة بعضها عن البعض الآخر ولكن تتبع

(١) سورة المعارج ٧٠ : ٨ - ١٤

(٢) سورة غافر ٤٠ : ٣٣

استعمال الكلمة يعيننا على ايجاد تفسير واحد يجمع كل التفسير السابقة ، وذلك اذا اعتبرنا الفعل الثلاثي المضعف (نَدَّ) هو اصل الكلمة وهو يدلُّ على التجمع ، ثم فُكَّ ادغام الحرف الاخير فقيلا (نَدَى) . قال ابن فارس : (النون والداال والحرف والمعتل يدل على تجمع) (١) . ومنه الندى الذي هو البَلَلُ والرطوبة (٢) ، ثم استعير في وصف الصوت الندى من حيث انه من تكثر رطوبة فمه حسن كلامه ، ولهذا يوصف الفصيح بكثرة الريق (٣) ، وهو معنى نلمحه ايضاً في المنادي لان صوته يكون عالياً يُسْمَعُ كل من في القبور . ثم تطورت الكلمة الى نَدَّ بمعنى تفرق كما مر بنا (٤) . ثم قيل نادى بمعنى صاح وخاطب ولا يوجد فرق او تضاد بين معنى نَدَّ الذي هو التفرق وبين نَدَّ الملازمة للمنادي بمعنى التجمع ، ذلك لان كل تَسْجَمٍ يكون نتيجة لتفرق وكل تفرق متأتٍ عن تجمع ، فكلاهما حركة متصلة تصل الاولى الثانية وتكون نتيجة لها (٥)

(١) مقاييس اللغة ٥ : ٤١١

(٢) اعتبر ابن فارس هذا المعنى اصلا اخر للكلمة بعد ان وضع لها الاصل الاول الذي هو التجمع ، ولـكننا نجد انه استعمال آخر للكلمة بعد ان فُكَّ ادغام حرفها الاخير ويظهر فيه معنى التجمع ايضاً ، لان الرطوبة او البلل تنتشر على النبات اذا وجدت .

(٣) المفردات : ٥٠٥

(٤) يلاحظ في هذا الباب قول الخليل في الثنائي المضاعف كالصلصلة

مثلا انظر العين : ٧

(٥) وقريب من هذا بحث ابن جنى حول مادة (قول) فانها كما يقول (ابن وجدت ، وكيف وقعت من تقدم بعض حروفها على بعض وتأخره عنه انما هو للخفوف والحركة » انظر الخصائص ١ : ٥

والتفسير الذي نراه جامعاً لكل المعاني السابقة يوضحه لنا استعمال كلمة المنادي في الشعر الجاهلي ، وذلك لانها اطلقت مرادفة لمعنى الداعي الذي مرّ بنا سابقاً ، فالمنادي هو الذي يستصرخ القوم عند الحروب والغارات المفاجئة ، ويدعوهم الى الامر الهام الذي ينتظرهم . قال بشر بن أبي خازم :
 بشيب لا تخيم عن المنادي ومرد لا يروعتها اللقاء (١)
 وصريخ المنادي يرهب من يسمعه في الحروب ، ومن هنا فهو مدعاة للمفخرة بين الشعراء فيفخر شاعرهم بنجدته لصريخ المنادي ، ودعوته الى الحرب والدفاع قال دريد بن الصمة :

اني اذا نادى المنادي كنايةً إحدى ليالي الحَقِّ لم أنغفل (٢)
 فالمنادي اقترنت صورته بصورة الفزع والرعب الذي يثيره الصريخ المفاجيء فما ان يسمع القوم صوته حتى يعرفوا حقيقة امرهم وهي ان غارة مفاجئة قد داهمتهم قال الكالحيبة العربي (٣)
 ونادى منادي الحيّ أن قد أتيتُ
 وقد شرّبت ماء المزاودة أجمعا (٤)

وحين ينادي المنادي مؤذنا للحرب والغارة يجتمع حوله الناس ملين نداء الدفاع عن القبيلة وشرفها ، ومن الناحية الاخرى قد يسبب صريخ المنادي هرب الجبناء من الناس ومن هنا جاء معنى التفرق والتجمع الذي

(١) ديوان بشر بن أبي خازم : ٦

(٢) الوحشيات : ٢٥٥

(٣) اسمه هبيرة بن عبد مناف بن ثعلبة بن يربوع ، احد فرسان بني تميم وساداتها ، شاعرٌ محسنٌ والكالحيبة لقبه ومعناه في اللغة صوت النار . المؤلف والمختلف : ٢٦٣ - ٢٦٤ ، خزانة الادب ١ : ١٨٩ .

(٤) المفضليات : ٣١ .

يفهم من كلمة المنادي في الآية الكريمة .

ثم ان القوم ينادي بعضهم بعضاً في الحروب والهجمات المفاجئة ليحملوا الجميع على الحرب والاغاثة قال طفيل الغنوي .

فَبَاتُوا بِسَنُونِ الرَّجَاجِ كَأَنَّهُمْ

اِذَا مَا تَنَادَوْا خَشْرَمٌ مُتَحَدِّبٌ (١)

ونعود الى الآية الكريمة حيث نجد ان كلمة التناد استعملت مطلقة دون الاشارة الى تنادِ الابل ، او تناديِ القوم وصياحهم ، واستعمالها مطلقة هو الذي يزيد من هول الوصف والفرع ليوم القيامة ، وتجتمع كل المعاني التي تتداعى عند ذكر كلمة التناد ، وتعاون كلها على رسم صورة الناس المدبرين من الفرع ، وقد اشار الزمخشري الى هذا في تفسير قوله تعالى : (ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان (٢) . قال : (فان قلت فأبي فائدة في الجمع بين المنادي وينادي ؟ قلت : ذكر النداء مطلقاً ثم مقيداً بالإيمان تفخيماً لشأن المنادي ، لانه لا منادي اعظم من منادٍ ينادي للإيمان ! وذلك ان المنادي اذا اطلقت ذهب الهم الى منادٍ للحرب او لاطفاءِ نائرةٍ ، او لاغاثة المكروب ، او لكفاية بعض النوازل او لبعض المنافع) (٣) .

ومن هنا جاءت الروعة في التعبير القرآني ، وتجليّ الاعجاز في كلمة واحدة مطلقة عن التحديد بايجاء خاص ، فاوحت بكل ما توحيه كلمة المنادي بمعانيها المختلفة فهي ترسم في الذهن شتى الصور الزاخرة بالحركة

(١) ديوان طفيل : ٢١ ، وانظر تنادي الخيل في الحرب ديوان بشر بن

ابي خازم : ١٠ المخصص ٦ : ١٤١

(٢) سورة آل عمران ٣ : ١٩٣

(٣) الكشاف ١ . ٣٦٩

والانفعال ، ذلك لان الناس يهبتون من قبورهم اثر منبه مفزع هو المنادي الذي يدعوهم الى يوم الحساب فيجتمعون تلبية لندائه ، ولكنهم في نفس الوقت يتنادون بينهم ويتصاحجون خوفاً ، وهلمعا ، ويفر بعضهم من بعض هارباً على وجهه كما تندُّ الابلُ بكل ما يحمله هذا المعنى الاخير من ابحاث وثيقة الصلة بالبيئة العربية .

وعلى هذا فكل تفاسير المفسرين السابقة يمكن ان تفهم مجتمعة في التعبير القرآني ، وهي نفس الابحاث المرعبة المليئة بالحركة السريعة التي مرت بنا في الداعي ومن تعبيرى الداعي والمنادي تشكل الصورة الثانية من صور النفي العام الذي يكون قوامه صوتاً مفزعاً ينادي الناس ، ويجمعهم من قبورهم الى ساعة الحساب .

ج - الصيحة والزجرة :

واخيراً فهناك اللوحة الثالثة التي يشكلها تعبيران ايضاً هما الصيحة والزجرة ، قال سبحانه وتعالى (ويقولون متى هذا الوعدُ ان كنتم صادقين ؟ ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخضعون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ، ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون ، قالوا : يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ؟ هذا ما وعد الرّحمنُ وصدق المرسلون ، ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميعٌ لدينا مُحضرون) (١) .

وقد فسرت الصيحة بالنفخة (٢) ، وتفسيرها هذا متأت من طبيعة استعمالها وكونها مبهمه غامضة ، فهي توحى مع السياق العام بكل معاني

(١) سورة يس ٣٦ : ٤٨ - ٥٣

(٢) جامع البيان ٢٣ : ١٤ ، التبيان ٩ : ٣٧٦ ، الكشاف ٣ : ١٦٥

الرعب والفتزع وبما ان النفخ في الصور او الناقور يتبعه صوت شديد يلائم شدة يوم القيامة فهذا الصوت هو الذي فهم منه معنى الصيحة فقالوا انها النفخة ، وفي قوله تعالى : (وَأَسْمِعُ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي مَنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) (١) . روي عن ابن عباس انه فسر المنادي بالصيحة (٢) . ونفهم هذا التفسير اذا تذكرنا ان نداء المنادي ، وصريخه عند الملمات انما يكون بصوتٍ مربعٍ عالٍ - كما مرَّ بنا - وان صوت المنادي يوم القيامة يكون مربعاً مفزَعاً عالياً لينبه الناس من قبورهم ويدعوهم ليوم الحساب .

والصباح في الاصل هو الصوت الشديد الجافي كما يقول صاحب العين (٣) . وقال السجستاني الصرخة : الصيحة الشديدة عند الفزع وقيل هو الصوت الشديد ما كان (٤) ، وهو الاصل الذي وضعه ابن فارس للكلمة حين قال (الصاد والياء والحاء اصل صحيح وهو الصوت العالي) (٥) وكما لازم المنادي والداعي البيئة العربية في حروبها ، وصريخها عند الملمات فكذلك الصيحة اذ انها اطلقت على الغارة اذا فوجيء الحبي بها (٦) وتصايح القوم بمعنى تداعوا (٧) ولما كان الصباح مقابلاً للصرينج الذي هو صوت غير اعتيادي فان سماعه يؤذن بشيء ، وأذى يلحق القوم

(١) سورة ق ٥٠ : ٤١

(٢) جامع البيان ٢٦ : ١٨٣

(٣) عن الخصاص ٢ : ١٣٣

(٤) ن ٢٠ م : ١٣٢

(٥) مقاييس اللغة ٣ : ٣٢٤

(٦) لسان العرب ٣ : ٣٥٣

(٧) اساس البلاغة : ٥٥٠

وانذار لهم من حادث مفاجيء مرعب . فاذا سمع الصياح تبادر الى
الذهن الرعب ، والفزع ، قال النابغة الذبياني :

كَأَنَّ عَلَى الْخُدُوجِ نِعَاجَ رَمَلٍ زَهَاها الرَعْبُ أَوْ سَمِعَتْ صِيحَا(١)
وقال ايضاً مادحا بني جذيمة بأنهم اذا سمعوا الصياح بادروا الى
الاجابة :

قَوْمٌ إِذَا كَثُرَ الصِّيْحُ رَأَيْتَهُمْ وَفِرَّأَ غَدَاةَ الرَّوْعِ وَالْأَنْفَارِ (٢)
وفي هذا دلالة على ماتوحيه كلمة الصيحة من انها وسيلة للنفير مقترنة
بالرعب والصوت المفزع في البيئة العربية ، ولما كانت الصيحة مقترنة بالفزع
فان الهلاك متوقع بعدها لأن فيها انذاراً لما بعدها . ومن هنا فسّر أبو عبيدة
الصيحة بالهلاك قال : (فَأَخَذَتْهُمْ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ أَيِ الْهَلَاكَةِ ، ويقال
صيح بهم أي أهلكوا) (٣) وذلك لأن الهلاك يتبع الصيحة القوية الصادرة
عن الرعب ، وهول الحادث .

أما الزجرة فقد قال تعالى : (يَوْمَ تَرُجِفُ الرَّاجِفَةُ ، تَتْبَعُهَا
الرَّادِفَةُ ، قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ، يَقْوَاونَ أَنْ نُلْمِدَ لِمُرْدُودُونَ
فِي الْخَافِرَةِ ، إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخْرَةً ؟ قَالُوا : تِلْكَ إِذْ أَكَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ،
فَأَمَّا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَاذًا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ) (٤) .

(١) ديوان النابغة الذبياني : ٢٧ ، وانظر شواهد أخرى من الشعر في

المفضليات : ١٢٤ ، الوحشيات : ٩٦ ، الحيوان : ٥ : ٦٠٢ .

(٢) ديوان النابغة الذبياني : ٦ .

(٣) مجاز القرآن ١ : ٣٥٤ .

(٤) سورة النازعات ٧٩ : ٦ - ١٤ ، والساهرة : وجه الأرض المستوية أنظر

الكشاف ٣ : ٣٠٩ ، المخصص ١٠ : ٦٨ ، ١٤٦ .

فقد فسرت الزجرة هنا بالنفخة (١) وقرنت بالصُّور قال السجستاني :
 (زجرة واحدة يعني نفخة الصُّور) (٢) . ثم فسر نوع الزجرة ودلالاتها
 فقال : (الزَجْرَةُ : الصيحة بشدة وانتهار) (٣) أما الزمخشري فقد فسرها
 بالصيحة ثم حدد الصيحة بأنها النفخة الأولى قال : (فان قلت يمّ تعلق
 قوله فانما هي زجرة واحدة ؟ قلت بمحذوف معناه ، لاستصعبوها فانها
 هي زجرة واحدة ، يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عزّ وجل
 فانها سهلة هينة ، ماهي إلا صيحة واحدة يريد النفخة الأولى) (٤) ، وحددها
 الطوسي بالنفخة الثانية (٥) .

وكما استطعنا ان نتعرف على سبب جمع المفسرين بين الصيحة والتعابير
 الأخرى للنفير ، فكذلك هنا ، لأنه لما كانت الآيات الكريمة التي تخص نفير
 يوم القيامة مرتبطة كلها بصوت مرعب مفزع ، فان هذا الجو نفسه يملأ
 ايجاء كلمة الزجرة مما يوجه المفسرين الى تفسيرها بالنفخة والصيحة ، ولم
 تقترن الزجرة بالصريخ المفزع عند الملهمات كما هو الحال بالصيحة فحسب
 انما الملاحظ اقترانها بالشدة والهول أكثر مما هو في الصيحة ، لما في الأولى
 من ايجاء القوة والعنف . هذا المعنى الشديد المرعب استمد ايجاءه من البيئة
 العربية نفسها حيث اطلقت الكلمة على معنى حسي يشهده العربي في كل
 وقت وهو معنى الصيحة والانتهار التي يزجر بها الحيوان ويساق على أثرها
 بشدة ، وعنف ، قال الخليل : (نَعَتَقَ الراعي بالغنم نعيقا : صاح بها

(١) تنوير المقياس : ٣٨٠ ، جامع البيان ٣٠ : ٣٥ .

(٢) غريب القرآن : ١٢٢ .

(٣) ن . م .

(٤) الكشف ٣ : ٣٠٩ .

(٥) التبيان ١٠ : ٢٥٤ ،

زجراً (١) ، وقال ابن سيدة في باب الزجر بالخيل ، والبغال ، والحمير :
(زَجَرْتُ الدابةَ والرجلَ والسبعَ ونحو ذلك ازجره زجراً ، وازدجرته
فازجره وازدجره) (٢) ، وقال الراغب : (الزجرةُ طردٌ بصوتٍ . .
ثم يستعمل في الطرد تارة ، وفي الصوت أخرى ، واستعمال الزجر لصياحهم
بالمطروود نحو ان يقال اعزبٌ وتنحَّ وراءك) (٣) .

وقد اختلف في هذا الصوت الذي يُزجرُ به الحيوان تبعاً لنوع
الحيوان ، وما اعتاده من الصوت الذي يؤثر فيه ويخرجه (٤) ، ومن هنا
قيل زجرَ البعيرَ أي ساقه (٥) ، لأن السوق نتيجة للصيحة أو نتيجة لزجر
الراعي لها بشدة تدفعها نحو المسير ، ومن هنا جاء تفسيرهم لقوله تعالى :
(والصفاتِ صفناً ، فالزاجراتِ زجراً) (٦) حيث فسرت الزاجرات
بالملائكة لأنها تزجرُ السحابَ أي تسوقه (٧) .

وسوق الابل بالزجر ينم عن قوة وشدة اعتماد العربي ان يسوق ابله
بها اذا اراد اسراعها أو اذا أحجمت عن المسير ، ومن هنا عابوا على امرئ
القيس قوله في مفاخرته مع علقمة الفحل واصفاً فرسه :

(١) العين : ٨٩ .

(٢) المخصص ٦ : ١٨٢ .

(٣) المفردات : ٢١١ .

(٤) التهذيب : الورقة ١١٧ ، ١٣٣ ، وانظر أيضاً الغريب المصنف الورقة

٣٩٠ ، المخصص ٧ : ٨٠ .

(٥) الصحاح ٢ : ٦٦٨ ، لسان العرب ٥ : ٤٠٧ .

(٦) سورة الصفات ٣٧ : ١ - ٢ .

(٧) جامع البيان ٢٣ : ٣٣ ، أساس البلاغة : ٣٩٤ .

فللساقِ الهُوبُ وللسوطِ دِرَّةٌ

وللزجرِ منه وَقَعُ أهوجَ مِسْعَبُ (١)

ذلك لأن الفرسَ الجيدة لا تحتاج الى القوة والزجر في سيرها ، فاعتبر هذا مأخذاً عابوه عليه (٢) .

وإذا زجرت الابل فانها لانسرع فحسب بل تصيها الخفة والطيش لما في الزجرة من نَهْرٍ شديد يثير رعبها وخوفها ، ومن هنا فخرؤا بالناقة التي لاترعب اذا زجرت (٣) .

وإذا كانت الغارات المفاجئة تستدعي السرعة في الهجوم والكر والفر فقد اقترن الزجر باختلاط أصواتهم في الحروب ، قالت الخرنق بنت هفان (٤) .

قَوْمٌ إذا ركبوا سَمِعَتْ لَهْمُ لَغْطاً من التأييهِ والزجرِ (٥)
وأنشد أبو عثمان المازني (٦) :

(١) ديوان امرئ القيس : ٥١ .

(٢) الصناعتين : ٧٤ .

(٣) أراجيز العرب : ١٧ ، أنظر أيضاً المخصص ٧ : ١٢٣ .

(٤) هي الخرنق بنت بدر بن هفان وبعضهم يسميها الخرنق بنت هفان من بني ضبيعة ، وهي اخت طرفة بن العبد لامة ، شاعرة من الشهيرات في الجاهلية تزوجها بشر بن عمرو بن مرثد سيد بني أسد وقتله بنو أسد فكان أكثر شعرها في رثائه ورثاء أخيها طرفة أنظر خزانة الأدب ٢ : ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

(٥) الحجاسة البصرية : الورقة ١٢٤ (أ) .

(٦) هو بكر بن محمد بن حبيب بن بقيه ، أبو عثمان المازني من مازن شيبان أحد الأئمة في النحو . من أهل البصرة ووفاته فيها . أنظر معجم الأدباء ٢ : ٢٨٠ فما بعدها .

لما سَمِعْتُ زَجْرَهُمْ هِقَاطُ عَاسِمَتْ أَنْ فَارِساً مُنْحَطُّ (١)
 ومن هذا المعنى الحسي جاء الاستعمال المعنوي للزجر وهو دلالة على
 النهي ، والرَدع مطلقاً . قال الزجاج الزجر : النهي (٢) . وقد وردت بهذا المعنى
 في الشعر الجاهلي (٣) . ومنها قالوا : الزواجر : المواعظ لأنها تزجر الانسان
 وتمنعه عن السيئات (٤) .

ومن هنا يتضح لنا ان استعمال الزجرة في القرآن الكريم مطلقة يزيد
 من ايحاء العنف والقوة الذي لازم ساعة الذشور لأنها صوت مبهم ، ولكنه
 مفزع يرعب كل من يسمعه ، وقد قرن الزمخشري الزجر بمعناه الحسي حين
 فسّر الآية قال هو (من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه) (٥) وقد مر
 بنا ان زجر البعير ليس صياحا عليه فحسب بل هو نهر ، وسوق بشدة
 وقوة مما جعل الزجرة في القرآن الكريم وسيلة للتفكير تثير في الذهن صورة
 للبيئة العربية مقترنة بالرعب والسرعة والسوق الشديد ، فكأن الناس لا يوقظون
 على الصوت المفزع فحسب انما يساقون ويدفعون بكل ما تحمله كلمة السوق

(١) الكامل للمبرد ١ : ٢٣٧ .

(٢) لسان العرب ٥ : ٤٠٧ ، وانظر أيضاً الصحاح ٢ : ٦٦٨ .

(٣) أنظر ديوان النابغة الذبياني : ٦٨ ، ديوان الحطيئة : ١٧٥ ، ديوان

عروة بن الورد : ٧٢ ، شرح ديوان كعب بن زهير : ٢١٣ ، الكامل للمبرد ١ : ١١٦ .

(٤) أساس البلاغة : ٣٩٤ . وهو المعنى الذي فسر به قوله تعالى في سورة

القمر ٥٦ : ٤ (ولقد جاءهم من الأنبياء ما فيه مزدجر) ، فقصص الأنبياء ،

والاقوام السالفة زجر للمشركين ، لأن فيها ما يردعهم ، ويزجرهم عما هم عليه مقيمون

من التكذيب بآيات الله . جامع البيان ٢٧ : ٨٩ .

(٥) الكشف ٣ : ٣٠٩ .

من معاني الذلة والعنف تماماً كما يساق ويزجر البعير الذي تَعَوَّدَ القوة والعنف من صاحبه .

فحشر الناس من قبورهم مصحوب في كل صور النفير بالرعب والفرع ، وقد أضاف تعبير الزجرة معنى آخر هو الذل والعنف ، كما ان توكيدها بكلمة (واحدة) يدل على القوة والسرعة لأنها تبين سهولة قيام الساعة عند الله ، وسرعة قيامها إثرَ صيحة وزجرة واحدة لا أكثر .
وبهذين التعبيرين الصيحة والزجرة تتشكل في الذهن لوحة ثالثة للنفير وحشر الناس إثرَ منبه عظيم يرعبهم .

هذه اللوحات الثلاث عرضت في القرآن الكريم لبيان غرض واحد هو النفير الذي يُحشَرُ بواسطته الناس يوم القيامة ، وإذا كانت هذه التعابير قد اختلفت وتنوعت فان الروح مشتركة فيها جميعاً ، فالصُور والناقور قِوام اللوحة الأولى هما وسيلتا النفير ينفخ فيهما فيسببان صوتاً مرعباً يجتمع على إثره الناس . أما الداعي والمنادي فانها يصيحان بصوت مرعب مفرع فيهرع الناس نحوهما تلبية للنداء ، وقد ذهلت عقولهم ، وفزعت قلوبهم . أما الصيحة والزجرة فقد صورتا النفير بصوت مرعب واحد يفاجيء الناس فيحشروهم ليوم القيامة . فصوت النفير المرعب مشترك في اللوحات الثلاث ، كما ان الايحاءات التي رسمها الآيات الكريمة في الذهن هي نفسها في كل التعابير الا وهي الفرع واسراع الناس نحو النفير ، وقد ذلت نفوسهم واحاطهم الرعب والفرع ، وشغِل كل منهم عن غيره ، لا يفكر إلا في الهول الذي ينتظره ، والذي رأى بوادره في النفير المفرع الذي دعوا بواسطته

٢ - مدة النفير :

حين كثرت التعابير التي تصور النفير اختلط على المفسرين أمر تحديد

المرات التي يدعى فيها الناس الى النفير لذلك نراهم مثلاً قد اختلفوا في تحديد الصيحة ، فقد فسرها بعضهم مطلقة عن التحديد بالنفخة الأولى ، أو الثانية أو الثالثة عند بعض المفسرين (١) وعند الطوسي والزمخشري النفخة الثانية (٢) وفسرها الطبري بالنفخة الثالثة (٣) ، وكذلك الحال مع الزجرة (٤) .

واختلاف المفسرين في تحديد المرات التي يدعى فيها الناس يمكن أن نجد له تعليلاً ، فهم لم يفهموا ان التعابير الستة التي مرت بنا إنما هي وسائل متعددة الوجوه لبيان صورة واحدة هي صورة النفير الذي يدعى بواسطته الناس وان هذه التعابير تشترك كلها في بيان هذه الصورة ، ثم اننا نجد في سياق الآيات التي ورد فيها ذكر الصور اشارات الى تكرار النفخ فيه ، مما يدفع الذهن الى الاعتقاد بتكرار النفير أكثر من مرة قال الله سبحانه وتعالى (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) (٥) وقال أيضاً (يَوْمَ تَرْجَفُ الرَّاجِفَةُ ، تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ) (٦) .

ويبدو انه لانعراض بين توكيده عز وجل الآيات التي تخص النفير بكلمة (واحدة) (وما يَنْظُرُونَ هَوْلًا إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِّمَّا مِنْ فُتُوقِ) (٧)

(١) جامع البيان ٢٣ : ١٤ ، الكشاف ٣ : ٥٥ .

(٢) التبيان ٩ . ٣٧٦ ، الكشاف ٣ : ١٦٥ .

(٣) جامع البيان ٢٣ : ١٧ .

(٤) التبيان ١٠ : ٢٥٤ ، الكشاف ٣ : ٣٠٩ .

(٥) سورة الزمر ٣٦ : ٦٨ .

(٦) سورة النازعات ٧٩ : ٦ - ٧ .

(٧) سورة ص ٣٨ : ١٥ .

لاتعارض بين هذا التوكيد وبين فهم المفسرين للنفخات وتحديدتها بالأولى والثانية والثالثة ! لأن النفير الذي يدعى اليه الناس إنما يكون مرة واحدة سواء كان ذلك بالصُّور أو بدعوة الداعي ، وإنما يُنْفَخُ في الصُّور أول مرة فتموت الخلائق وهي التي يصعق لها من في السماوات والأرض ، وتختتم فيها الحياة ، وتتلو هذه نفخة أخرى وهي نفخة النفير التي تبعث الناس من قبورهم لإعلاماً لساعة الحساب ، ومن هنا نجد ان النفير ليوم القيامة إنما يكون بنفخة واحدة لاعلاقة لها بالنفخة التي تسبق موت الخلائق ، وفناء العالم ، وهي بهذا لاتدخل ضمن بحثنا للنفير وحشر الناس من قبورهم . ونجد لهذا التوكيد دلالة أخرى وهي تصويرها لسرعة مدة النفير ، وانه يكون بطواعية ودون تأخير ، ومما يؤكد كون التعابير الستة السابقة وسائل عديدة لتصوير النفير وانها لايراد بها تحديد عدد المرات ان كلمة (واحدة) لازمت النفخة ، والصيحة ، والزجرة ، فلو كان القصد اظهار العدد للزمت تعبيراً واحداً دون التعابير الأخرى .

وعند النفير المرعب الذي يذبه الناس بواسطته يجدون أنفسهم وجهاً لوجه أمام الهول والفرزع ، وتنقسم الأواصر الدنيوية التي يتقرب بها الناس بعضهم الى بعض ، فلا انساب تنفعهم ولا سلطان ينتشلهم من العذاب الذي ينتظرهم فيتمنون العودة الى الحياة الدنيا ، وانى لهم ذلك ؟ اذ لامفر لهم بعد ان قامت الساعة ونُودِيَ للحساب . هذه الفكرة صورت بتعبير رائع في آية قرآنية كريمة تعكس لنا صورة زاخرة بالحياة الانسانية وفيها انعكاس للبيئة العربية : قال سبحانه وتعالى (كَذَّبَتْ قَبِيلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ، وَثَمُودَ وَقَوْمَ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ، إِنَّ كُلَّ الْأَكْذَابِ الرِّسَالِ فَحَقَّ عِقَابٌ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ

الا صيحة واحدة مالها من فُواق (١) :

وقد اختلف المفسرون في قراءة الفواق بالفتح أو الضم ، واختلفوا في تفسيرها تبعاً لذلك قال الفراء : (مالها من فُواق يقرأ بالضم والفتح أي مالها من راحة ، ولا افاقة ، ولا نظرة ، وأصلها من الافاقة في الرضاع اذا ارتضعت البهمة امها ثم تركتها حتى تنزل شيئاً من اللبن فتلك الافاقة الفواق) (٢) . وقال أبو عبيدة مالها من فُواق من فتحها قال : مالها من راحة ، ومن ضمها فُواق وجعلها من فُواق ناقة وهو ما بين الحلبتين) (٣) أما الطبري فاختلف القراءة لاتعني عنده اختلافاً في المعنى لأنها قراءتان لكلمة واحدة تعنيان معنى واحداً (٤) . وقد جمع الزمخشري المعنيين في تفسيره حين قال : (مالها من فُواق وقرىء بالضم مالها من توقف مقدار فُواق الناقة وهو ما بين حلبتي الحالب ، ورضعتي الراضع ، يعني اذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى : (فاذا جاءَ أجلُهُم لا يستأخرونَ ساعةً) (٥) .

أما عند اللغويين فنجد ان ابن فارس قد وضع معنى الاوبة والرجوع أصلاً للكلمة ، وحاول ان يربط المعاني الأخرى به كـفُواق الناقة مثلاً ، ولكن الظاهر ان معنى الاوبة والرجوع متأخر عن معنى فُواق الناقة ،

(١) سورة ص ٣٨ : ١٢ - ١٥ .

(٢) لسان العرب ١٢ : ١٩٤ .

(٣) مجاز القرآن ٢ : ١٧٩ ، غريب القرآن : ١٨٥ ، تأويل مشكل القرآن

١١٣ ، مجالس ثعلب ١ : ١٦١ ، الصحاح ٤ : ١٥٤٦ ، مقاييس اللغة ٤ : ٤٦١ ،

المخصص ٧ : ٣٧ .

(٤) جامع البيان ٢٣ : ١٣٣ .

(٥) الكشف ٣ : ٤٦١ .

وذلك لأن الثاني معنى حسي اسبق في الوجود في البيئـة الغربية التي اهتمت اول ما اهتمت بالمعاني المتعلقة في بيئتها ، ثم اشتقت منها المعاني الأخرى ومنها المجازية مثلاً .

وفوق الناقة رجوع اللبن في ضرعها بعد الحلب (١) ، أو هو ما بين الحلبتين من الوقت ، لأنها تحلب فترة ثم تترك يرضعها الفصيل لتـدرّ ثم تُحلب (٢) وقد وردت في الشعر الجاهلي دالة على هذا المعنى الحسي كما وردت في شواهد أخرى دالة على المعاني المجازية قال الأعشى :

حتى اذا فـيـقـةً في ضرعـيـها اجتمعت

جاءت لترضع شقّ النفس لو رضعاً (٣)

وقال أيضاً متغزلاً بصاحبه مشبها إياها بالطيبة ثم يستمر واصفاً الطيبة :

ماتعادي عنه النهار ولا تعـ جـوهُ الا عفاقة أو فوق

أي انها لا تبتعد عن رضيعها طول النهار ، ولا تؤخر رضاعته الا ربما يجتمع في ضرعها بعض اللبن (٤) وقال الطرماح وهو الشاعر الخارجي الذي ينحو في شعره نحو الاعراب وأهل البادية قال يصف سرعة قداح اجيلت فيشبهها بغزلان تذكرت فيقة ارامها :

تـخـوـرُ بالأيدي اذا استـعـجـلـتْ عـدوّاً على خـفـةِ اجسامها

خوارَ غزلانَ ليوى هيثمـ تذكرتْ فيقة ارامها (٥)

ووردت كذلك في الحديث النبوي الشريف في قوله (ص) من قاتل

(١) العين : الورقة (٥٦) ، مقاييس اللغة ٤ : ٤٦١ .

(٢) تأويل مشكل القرآن : ١١٣ ، الصحاح ٤ : ١٥٤٦ ، غريب القرآن : ١٨٥

(٣) ديوان الأعشى : ١٣ ، وانظر أيضاً شرح القصائد السبع : ١٣ .

(٤) ديوان الأعشى : ٣٢ .

(٥) ديوان الطرماح : ١٦٣ .

في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة (١) . وروى عنه (ص) انه قال :
عيادة المريض قدر فواق ناقة (٢) . ومن هذا المعنى الحسي اشتقت باقي
المعاني الأخرى المعنوية منها والحجازية فالأفريقيق ما اجتمع من السحاب من
ماء فهو يمطر ساعة بعد ساعة (٣) . وصورة فواق الناقة واضحة هنا في
اجتماع الماء في السحاب بين الفينة والأخرى .

ومن الحجاز تَفَوَّقْتُ الماءَ شَرَبْتَهُ شيئاً بعد شيء (٤) ، وكذلك
الفُوق وهو الذي يأخذ الانسان عند النزاع ، وكذلك الريح التي تشخص
في صدره (٥) والفواق ترديد الشهقة (٦) فكأن نزع الموت سمي فواقاً لأن
الروح عند النزاع تقبض ثم تعود ، كما يرجع اللبن عند فواق الناقة .

وقولهم مايفيق وما يستفيق من الشرب (٧) : واستفاق من مرضه
وأفاق (٨) . وهذا المعنى مستمد أيضاً من المعنى الحسي المستعمل في الآية
وهو فواق الناقة ، وقد صرّح المفضل بن سلامة بهذا الأصل وعلاقته
بافاقة الشرب ، (مايفيقُ وما يستفيق من الشرب معناه انه لايدعه ، وأصل
هذا من قولهم استفقتُ الناقةَ وهو ان تحلبها ثم تدعها حتى يثوب لبنها

(١) سنن الدارمي ٢ : ٢٠١ ، وانظر أيضاً مسند الامام أحمد ٢ : ٢٠٦ .

(٢) لسان العرب ١٢ : ١٩٤ .

(٣) أساس البلاغة : ٧٣٢ ، المخصص ٧ : ٣٨ .

(٤) أساس البلاغة : ٧٣٢ ، المخصص ٧ : ٣٨ ، ٩ : ١٠٨ .

(٥) الصحاح ٤ : ١٥٤٦ ، المخصص ٣ : ١١٧ ، ٥ : ٧٨ .

(٦) لسان العرب ١٢ : ١٩١ ، النوادر ١ : ١٠٣ ، المخصص ٦ : ٢٣ .

(٧) الفاخر : ٢٨١ .

(٨) الصحاح ٤ : ١٥٤٧ ، المخصص ٥ : ٨٧ .

ثم تحلبها . فقوطم مايفيق وما يستفيقُ أي ليس له وقت معلوم . (١) .
ومن هنا نرى ان قوله سبحانه وتعالى : (وما يَنْظُرُ هُوَ لِإِصْبَحَةٍ
واحدةً ما لها من فواق) (٢) انما يرسم للسامع صورة واضحة الملامح للبيئة
العربية اذ انها توحى أول ماتوحي بالأصل الحسي وهو فواق الناقة الى
جانب المعنى المجازي المراد من الآية وهو معنى العودة والرجوع . ونحن
نعرف أهمية الناقة في الحياة العربية وصلة العربي بها ، وكيف ان لغته قد
وفرت بالألفاظ التي تخص الابل (٣) . فتنقل الآية الكريمة الى ذهن الفترة
القليلة التي يستلزمها فواق الناقة ، ويعكس لنا هذا المعنى أهمية الناقة ،
وكيف انها ربطت حياة العرب بها حتى صار يحدد بعض أوقاته ، بظاهرة
تحدث أمام ناظره ، وهي الفترة القصيرة التي تستدعي نزول اللبن من الضرع
ومن هنا جاء الاعجاز القرآني يرسم صوراً أشتى في ذهن القارئ في كلمة
واحدة لها دلالتها على البيئة العربية كالفواق بدل ان يقرر بتعبير معنوي
خالص بأن النفير الذي يدعى اليه الناس لامفر منه ولا مهرب من عذابه ،
وقد أكد هذا المعنى في آيات أخرى للدلالة على سرعة قيام الساعة (وما
أمرُ الساعةِ الا كَإِصْبَاحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) (٤) . (وما أمرنا إلا
واحدة كلمح بالبصر) (٥) .

هذه هي صور النفير بتعابيرها المختلفة التي تصور سرعة قيام الناس

(١) الفاخر : ٢٨١ ،

(٢) سورة ص ٣٨ . ١٥ .

(٣) أنظر المخصص كتاب الابل ٧ : ١ - ١٧٤ .

(٤) سورة النحل ١٦ : ٧٧ ،

(٥) سورة القمر ٥٤ : ٥٠ .

من قبورهم والهلع الذي يعتمورهم عند سماعهم صوت النفير المفزع ، وفي كل هذه الصور وجدنا ملامح متعددة للجوانب للبيئة العربية تسرع الى الذهن لترسم صورة حية الى جانب المعنى المعنوي المراد ابضاحه في الآيات الكريمة .



Faint, illegible text at the top of the page, possibly bleed-through from the reverse side.



الفصل الثاني

اضطراب السماوات والأرض

١ - اضطراب الأرض .

أ - رجتها وزلزلتها

ب - تكسر الجبال وتفتتها

١ - سير الجبال وتشبيهها بالسراب

٢ - نسفها

٣ - بسها

٤ - تشبيهها بالعهن

٥ - سرعة انهيارها

٢ - اضطراب السماوات

أ - تحولها الى سائل

ب - دورانها

ج - تشققها وانفطارها

د - تناثر النجوم

١ - اضطراب الأرض

بعد مشهد النفير المفزع الذي مرت بنا صورته سابقاً تحدث في الكون عدة ظواهر تشترك كلها في اظهار جو رهيب مفزع يقف الناس أمام هوله وفي كل تعبير نجد تصويراً انسانياً رائعاً وتجسيداً واضحاً للبيئة العربية .

أ - رجتها وزلزلتها

ان الظاهرة التي تعرض للارض عبر عنها بعدة تعابير تشترك كلها في إيجاد صورة واحدة تتمثل فيها حالة الأرض بعد النفير . قال الله سبحانه وتعالى : (واستمع يومَ ينادي المنادي من مكانٍ قريبٍ ، يومَ يسمعونَ الصيحةَ بالحقِ ذلكَ يومُ الخروجِ ، إنا نحنُ نُحْيِي ونُمِيتُ ، وإنا المصيرُ يومَ تَشَقَقُ الأَرْضُ عنهم سِراعاً ذلكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ) (١) .
فالأرض بعد صيحة المنادي تتصدع وتتفطر كما يقول المفسرون (٢) . وفي سورة الواقعة نجد تصويراً لحال الأرض فيه حركة ملازمة للتشقق ، والتصدع . قال سبحانه وتعالى : (اذا وقعت الواقعةُ ، ليس لوقعتها كاذبةٌ خافِضَةٌ رافعةٌ ، اذا رُجَّتِ الأَرْضُ رجا ، وبُسَّتِ الجبالُ بساً) (٣) .
فرجة الأرض هنا معناها اضطرابها ، وحركتها السريعة أثر صعقة النفير (٤)

(١) سورة ق ٥٠ : ٤١ - ٤٥ .

(٢) مجاز القرآن ٢ : ٢٤٧ ، جامع البيان ٢٦ : ١٨٤ ، التبيان ٩ : ٣٧٥ ،

الكشاف ٣ : ١٦٥ .

(٣) سورة الواقعة ٥٦ : ١ - ٥ .

(٤) مجاز القرآن ٢ : ٢٤٧ ، جامع البيان ٢٧ : ١٦٧ ، التبيان ٩ : ٤٨٨ .

والرج في اللغة (أصل يدل على الاضطراب . . . والرج تحريك الشيء
تقول رججت الحائط رجا ، وارتج البحر) (١) وقال ابن دريد (وسمعت
رجة القوم ، أي أصواتهم ، وكذلك رجة الرعد أي صوته) (٢) .
فكأن القوم لا يسمع صوتهم الا اذا اضطربوا ، وارتجوا لأمر مفزع ،
وكذلك الرعد يسمع صوته حين تصطدم سحابتان بعضها ببعض ، فكأن
صوتها يأتي نتيجة الاضطراب والرجة .

وهناك دلالة حسية أخرى غير معنى الاضطراب ، وهي تلك التي
أشار اليها أبو عبيدة بقوله منسراً رجة الأرض : (اضطربت والسهم يرتج
في الغرض) (٣) . وقال الطبري : (اذا رجت الأرض رجا ، يقول تعالى
اذا زلزلت الأرض فحركت تخريكا من قولهم السهم يرتج في الغرض بمعنى
يهتز ويضطرب) (٤) .

وهذا التفسير ينقل الى الذهن صورة الريح حين يرتج ويضطرب .
بالاضافة الى دلالاته على لصوق صورة الريح في البيئة العربية المضطربة ،
حيث الغزوات المفاجئة والموت المحتم اذا اهتز الريح ، واضطرب في يد
حامله . ولطالما ذكر الشعراء الرماح وآلات الحرب في أشعارهم ، ووصفوها
بدقة ، لأنها ركن أساسي في حياتهم المضطربة (٥) .

(١) مقاييس اللغة ٢ : ٣٨٤ ، وانظر أيضاً المفردات : ١٨٦ ، أساس
البلاغة : ٣٢٣ ، لسان العرب ٣ : ١٠٦ .

(٢) جمهرة اللغة ١ : ٥١ ، وانظر شاهد الشعر في ديوان امرئ القيس : ٢١٦

(٣) مجاز القرآن ٢ : ٢٤٧ .

(٤) جامع البيان ٢٧ : ١٦٧ ، وانظر أيضاً التبيان ٩ : ٤٨٨ الكشاف ٣ : ١٩٩

(٥) أنظر في هذا الموضوع بحث وصف الرماح في البيئة الجاهلية في كتاب

الوصف في شعر العراق : ٥٨ ،

ومع اقتران هذا التوجيه بصورة واضحة من البيئة العربية وهي اهتزاز
الرياح ، فان هناك تصويراً أشمل لرجة الأرض المرعبية ، وذلك ان ترج
الأرض فيضطرب على أثرها كل ما وجد عليها من بناء ، وجبال ، فتتداعى
أركان الكون الواحدة تلو الأخرى وقد ذكره الطوسي الى جانب
اهتزازة الرمح بقوله : (وقيل ترج الأرض بمعنى انه ينهدم كل بناء على
الأرض) (١) . وقال الزمخشري : (رجت الأرض ، حركت تحريكاً
شديداً حتى ينهدم كل شيء فوقها) (٢) ،

فالأرض عند اضطرابها ترتجج رجاً شديداً مرعباً مثل ارتجاج الرمح
عند اشتداد الحروب ، ونتيجة هذه الاضطرابات السريعة يسود الاضطراب
للكون كله ، فينهدم كل ما عليها من بناء وجبال .

والزلزلة تعبير آخر يصور الظاهرة التي تعرض للأرض ، وقد فسرت
بالاضطراب ، والحركة الشديدة ، قال ابن عباس (تزلزلت الأرض زلزلة
واضطربت الأرض اضطراباً ، فانكسر ما عليها من الشجر ، والجبال ،
والبنيان) (٣) . ولعل أقرب المعاني الحسية التي وصلتنا لاستعمال الكلمة هي
زلزلة الأرض على اعتبارها إحدى الظواهر الطبيعية التي تحدث في الأرض
قال ابن دريد : (الزلزلة الاضطراب . أخذ من زلزات الأرض زلزالا) (٤)
ومن هذا المعنى زلة القدم ، وذلك ان يقال : (زلزلت يافلان

(١) التبيان ٩ : ٤٨٨ .

(٢) الكشاف ٣ : ١٩٣ .

(٣) تنوير المقياس : ٣٩٤ ، جامع البيان ٣٠ : ٣٦٥ ، وانظر أيضاً جمهرة

اللغة ١ : ١٤٩ مقاييس اللغة ٣ : ٤ ، لسان العرب ١٣ : ٣٢٧ .

(٤) جمهرة اللغة ١ : ١٤٩ ، معجم مقاييس اللغة ٣ : ٤ .

بالفتح ، تَزَلُّ زليلاً ، اذا زلَّ في طين (١) . و (زحلوقة زُلَّ أي
زَلَّتْ ، قال الراجز :

لمن زحلوقة زُلَّ بها العينان تُتَهَلُّ (٢)

وهذا الاستعمال مرتبط بالاستعمال المادي ، وهو الاضطراب ، فكأن
الأرض تضطرب تحت قدمي الرجل ، فيقال عنه زلت قدمه (٣) .
لقد اقترنت الزلزلة بالاضطراب ، والحركة المفزعة في الذهن العربي
لما تتركه من أخطار ، وآثار جسيمة في أرواح الناس ، وممتلكاتهم ، وهذا
الاقتران هو الذي جعلهم يطلقون الكلمة على المصيبة والداهية (٤) . قالت
الخنساء ترثي أباها بأن الجبال الشوامخ رجت لمصيبة فقده ، وان الأرض
هي الأخرى اضطربت وزلزلت :

فإنْ تلكُ مرَّةٌ أودتْ به فقد كان يكـثرُ تَقْتُلُهـا
فحزَّ الشوامخُ من فقده وزلزلت الأرضُ زِلزالها (٥)

(١) لسان العرب ١٣ : ٣٢٥ .

(٢) الصحاح ٥ : ١٧١٧ ، وانظر أيضاً لسان العرب ٣ : ٣٢٥ ، والبيت

غير منسوب .

(٣) أنظر في هذا ديوان الخطيئة : ٥٥ ، المفضليات ٩٥ ، ٢٣٩ ، شرح

ديوان الحماسة ٢ : ٨٩٧ ، ١ : ٤٥٣ .

(٤) التهذيب ١ : الورقة (١٢٣) جمهرة اللغة ١ : ١٤٩ ، الصحاح ٥ :

٧١٧ ، أساس البلاغة : ٤٠٥ ، لسان العرب ١٣ : ٣٢٧ ، وبهذا المعنى فسر قوله تعالى

(وزلزلوا زلزالاً شديداً) سورة الاحزاب ١٣ : ١١ ، أنظر مجاز القرآن ٢ : ٢٣٤

تفسير التستري ١٦ ، تفسير ابن أبي حاتم الرازي : الورقة ٣ (ب) لسان العرب ١٣ : ٣٢٧

(٥) الكامل للمبرد ٣ : ١٢١٦ ، والبيت الثاني غير موجود في شرح ديوان

الخنساء : ٢١٨ ، وانظر أيضاً أمالي البزدي : ٣٢ ، وانظر أيضاً ديوان المزد بن

ضرار : ٣٥ .

ومن هنا يتضح معنى الزلزلة وما توحيه من الاضطراب ، والحركة السريعة الشديدة وحين نفهم هذه المعاني نستطيع ان نتحسس أي معنى مفزع ، وحركة مرعبة توحىها الآيات الكريمة : (اذا زُلزِلتْ الارضُ زِلْزَالَهَا ، وَأُخْرِجَتِ الارضُ اِثْقَالَهَا ، وَقَالَ الْاِنْسَانُ : مَا لَهَا ؟ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ اٰخْبَارَهَا) (١) . فنجد فيها تصويرا حيا لحال الارض بعد التغير بحيث ترج رجا شديدا وتزلزل بما فيها من جبال واناس ، وتلفظ ما في جوفها من الدفائن وهي ترسم في الذهن زلزلة الارض ، واضطرابها الشامل كما ترسم لنا ذلك الاضطراب الذي يعترى الانسان ، فيشعر كأن الأرض تهتز تحته ، وتضطرب .

ب - تكسر الجبال وتفتتها :

اما الجبال فانها هي الاخرى يصيبها من الاضطراب ما يصيب الأرض من هول موقف القيامة ولتصوير حال الجبال ، واضطرابها عدة تعابير قرآنية تجتمع كلها لايجاد صورة واحدة لاضطراب الجبال يوم القيامة . وفي كل تعبير منها نجد دلالة واضحة للبيئة العربية واول هذه التعابير هو ١ - سير الجبال وتشبيهها بالسراب :

تسير الجبال من أول الصور التي تصور حال الجبال يوم القيامة : قال الله تعالى : (يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ ، وَتَرَى الارضَ بَارِزَةً ، وَحَشَرْنَا هُمْ فَلَمْ نَعَادِرْ مِنْهُمْ احدا) (٢) .

وفي سورة النمل شبه سير الجبال بمرور السحاب : (وترى الجبال

— اليزيدي : ٣٢ ديوان المزدرد بن ضرار : ٣٥

(١) سورة الزلزلة ٩٩ : ١ - ٤

(٢) سورة الكهف ١٨ : ٤٦

تحسبها جامدة وهي تمر مرّ السحاب . (١) . قال ابن عباس : (ساكنة مستقرة ، وهي تمر مرّ السحاب في الهواء) (٢) . وفي الطبري رواية أخرى عن ابن عباس ايضاً تغلّ كون الجبال جامدة (لانها تُجمعُ ، ثم تُسَيَّرُ : فيحسب رائبها لكثرتها انها واقفة ، وهي تسير سيراً حثيثاً كما قال الجعدي :

بأرعن مثل الطودِ تحسبُ انهم

وقوفُ لحاج : والركابُ تهملُ (٣)

واضاف الطوسي : (اي من اجل كثرتهم ، والتغافل عنهم تحسب انهم وقوف ، فكذلك الجبال) (٤) .

وذكر القاضي عبد الجبار بن احمد (٥) تعليلاً آخر لهذا التعبير : وهو قوله ، (وقد قيل انها تبلغ في سرعة الحركة ، مالا يكاد يظن انها

(١) سورة النمل ٢٦٧ : ٨٨

(٢) تنوير المقياس : ٢٣٩ ، وانظر ايضاً جامع البيان ١٥ ، ٢٥٧ ، ٢١

الكشاف ٢ ، ٢٦١

(٣) جامع البيان ٢٠ ، ٢١ ، والبيت في ديوان النابغة الجعدي ١٨٧ ، الارعن يريد به الجيش العظيم شبهه بالجبل الضخم ذى الرعان وهي الفصول ، وقيل الارعن لكثرتهم ، وتهملج تمشي المهملجة وهي السير الحسن في سرعة . والبيت شاهد على ان الشيء الضخم تراه وهو يتحرك فتحسبه جامدا ساكناً مع انه مسرع في سيره . . . وذلك هو شأن الجبال يوم القيامة .

(٤) التبيان ٨ : ١٢٤ وانظر ايضاً ٢ : ٤٦٣

(٥) هو عبد الجبار بن احمد الهمداني ، قاضي اصولي كان شيخ : المعترلة

في عصره ولقب بقاضي القضاة توفي سنة ٤١٥ هـ انظر تاريخ بغداد ١١ : ١١٣

لسان الميزان ٣ : ٣٨٦

مُتحرّكة خصوصاً اذا كان المرء يتحرك مع حركتها : فيكون اسرع
كراكب السفينة ، فانه يظن مع سائر الركاب انهم ساكنون ، وان كانوا
يتحركون اسرع حركة (١) .

ومشهد سير الجبال شبه في سورة النبأ بالسراب ، وسنجد ما لهذا
التعبير ، من دلالة على الهيئة العربية . قال الله تعالى : (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي
الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ، وَفُتِّحَتْ السَّمَاوَاتُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ، وَسُيِّرَتِ
الجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا) (٢) .

قال الطبري مفسراً هذا التشبيه : ونسفت الجبال ، فاجتثت من
اصولها : فصيرت هباء منبثاً لعين الناظر كالسراب الذي يظن من يراه عن
بعد ماء وهو في الحقيقة هباء (٣) وقد قال اللغويون عن السراب بانه
الذي تراه في نصف النهار كأنه ماء (٤) .

وتشبيه الجبال بالسراب له دلالة جميلة على البيئة العربية : فطالما
عانى العربي في صحرائه الواسعة من خداع السراب حين يراه امام ناظره
ويتصوره ماء ، ولكنه في حقيقته من خدع الصحراء ومن خيال العربي
المتعطش الى الماء . قال الاعشى في حديثه عن سد مأرب : وكيف انه
بتدميره اضاع المياه على بني حمر .

فطارَ القَيْسُولُ وقيلاً تُها بيهماءَ فيها سرابٌ يَطِمْ (٥)

(١) تنزيه القرآن : ٢٦٤

(٢) سورة النبأ ٧٨ : ١٨ - ٢٠

(٣) جامع البيان ٣٠ : ٨ : وكذا فسر قوله تعالى في سورة التكاوير ٨١ : ١

انظر جامع البيان ٣٠ : ٦٥ ، الكشاف ٣ : ٣١٥

(٤) الصحاح ١ : ١٤٧ ، لسان العرب ١ : ٤٤٨

(٥) ديوان الاعشى : ٤٣

يريد بذلك ان هؤلاء القبول قد ابدلوا بالماء الوفير الذي كان متوفراً قبل انفجار سد مأرب بالحرمان من الماء : والضلال في الصحراء الواسعة حين لا يجدون الا السراب الخداع المؤلم . وقال لبيد مفتخراً بناقته التي تنحمل المسير في البيداء حيث يرتفع فيها السراب ، ويشتمد الحر :

فبتلك اذ رقص الآوامع بالضحى واجتاب اردية السراب إكامها (١)

وقال آخر راسماً صورة قوم يخدعهم السراب فيسيرون على غير هدى بقوله :

وَمَهْمُهُ فِيهِ السَّرَابُ يُسْبِحُ يَدَابُ فِيهِ الْقَوْمُ حَتَّى يَطْلَعُوا
ثُمَّ يَبْتِغُونَ كَأَنَّ لَمْ يَبْرَحُوا كَأَنَّمَا أَمْسَوْا بِحَيْثُ أَصْبَحُوا (٢)

انها صورة خالدة في الذهن العربي : صورة السراب الذي تتأمله العين فتخدع : وتتصوره ماء ، ولكن سرعان ماتبتين خيبتها حين يجد الانسان في السير ، فلا يجد غير الخيبة ، والفشل ، وبهذا استعير السراب لكل من يتأمل شيئاً لا وجود له ، وقد ورد بهذا المعنى في القرآن الكريم في تشبيه أعمال الكافرين التي تذهب هباء يوم القيامة :

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ، وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوفَاءً حِسَابَهُ ، وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (٣) .

ومن هنا نستطيع ان نتصور حال الجبال يوم القيامة ، ودلالة التعبير الدقيق على البيئة العربية اذ تفتت الجبال ، وتتكسر فتبدو كأنها سراب خادع كالذي يشهده العربي في صحرائه الواسعة . وبهذا تحمل الآية الى

(١) شرح ديوان لبيد : ٣١٢ : ٣٠١ المفضليات : ١٧١

(٢) الصناعتين : ٢٨٤ والبيت غير منسوب

(٣) سورة النور : ٢٤ : ٣٩

جانب التصوير المادي لحال الجبال كل معاني الخيبة ، وضياح الامل يوم
القيامة حين يواجه الكافر هذا الاضطراب المفزع ، وهو صفر اليدين من
الاعمال الحسنة .

٢ - نسفها :

والتعبير الثاني الذي يصور تفتت الجبال ، وانهدامها الهائل هو نسفها
في قواه تعالى حين سأل المشركون الرسول عن الجبال اذا قامت القيامة :
(ويسألونك عن الجبال ، فقل ينسفها ربي نسفاً ، فيدثرها قاعاً
صفصفاً ، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً) (١) . وقد فسر نسف الجبال
هنا بمعنى قلعها ، واجتثاثها ، قال ابن عباس : (يقلعها ربي قلعاً فيذرها)
فيترك الارض (قاعاً) مستوية (صفصفاً) املس لانبات فيها (لا ترى
فيها عوجاً) واديا ، ولا شقوقاً (ولا أمتاً) ولا شيئاً شاخصاً من
الأرض (٢) . وازداد الطبري الى معنى القلع معنى التذرية ، والتفتت
قال : (يذريها ربي تذرية) وبطيرها بقلعها ، واستئصالها من اصولها :
ودك بعضها على بعض وتصيره اياها هباء منبثاً) (٣) وقد اعتمد في هذا
التفسير على المعنى اللغوي المعروف وهو قولهم : (نسفتُ البناءَ نسفاً :
قلعتهُ) (٤) . و (المنسفة آلة يقلع بها البناء) (٥) .

واذا تتبعنا الترتيب التاريخي للكلمة نجد ان معنى القلع سعى متطور

(١) سورة طه ٢٠ : ١٠٥ - ١٠٧

(٢) تنوير المقياس : ١٩٨

(٣) جامع البيان ١٦ : ٢١١ ، وانظر ايضاً التبيان ١٠ : ٢٢٥

(٤) الصحاح ٤ : ١٤٣١ ، وانظر ايضاً اساس البلاغة : ٩٥٣ ، لسان

العرب ١١ : ٢٤٢

(٥) ن . ٥٠

عن معنى حسبي آخر ، ذلك هو معنى نسف الريح التراب إذا كانت شديدة فتذروه في الجو (انتسفت الريح الشيء مثل التراب : والعصف ، كأنها كشفته عن وجه الارض . وسلبته) (١) .

وقد تكرر ذكر نسف الرياح التراب في اشعارهم ، ومقدماتهم الطلية حين وصفوا ديار الحبيبة بعد ان هجرتها ، وكيف لعبت بها الرياح ونسفت ترابها . قال النابغة :

أهـأجكـ من سـعدكـ مغنى المعاهدِ بروضةٍ نعمتي فذات الأساودِ
تعاوـرها الأرواحُ يـنـسـفـنـ تـرـبـها وكلُّ مـلـثٍ ذي اهاضيب راعدِ (٢)

ومن هذا المعنى الحسي استعار العرب معنى حسيا آخر يتكرر أيضاً

في حياتهم اليومية حين تنسف الابل التراب بقوائمها ، فتذروه على جانبي مسيرها ، فقيـل : (ناقة نسوف اذا نسفت التراب بخفي يديها في سيرها) (٣) . وهو معنى يظهر فيه معنى القلع المصحوب بتطير وتذرية . ثم احتاج العربي في بيئته إلى ما يذري به طعامه ، وينسفه ليستخلص الجيد من الرديء ، وهو الذي أطلق عليه النسافة (٤) : ومنه المنسف ، وهو الغربال (٥) .

(١) مقاييس اللغة ٥ : ٤١٩ ، وانظر ايضاً المخصص ٩ : ٨٩ لسان

العرب ١١ / ٢٤١

(٢) ديوان النابغة الذبياني : ٤٢ ، وانظر ايضاً المنازل والديار : ٢٠٦

(٣) ابو زيد عن لسان العرب ١١ : ٢٤١ ، وانظر ايضاً النوادر ١ : ٤١٩ ،

الصحاح ٤ : ١٤٣٢ ، مقاييس اللغة ٥ : ٤١٣ ، المخصص ٦ : ١٧٢ ، ٧ : ٩١

وانظر الشعر في شرح ديوان زهير : ١٩١ ، ديوان سحيم : ٤٨

(٤) الغريب المصنف الورقة : (٢٨٤)

(٥) الصحاح ١ : ١٤٣١ ، اساس البلاغة : ٩٥٣

وحركة التراب تذروه الرياح واضحة كل الوضوح في كل المعاني
الاخيرة حيث يتطاير التراب تحت قدمي الناقة بعد ان تقتلعه ، وكذلك
حين تقتلع النبات بمقدم فيها : واخيراً في حركة المنسف الذي تنسف فيه
الخبوب ، فيظهر المنسف ، وحركة تطايره في تطاير الخبوب ، واستخلاص
الجيد من الرديء منها . ويتبين لنا فيها ان الاستعمال المادي الاول مازال
محافظاً على معناه في كل معاني الكلمة ، وبقيت صورته الأولى هي الصورة
الغالبية على الذهن العربي حيث تقتلع الريح التراب : وتنسفه في الجو
وتذروه فقوله تعالى : (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً
فيذرها قاعاً صافصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً) (١) نجد فيه صدى
البيئة العربية التي طالما اجتاحتها الرياح القوية ، فانسفت الرمال من
الصحراء الواسعة ، وقد ورد في القرآن الكريم تصوير رائع لهذا المشهد ،
حين شبهت به اعمال الكافرين التي تذهب هباء (مثل الذين كفروا بربهم
أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا
علي شيء ذلك هو الضلال البعيد) (٢) .

٣ - بسها .

قال الله سبحانه وتعالى : (اذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها
كاذبة ، خافضة رافعة اذا رجيت الارض رجاً وبست الجبال بساً
فكانت هباءً منبثاً) (٣) .

فبس الجبال - وهو تفتتها - (٤) استعمل مجازاً ، وهذا المجاز ينقل

(١) سورة طه ٢٠ : ١٠٥ - ١٠٧

(٢) سورة ابراهيم ١٤ : ١٨

(٣) سورة الواقعة ٥٦ : ١ - ٥

(٤) اللغات في القرآن : ٤٨

الى الخيال صورتين من صور البيئة العربية : الأولى ان تفتت الجبال حتى تكون كالعجين : والسويق قال ابن السكيت ، (بَسَسْتُ السويقَ ، والدقيقَ ابْسَسَهُ بَسًّا : اذا بلمته بشيء من الماء ، وهو أشد من اللت) (١) والبسيسةُ هي (الي تُلَّتْ بَسْمَنٍ اوزيت ولا تُبَلُّ) (٢) ومن هذا المعنى الحسي فهم بعضهم الآية الكريمة السابقة فقال أبو عبيدة مفسراً بس الجبال : (مجازُها كمجازِ السويقِ المبسوسِ أي المبلولِ والعجين ، قال لص من غطفان واراد ان يخبز ، فخاف ان يعجل الدقيق ، فاكله عجينةً وقال :

لاتخبزا خبزاً وُبَسًّا بَسًّا (٣)

وصورة بس السويق التي ينقلها ابو عبيدة تفسر لنا الآية الكريمة ، وتصور حال الجبال يوم القيامة ، وكيف انها اذا زلزلت الأرض واضطربت يصيبها الاضطراب فتتفتت وتحطم حتى تكون كالعجين المبسوس الذي طالما استعمله العرب في حياتهم ومعيشتهم فعرفوا مدى ما يصوره تعبير البس للجبال من الدقة في التحطيم . والتحول الى فتيت ناعم .

اما الصورة الثانية للبس فانها مستمدة ايضاً من البيئة العربية : وهي صورة سوق الابل : وتسييرها . قال الزجاج شارحاً الآية : (يجوز ان

(١) عن لسان العرب ٧ : ٣٢٧

(٢) الغريب المصنف : الورقة (٩٣) الصحاح ٢ : ٩٠٥ ، لسان

العرب ٧ : ٣٢٤ ، ٣٢٥

(٣) مجاز القرآن ٢ : ٢٤٧ وانظر ايضاً جامع البيان ٢٧ : ١٦٧

التيبان ٩ : ٤٨٨ الكشاف ٣ : ١٩٣ ، والبيت المذكور مع ابيات في الحيوان

٤ : ٤٩٠ جمهرة اللغة ١ : ٣٠ ، الصحاح ٢ : ٩٠٥ ، وروي في

المخصص عن صاحب العين (وُنَسًّا نَسًّا) ٧ : ١٠٤

يكون معنى بست : سيقت وانشد : وانبس حبات الكثيب الأهل (١)
وقال الزمخشري مضيفاً الى التفسير الأول قوله : (او سيقت من بس
الغنم اذا ساقها كقوله « وسيرت الجبال » (٢) . فهذا التفسير يعطينا
صورة للتعبير الذي استعملت فيه الكلمة للدلالة على السوق قيل (البس :
السوق اللين وقد بسستُ الابلَ أبسُّها بالضم بَسًّا) (٣) . قال ابو
زبيد (٤) مسمى الراعي بالمبس :

فلحما لله طالب الصلح منا ما اطاف الميِّس بالدهماء (٥)
وقال عبده بن الطيب (٦) يصف فرسه ، وكيف انه يستجيب له
اذا ابسه ، وساقه بين الخيل :

(١) عن التبيان ٩ : ٤٨٨ : وانظر الرجز في الحيوان ٤ : ٢٥٦

(٢) الكشاف ٣ : ١٩٣

(٣) الغريب المصنف : الورقة « ٣٩٩ » : وانظر ايضاً جمهرة اللغة

١ : ٣٠ ، الصحاح ٢ : ٩٠٦ ، أساس البلاغة : ٤٦ ، المخصص

٨ : ٩ وانظر ايضاً ديوان النابغة الجعدي : ٣ ، ديوان الشماخ : ٣٣

(٤) هو المنذر بن حرملة من بني حية : وقبل حرملة بن المنذر بن

معد يكرب ، وكان نصرانيا وعلى دينه مات : وهو ممن أدرك الجاهلية .

ذكره السجستاني في المعمرين : توفي نحو ٦٢ هـ : انظر المعمرون : ١٠٨

الاغاني ١١ : ٢٣

(٥) جمهرة اللغة ١ : ٣٠ ، ديوان الحماسة : ٣٥

(٦) هو عبدة بن الطيب شاعر معضرم ادرك الاسلام فأسلم : شهد

مع المنفى بن حارثة قتال هرمل سنة ١٣ هـ وكان مع الذين حاربوا القرس

بالمدائن توفي نحو سنة ٢٥ هـ . انظر الاغاني ١٨ : ١٦٣ تاريخ الامم

والمملوك ٤ : ٤٣ ، ٢١٥

إذا ابَّس به في الألفِ بَرَّزَهُ عوج مركبة فيها براطيلُ (١)

وسواء كان بس الابل سوقها باللين ، او سوقها زجرا ، فانه معنى يدل على دفع واستجابة لهذا الدفع الا ان دلالتها على القوة والزجر ترسم في الذهن اجزاء الهول والفرع المقترن بكل مظهر من مظاهر النفير وما يتبع ذلك من قوة في اضطراب السموات والأرض ، وهذا المعنى ينسجم مع السياق العام الذي مرت بنا صورته في تعبير الزجرة : وما فيها من دلالة السوق والزجر .

وهناك استعمال آخر للبس ، وهو ان تبس الابل ، والغنم ، وتهدأ بصوت خاص حتى تـمـدر لبـنـها يقال : (اَبْسَسَتْ بِالْمَعْرِ إِذَا أَشْلَيْتِهَا إِلَى الْمَاءِ) (٢) و (اَبْسَسَ بِالْأَبْلِ عِنْدَ الْحَلْبِ إِذَا دَعَا الْفَصِيلَ إِلَى أُمِّهِ وَابْسَ بِأَمِّهِ لَهُ) (٣) . ومن هنا قيل في الناقة التي لاتدر الا عند الرفق بها والابساس لها : بانها تبس (٤) . وانشد الازهري (٥) قول الراعي واصفا حال الناقة يهدأها صاحبها تارة بالابساس ، واخرى بالنقر :

(١) المفضليات : ١٤٣

(٢) الصحاح ٢ : ٩٠٦

(٣) لسان العرب ٧ : ٣٢٥

(٤) انظر الغريب المصنف : الورقة « ٣٦٩ » وانظر ايضاً الصحاح

٢ : ٩٠٥

(٥) هو محمد بن احمد بن الأزهر : ابو منصور ولد سنة ٢٨٢ هـ

اخذ عن الربيع بن سليمان ، ونفطويه ، وابن السراج ، وأدرك ابن دريد ولم يرو عنه ، صنف كتاباً مشهوراً في اللغة وهو « تهذيب اللغة » توفي

سنة ٣٧٠ هـ انظر نزهة الألباء : ٢٢١ - ٢٢٢ بغية الوعاة : ٨

لعاشرةٍ وهو قد خافها فظلَّ يُبَسِّبِسُ أو يَنْقُرُ (١)
وقال آخر يصف ناقته اذا جالت ، واضطربت : وكيف يهدأها
بالبس :

عَنَّسْ اذا جالَتْ به أْبَسًا وَبَدَلَتْ مِنْهُ التَّرَاقِي نَفْسًا (٢)
فمعنى البس هنا واضح ، وهو دعوة الغنم ، او الابل نحو الماء ، او عند
الحلب ويلاحظ في هذه الدعوة انها تترك الحيوان لينا سلس القياد ،
يستجيب لدعوة الراعي . وفي كلا المعنيين نجد استجابة وطاعة ، فالابل
اذا سيقت ، وزجرت استجابت للسوق وسلمت لراعياها ، فسارت امامه
طائعة ، وكذلك الابل ، والغنم اذا بست نحو الماء ، او للحلب ، استجابت
الى صوت راعيها فدرت حليبها ، او سارت معه نحو الماء : وفي هذا
المعنى نجد روعة التصوير القرآني لحال الجبال ، ذلك لأن الاضطراب الذي
يسود السموات والارض ، يصيب الجبال ، فنزلزل ، وتكون ارتجاجها
اطاعة لأمر الله سبحانه وتعالى حين يأمر بقيام الساعة .

وفي معنى البس صورة واضحة للبيئة العربية التي اعتادها العربي
ورأى فيها بس الحيوان ، ودعوته ، فسرعان ما يتخيل بس الجبال ،
واستجابتها لدعوة الله جلّ وعلا ، فيزداد ابحاء الآية الكريمة وترسم
في الذهن سرعة الاحداث ، والاضطرابات يوم القيامة ، لأن الطواعية ،
والاستجابة السريعة لارادة الله سبحانه وتعالى تنتج منها سرعة مذهلة في
الاضطراب الكوني .

وفي سورة الحاقة تعبير آخر يصور حال الجبال : (فاذا نفخ في

(١) الأزهري عن لسان العرب ٧ : ٣٢٥

(٢) ديوان الحطيئة : ٢٨٦ ، والشطر الأول في شرح ديوان زهير :

٣٥٥ وهو غير منسوب الى قائله .

الصُّور نفخةٌ واحدةٌ ، وُحملتُ الارضُ والجبالُ ، فُدكَّتَا دكةً واحدةً ،
 فيومئذٍ وقعتُ الواقعةُ (١) . ففي هذه الآيات الكريمة نجد تصويراً
 جامعاً لاضطراب الارض وتفتت الجبال معاً يتجسد في تعبير الدك بما
 يحمله من معاني القوة والرعب ، ما تعجز عنه صفحات ، فالدك في اللغة
 يحمل معنى الهدم الذي يصاحبه دق ، وتفتت (٢) .

٤ - تشبيهها بالعهن :

ان انهدام الجبال ، وتفتتها يسبب تناثر اجزائها وتطايرها تبعاً
 للانكسارات السريعة التي تصيب الجبال . هذا التناثر صُوِّر في القرآن
 الكريم بصورة مادية طالما لصقت في ذهن العربي لطول ما اعتادها ، وشاهدها
 في بيئته ، وذلك تشبيهها بالصوف قال الله تعالى : (يومَ تكونُ السماءُ
 كالمُهَلِّ ، وتكونُ الجبالُ كالعِهْنِ ولا يسألُ حميمٌ حميماً) (٣) .
 وقال سبحانه وتعالى : « القارعةُ ، القارعةُ ؟ وما ادراكُ ما القارعةُ ؟
 يومَ يكونُ الناسُ كالفراشِ المبثوثِ وتكونُ الجبالُ كالعِهْنِ ،
 المنفوشِ » (٤) .

(١) سورة الحاقة ٦٩ : ١٣ - ١٦

(٢) الصحاح ٤ : ١٥٨٣ ، مقاييس اللغة ٢ : ٢٥٨ ، اساس البلاغة

٧٨ : وقد اعتبر الاب ماراغناطيوس الدك كلمة سريانية قال : كذلك
 دقٌّ مراراً : صيّر شيئاً تراباً ورميماً تدكدكتُ الجبالُ ، تهدمت . انظر

الالفاظ السريانية مجلة المجمع العلمي العربي دمشق م ٢٣ ج : ٤٩٧

(٣) سورة المعارج ٧٠ : ٨ - ٩

(٤) سورة القارعة ١٠١ : ١ - ٥

وقد فسر المفسرون العهن بالصوف (١) . وكذا ورد المعنى في كتب اللغة (٢) وهذا التشبيه له دلالة على البيئة العربية . ذلك لان الصوف من منتجات حيوانها الذي هو عماد حياتها ، وقد تكرر ذكر الصوف ، او آلات غزله في الشعر الجاهلي ، (٣) ثم اننا نجد للصوف لمحات في احدى صور البيئة العربية التي اعتادها العربي ، وهي تلك التي نجدها في وصف الاطلال وما تبقى فيها من الدمن ، والآثار ، ومن بينها الصوف المتناثر قال زهير بن ابي سلمى ،

كأن فتات العهن في كل منزل
نزلن به حب الفنا لم يحطّم (٤)
قال ثعلب شارحاً البيت بأنه « شبه ما تفتت من العهن الذي علق بالهوارج اذا نزلن بمنزل بحب الفنا » (٥) . وقول ثعلب هذا يعطينا توضيحاً آخر لاهمية الصوف في الحياة العربية ، ولصوقه في الذهن العربي وذلك استعمالهم الصوف لتزيين الهوارج ، وهي الصورة التي طالما ذكرها الشعراء في اشعارهم ، وشبهوها - باختلاف الوان الصوف - بالبسر الاحمر

(١) تنوير المقياس : ٣٦٧ ، غريب القرآن : ١٧٧ ، جامع البيان ٢٩ : ٧٣ . الكشاف ٣ : ٢٦٨ ، وفي قراءة ابن مسعود كالصوف المنفوش بدل كالعهن ، وقد علق ابن قتيبة على هذه القراءة بانها في الكلمة « مما يغير صورتها في الكتاب ، ولا يغير معناها » انظر تأويل مشكل القرآن : ٢٨ - ٢٩

(٢) العين : ٤٣ ، الصحاح ٦ : ٢١٦٩ مقاييس اللغة ٤ : ١٧٧

المسلسل : ١٨١ المحكم ١ : ٦٦ لسان العرب ١٧ : ١٧٠

(٣) ديوان امرئ القيس : ٢٥ ، امثال العرب : ١٧

(٤) شرح ديوان زهير : ١٣

(٥) ن . م : ١٣

والأصفر مع خضرة النخل (١) .

٥ - سرعة انهيارها

اما سرعة انهيار الجبال فقد صورت بتعبير الكثيب المتداعي المنهال في قوله تعالى : (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النِّعْمَةِ ، وَهُمْ لِقَلِيلٍ ، ان لَدِينَا اِنْكَالًا ، وَجَحِيمًا ، وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ، وَعَذَابًا اَلِيمًا يَوْمَ تَرْجَفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ، وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا) (٢) . قال ابن عباس مفسراً الآية الكريمة (تراباً مهيلاً : وهو الشيء الذي اذا رفعت اسفله سقطَ عليك اعلاه مثل الرمل) (٣) وقال الطبري : (يقول : وكانت الجبال رملاً سائلاً متناثراً : والمهيل مفعول من قول القائل : هلت الرملَ فأنا أهيلُهُ ، وذلك اذا حُرِّكَ اسفلهُ ، وانهالَ اعلاه) (٤) .

والكثيب عبارة عن قطعة تنقاد محدودة كما يقول الاصمعي (٥) . فاذا تحرك من إحدى جوانبه انهال بسرعة ، ومن هذه الصورة الحية الجسدة في الذهن العربي جاء التصوير الرائع لحال الجبال في اضطرابها . وسرعة انهيارها ، وهو تصوير يستطيع العربي ان يتمثله امام ناظره . نظراً لتكرر صور الكثبان في الجزيرة العربية ، وما يطرأ عليها من صور انهيار رملها ، وتساقطها . وقد لصقت صورة الكثيب في أذهانهم ، فراحوا يكررونها في تشبيهاتهم وتعابيرهم (٦) .

(١) انظر ديوان امرئ القيس : ٤٣ ، ٥٧ ، ١١٥ .

(٢) سورة المزمل ٧٣ : ١١ - ١٤

(٣) تنوير المقياس : ٣٧١ ، وانظر ايضاً غريب الحديث ١ : ٢٥٢

(٤) جامع البيان ٢٣ : ١٣٦ ، وانظر ايضاً التبيان ١ : ١٦٧

(٥) عن الغريب المصنف : الورقة (٢١٥)

(٦) المفضليات : ٩٢ ، وانظر ايضاً الحماسة البصرية : الورقة -

هذه التعابير تشترك كلها في رسم صورة الجبال حين تضطرب وتنهار فتتناثر أجزاؤها وتتلأشى عظمتها ، وتصبح هباء منشورا ، وحالها في هذا حال الأرض بصورة عامة حين تزلزل وتضطرب بعد صعقة النفير .
ومن التعابير التي مرت بنا مجتمعة تتشكل لنا صورة رهيبة لاضطراب الأرض ، وما عليها يوم القيامة . إضافة الى دلالة كل تعبير على مظهر من مظاهر البيئة العربية كما مر بنا .

٢ - اضطراب السماوات :

أ - تحولها الى سائل :

ويشمل الاضطراب السماء أيضاً فيصيبها ما يصيب الارض من اختلال التوازن ، وانهيار النظام الكوني فاذا بها تنشق ، وتمحول الى سائل عبر عنه بالوردة ، وشبهت في حالها بالدهان قال الله تعالى : (فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان . . .) (١) .

لقد ذهب المفسرون في تفسير الآية الكريمة الى توجيهين : الأول هو انها تكون ملونة كألوان الدهن ، أو الورد ، وهذا التفسير لا يحدد لونها وانما هو تعميم للالوان المختلفة قال ابن عباس : (فصارت ملونة كالدهان ، كالوان الدهن ، ويقال : وردة كالوان الورد) (٢) .
وقال ابو عبيدة : (فكانت وردة كالدهان في لونها : جمع دهن

— ١٩١ (ب) الظرائف الأدبية : ٦٢ —

(١) سورة الرحمن ٥٥ : ٣٧

(٢) تنوير المقياس : ٣٣٧

تمور كالدهان صافية وردة لونها كلون الورد ، وهو الجُلّ (١) .
اما التوجيه الثاني فهو ان السماء يكون لونها يوم القيامة الحمرة مع
السواد ، وقد ذكره ابن عباس ايضاً الى جانب التوجيه الأول قال :
(ويقال كالاديم المغربي أي حمرة مع سواد) (٢) . وقال الراغب :
(وقيل في صفة السماء اذا احمرت احمراراً كالورد اماراً للقيامة . قال
(فكانت وردة كالدهان) (٣)

ويبدو ان الذي فهموا الآية الكريمة على ان السماء تكون ملونة
كالوان الورد ، لم يذهبوا بكلمة الورد الا إلى الورود الحقيقية التي تكون بطبيعتها
متعددة الألوان ، والاشكال . ومن الناحية الثانية فان السماء شبهت في الآية
الكريمة بالدهان ، والدهان ايضاً لا يحدد لونه .

اما الذين قالوا بأن لون السماء يكون أحمر يوم القيامة فانهم ذهبوا
إلى لون معروف ولكثرة هذا اللون في الورود اقترنت كلمة الورد به ،
ثم أطلق الورد بصورة عامة على اللون الأحمر فاطلق على الحيوانات التي
على هذه الصفة في اللون ، واقترن ، أكثر ما اقترن ، بالخيل قال الأصمعي
معدداً الوان الخيل : الوردة : فرس ورد ، ووردة وخيل وراد (٤) .
ومن هنا نقل لنا توجيه آخر اقترن أول ما اقترن بالخيل الورد
التي تغني الشعراء بذكرها ، وتمنع بالنظر اليها الفرسان ، هذا التوجيه هو

(١) مجاز القرآن ٢ : ٢٤٥ ، وانظر ايضاً الصناعتين : ٢٤١ التبيان ،

٩ : ٤٧٦ ، المخصص ٦ : ١٥١

(٢) تنوير المقياس : ٣٣٧ ، وانظر ايضاً ادب الكاتب : ١٤٣

(٣) المفردات : ٥٤١ ، وانظر ايضاً الكشاف ٣ : ١٩٠

(٤) عن المخصص ٦ : ١٥٠ ، وانظر ايضاً الخيل : ١٠٦ ، ديوان

الشماخ : ٣٠

الذي نقله الفارسي فيما روى (١) عن أبي عبيدة : (أما قوله - فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان - فقبل انه أراد - والله أعلم - فرسا وردة وتكون في الربيع الى الصفرة ، فاذا اشتد البرد كانت وردة حمراء ، فاذا كانت بعد ذلك كانت وردة الى الغبرة ، فشبه تلون الوردة من الخيل ، وشبه الوردة في اختلاف الوانها بالدهن ، واختلاف الوانها (٢) ، ويبدو ان ابا عبيدة لم يقصد ان السماء تكون كالفرس ، لأن مثل هذا التفسير لم يذكره في مجازه ، كما لم يذهب اليه أحد غيره وانما أراد به ان السماء تكون متعددة الألوان يوم القيامة كتغير لون الفرس الورد ، وهو بهذا يعطينا تعليلاً لتسمية هذا الضرب من الخيل ، ذلك لأنها تتلون باختلاف فصول السنة فتضرب الوانها الى الصفرة في الربيع ، والى الحمرة في البرد ثم الى الغبرة بعد ذلك .

وبهذا نستطيع ان نجتمع بين هذا التوجيه ، والتوجيه الأول الذي حدد فيه لون السماء بالحمرة ، وتشبيهها بالورد ، وفي كلا التوجيهين نجد صدى البيئة العربية واضحاً في الصور التي تثيرها الآيات الكريمة . فكون السماء متعددة الألوان يوم القيامة يرسم في الذهن صورة الورود المنتشرة في الصحراء العربية حيث تفتش الأرض أيام الربيع بشتى الصور والألوان الزاهية ، وهي التي شبه بها لون السماء ، ولكن مثل هذا التفسير - وان امدنا بوجه الشبه وهو تعدد الألوان - لا ينسجم مع السياق الذي وردت فيه الآية الكريمة (فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟)

(١) هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي النحوي ، من أكابر أئمة النحويين أخذ عن أبي بكر بن السراج ، وأبي اسحاق الزجاج ، فضاه بعضهم على المبرد توفي سنة ٣٧٧ هـ . أنظر نزهة الألباء : ٢١٧ .

(٢) العين : الورقة (٢٨٩) .

فيومئذ لا يُسْتَسْتَلُّ عن ذنبه انس ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟
يُعرَفُ المجرمون بسيماهم فيؤخذُ بالنواصي والأقدام ، فبأي آلاء ربكما
تكذبان ؟ هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون (١) . كما ان هذا التفسير
لا ينسجم مع الآيات الأخرى التي ورد فيها ذكر السماء ، ووصف حالها
يوم القيامة ، ذلك لأن ما توجيهه الورود بل الزرع بصورة عامة إنما هو
إحياء الفرحة والنشوة (٢) : وهو إيحاء بعيد كل البعد عن الموقف الرهيب
يوم القيامة ، ذلك الموقف الذي تضطرب له السماوات والأرض ، فتساقط
أرجاؤها ويتبدل حالها . أما التوجيه الثاني فإنه ينسجم تماماً مع السياق العام
للآيات الكريمة فالسماوات تكون كلون الأديم الأحمر أو الفرس الورد ، ونجد
فيه وجه الشبه وهو تعدد الألوان وتلونها ، نظراً لانكفاء السماء واضطرابها
وبهذا التوجيه نبعد عن الذهن صورة الورود الممتعة التي لا تنسجم مع سياق
الهلول والفرح الأكبر يوم القيامة .

وتحول السماء الى سائل متلون شبه في تعبير آخر بالمُهْل قال الله تعالى :
(انهم يرونه بعيداً ، ونراه قريباً ، يوم تكون السماء كالمُهْل ، وتكون
الجبالُ كالعِهْنِ ، ولا يسألُ حميمٌ حميماً) (٣) . وقد فسر المُهْل بتفسيرين
الأول ما ذكره ابن عباس وهو قوله : (كالمُهْل : كدردي الزيت) (٤)
أما التفسير الثاني فهو الفضة المذابة أو المعادن المذابة بصورة عامة ، وقد

(١) سورة الرحمن ٥٥ : ٣٧ - ٤٣ .

(٢) أنظر الفصل السادس (الثواب بالجنة) ١ - وصف طبيعتها .

(٣) سورة المعارج ٧٠ : ٧ - ١١ .

(٤) تنوير المقياس : ٣٦٧ ، وانظر أيضاً جامع البيان ٢٩ : ٧٣ ، التبيان

١٠ : ١١٦ ، الكشاف ٣ : ٢٦٧ ، ودردي الزيت وغيره ما يبق في أسفله .

الصحاح ١ : ٤٦٧ .

ذكره ابن عباس أيضاً الى جانب التفسير الأول قال : (ويقال كالفضة المذابة) (١) .

أما أبو عبيدة فقد ذهب الى ان كل معدن اذا اذيب اطلق عليه المهل قال مفسراً قوله تعالى : (يغاثوا بماء كالمهل . . .) (٢) قال : (كل شيء أذبته من نحاس أو رصاص ، ونحو ذلك فهو مهل) (٣) ، ومثل هذا الاضطراب في تفسير المهل نجده في أقوال اللغويين فهو دردي الزيت تارة (٤) والنحاس الذائب تارة أخرى (٥) ، وهو الصديد عند آخرين (٦) .

ويبدو ان مرد هذا الاضطراب يرجع الى التعميم الذي أطلق فيه اللفظ في البداية اذ هو - كما يبدو - اطلق على كل فلز ذائب كما ذهب أبو عبيدة من قبل ، وقد سئل ابن مسعود في قوله تعالى : (كالمُهَلِّ يشوي الوجوه) (٧) عن المهل (فدعا بفضة فأذابها فجعلت تميع ، وتلون ، فقال : هذا من

(١) تنوير المقياس : ٣٦٧ ، وانظر أيضاً الكشاف ٣ : ٢٦٨ ، نقلا عن

ابن مسعود .

(٢) سورة الكهف ١٨ : ٢٩ .

(٣) مجاز القرآن ١ : ٤٠٠ .

(٤) هو قول أبي عمرو بن العلاء ، كما في الصحاح ٦ : ١٨٢٢ ، لسان العرب

١٤ : ١٥٥ ونقل مثل هذا عن أبي زيد في المخصص ٥ : ٩٠ ، وانظر أيضاً مقاييس

اللغة ٥ : ٢٨٢ .

(٥) الصحاح ٦ : ١٨٢٢ ، مقاييس اللغة ٥ : ٢٨٢ ، لسان العرب ١٤ : ١٥٦ .

(٦) جمهرة اللغة ٣ : ١٧٥ ، الصحاح ٦ : ٨٢٢ ، أساس البلاغة : ٩٢٢ ،

لسان العرب ١٤ : ١٥٥ .

(٧) سورة الكهف ١٨ : ٢٩ .

أشبهه ما أنتم راؤون) (١) ، وقال ابن دريد (المهل ما ذاب من صفر أو حديد) (٢) .

أما اطلاق لفظ المَهْل على الزيت ، أو على الدهان ، فبسبب مشابهة الزيوت والدهون للمعادن المذابة على اعتبارها سوائل أولاً وانها متنوعة الألوان بتنوع الأشكال ثانياً . ومن هنا فلا تضاد في معاني المهل ، لأنه متأت من تعميم اللفظ ، ثم اطلاقه على أجزاء متعددة .

أما ملامح البيئة العربية فنجدها واضحة في تشبيه حال السماء بالمهل ، ذلك لأن الزيوت ، والدهان بنوعيهما النباتية أو المستخلصة من المعادن المذابة مما اعتادها العربي في بيئته واحتاج اليها في شؤون حياته البسيطة ، فكثيراً ما يطلى البعير بالمَهْل ، فترسم صورة المَهْل المذاب في الدهن العربي سواء في كونه مذاباً أو لونه الخاص . وذكر ان الابل تطلّى بنوع من القطران في الشتاء مما يدل على معرفتهم المَهْل ، واعتيادهم عليه باعتباره مادة مهمة ، يحتاجون اليها كل شتاء لابلهم - اعز حيوانهم - روى ابن منظور : (المهل والمهلة ضرب من القطران ماهي رقيق يشبه الزيت ، وهو يضرب الى الصفرة من مهاوته وهو دسم تدهن به الابل في الشتاء) (٣) .

ومن الطبيعي ان يكون المهل الذي عرفه العربي ، واستعمله في طلي ابله متعدد الضروب ، والألوان ومن هنا جاء اختلافهم في تفسير المهل لأنه اطلق في البداية على أنواع من السوائل المذابة (٤) .
ومن هنا نجد ان قوله : (انهم يرونه بعيدها ونراه قريباً ، يوم

(١) عن لسان العرب ١٤ : ١٥٦ .

(٢) جمهرة اللغة ٣ : ١٧٥ ، وانظر لسان العرب ١٤ : ١٥٦ .

(٣) لسان العرب ١٤ : ١٥٥ .

(٤) انظر ص ٨٣ .

تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ، ولا يسأل حميم حمياً (١) يعطينا نفس الايحاءات والصور التي أوحتها من قبل الآية التي ورد فيها ذكر (وردة) والتي شُبِّهَ فيها سيلان السماء بالدهان . قال الأزهري معقباً على تفسير المهل : (ومثله قوله فكانت وردة كالدهان ، قال أبو اسحاق كالدهان : أي تتلون كما تتلون الدهان المختلفة) (٢) .

أما قتادة فقد فسّر تحول السماء الى مهل بتحولها الى لون الحمرة (٣) . وقد اعتمد في هذا التفسير أيضاً على قوله تعالى : (فكانت وردة كالدهان) (٤) وفي كل هذه التفاسير التي مرّ ذكرها وجدنا صورة البيئة العربية واضحة الملامح ، تنداعى في الذهن عند قراءة الآيات الكريمة ، فتجسد هول القيامة ومشاهد الاضطراب المفزع .

ب - دورانها

قال الله سبحانه وتعالى واصفاً اضطراب السماء يوم القيامة : (يوم تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا وتسيرُ الجبالُ سَيْرًا ، فويلٌ يومئذٍ للمكذّبين) (٥) فُعَبِّرَ عن اضطراب السماء بتعبير المور ، وقد فسره بعضهم بالدوران قال ابن عباس : (تدور السماء مورا بأهلها دورانا كدوران الرحي وتموج الخلائق بعضها في بعض من الهول) (٦) ، وقال أيضاً في مور السماء بأنه

(١) سورة المعارج ٧٠ : ٧ - ١١ .

(٢) لسان العرب ١٤ : ١٥٦ ، وانظر أساس البلاغة ٣ : ١١١ .

(٣) جامع البيان ٢٩ : ٧٣ .

(٤) سورة الرحمن ٥٥ : ٣٧ .

(٥) سورة الطور ٥٢ : ٩ - ١١ .

(٦) تنوير المقياس : ٣٢٩ .

شقهـا وانفطارها (١) : وقال بعضهم معنى مور السماء انكفاؤها . قال أبو عبيدة : (يومَ تمورُ السماءُ مَوْرًا أي تكفأُ قال الأعشى :
 كأن مِشيتَها في بيتِ جارتيها مورُ السحابةِ لاريثُ ولاعجلُ (٢)
 وفي معاني الكلمة اللغوية ما يجمع بين التفسيرين السابقين ، ذلك لأن
 الريح اذا كانت قوية فانها تسفي التراب فيقال مارت (٣) والمور الغبار (٤)
 وهي صورة اعتادها العربي في بيئته الصحراوية الرملية . وقد تكررت
 بصورة خاصة في شعر شعرائهم حين ذكروا ديار الحبيبة ، ووصفوها بعد
 ان هجرت ، وتركت خواء تسفيها الرياح ، وتمور عليها رمال الصحراء :
 فمن ذلك قول الخطيئة :

لمن الديارُ كأنهنَّ سطورِ بِلوى زَرود سنى عليها المورُ (٥)
 وقال زهير بن أبي سلمى واصفاً الديار المهجورة :

لَعَبَ الرِّياحُ بها وغَيَّرَها بعدي سوافي المورِ والقَطْرِ (٦)
 أما الناقة الموراة فهي السريعة (٧) . وهو استعمال مادي أيضاً وله

(١) اللغات في القرآن : ٤٧ .

(٢) مجاز القرآن ٢ : ٢٣١ ، ورواه الجوهري عن أبي عبيدة والأخفش
 أنظر الصحاح ٢ : ٨٢٠ ، ورواية ديوان الاعشى : (مرّ السحابة) : ٥٠ ، ومن
 الجائر انها في الديوان من تحريف النساخ ، أو انها رواية أخرى للبيت غير رواية
 أبي عبيدة والأخفش ،

(٣) جهرة اللغة ٢ : ٤١٧ ، وانظر أيضاً شرح ديوان كعب بن زهير : ٢٥٣

(٤) الصحاح ٢ : ٨٢٠ ، مقاييس اللغة ٥ : ٢٨٤ .

(٥) ديوان الخطيئة : ٣٧٦ .

(٦) شرح ديوان زهير : ٨٦ ، وانظر أيضاً شرح ديوان كعب بن زهير : ٢٥٣

(٧) الصحاح ٢ : ٨٢٠ ، مقاييس اللغة ٥ : ٢٨٥ ، المخصص ٧ : ١٢٩ .

علاقته الوثيقة بالاستعمال السابق ، لأن الناقاة اذا أسرعت تركت التراب يمحور على جانبي طريقها وتدفعه بيدها في سيرها السريع قال طرفة :

صهايبة العثنون موجدة القرى بعيدة وخذ الرجل مواراة اليد (١)

ومن هنا نفهم قوله تعالى : (يومَ تَمُورُ السماءُ مَوراً) (٢) أي تدور دوراناً سريعاً . وفي حركة دوران أي جسم تقلب أعاليه على اسافله فالتراب حين تسفيه الرياح ، ويمور موراً سريعاً ينقلب ، والناقاة المواراة تقلب التراب على جانبي طريقها ، وتجعله يدور بسرعة سيرها ومن هنا يتضح لنا سبب تفسيرهم مور السماء بانكفائها ، ودورانها .

وهناك استعمال آخر لتعبير المور وهو قولهم مار الدم على وجه الأرض أي سال ، وانصب (٣) ، وقد وردت في الشعر الجاهلي أيضاً في وصفهم للحروب ، وذكرهم لها ونستطيع ان نقرن هذا المعنى بمور التراب ، ذلك لأن سيلان الدماء على الأرض فيه اضطراب ، ودوران ، وحركة وهي صورة كثيراً ماتتكرر في بيئة العرب الحربية حيث الغارات والحروب الدامية التي تترك الدماء بين عشية وضحاها تمور على الأرض ، وتسيل . ومن الناحية الأخرى فان هذا المعنى يهيننا على تصور اضطراب السماء ودورانها يوم القيامة ، وذلك ان حركتها تشبه حركة التراب السريعة حين تسفيه الرياح وتمور جوانبها كما يمور الدم على الأرض .

ويبدو ان هذه الصورة كانت أقرب الى ذهن الزنخشري حين فسر الآية الكريمة فقال : (تمور السماء : تضطرب وتجيء وتذهب ، وقيل المور

(١) ديوان طرفة : ٣٩ ، وانظر أيضاً الطرائف الأدبية : ٦٤ .

(٢) سورة الطور ٥٢ : ٩ .

(٣) أنظر قول ثعلب في شرح ديوان زهير : ٧٨ ، وانظر أيضاً شرح

ديوان الحماسة ٤ : ١٦٣٧ .

تحرك في تموج) (١) .

ج - تشققها وانفطارها

من الطبيعي ان دوران السماء وانكفاءها الذي صورته الآيات السابقة لا يترك السماء الا منهارة الجوانب ، متصدعة الأرجاء . وقد صور هذا التصدع بتعبير آخر هو قوله تعالى : (اذا السماء انفطرت ، واذا الكواكب انتثرت ، واذا البحار فجرت ، واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت وأخرت) (٢) .

وقال تعالى أيضاً : (فكيف تتقون ان كفرتم يوماً يجعل الولدان شيبا ، السماء منفطر به ، كان وعده مفعولاً) (٣) . فقد فسر الانفطار بالانشقاق (٤) . وهو معنى تؤكد آيات أخرى كقوله تعالى : (وانشقت السماء فهي يومئذ واهية (٥) . وقد وردت كلمة الانفطار في مواضع أخرى من القرآن الكريم في غير هذا المعنى كقوله تعالى : (اني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً ، وما أنا من المشركين) (٦) .

(١) الكشاف ٣ : ١٧٢ .

(٢) سورة الانفطار ٨٢ : ١ - ٥ .

(٣) سورة المزمل ٧٣ : ١٧ - ١٨ .

(٤) تنوير المقياس : ٣٧٢ ، مجاز القرآن ٢ : ٢٧٤ ، جامع البيان ٣٠ : ٨٥

درة التنزيل : ٣٨٨ ، التبيان ١٠ : ٢٩٠ ، الكشاف ٣ : ٢٨٣ ، ٣١٩ ، وقد وردت بنفس المعنى في غير مواضع القيامة وذلك في سورة مريم ١٩ : ٩٠ ، الشعراء ٤٢ : ٥ ، الملك ٦٧ : ٣ .

(٥) سورة الحاقة ٦٩ : ١٦ .

(٦) سورة الأنعام ٦ : ٧٩ ، وانظر أيضاً المعجم المفهرس : ٥٢٣ .

وقد فسر الانفطار في الآية السابقة بالخلق والابداع (١) . ومن ظاهر اللفظ تبدو العلاقة بين الاستعمالين بعيدة ، ولكن معرفة التطور التاريخي للكلمة يدلنا على انها يرجعان الى أصل واحد ، ومعرفة هذا الأصل يعكس لنا صورة من البيئة العربية وأثرها في ابتداع الألفاظ وتطورها .
فن المعاني الحسية التي استعملت فيها الكلمة هو قولهم تفطر النبات (وذلك عند أول طلوعه) (٢) ، ومنه قيل فطر ناب البعير أي طلع وانشق وبعير فاطر (٣) .

ومن هنا جاء الاستعمال المعنوي للكلمة ، وهو اطلاق اللفظ على الشق بصورة عامة (٤) ، وذلك ان النبات حين يطلع يكون طلوعه بعد تشقق الأرض ، ونموه وكذا الحال مع نمو الأسنان ، وطلوعها . أما معنى الخلق والابداع الذي جعله ابن فارس الأصل الأولي للكلمة (٥) ، فانه معنى متطور عن المعنى الحسي الأول ، وبعبارة قول ابن عباس : (كنت لا أدري

(١) تنوير المقياس : ٩٠ ، مجاز القرآن ١ : ١٨٧ ، ٣٨٢ ، المفردات : ٢٣٩

الكشاف ١ : ٤٩٧ .

(٢) أنظر قول أبي حنيفة في باب (بدء النبات وانتهائه) المخصص ١٠ :

٨٦ ، ٢١٣ ، وانظر أيضاً مجالس ثعلب ١ : ٢٩١ ، ٢٩٢ ، المفردات : ٣٩٠ ،

وانظر الشعر في ديوان امرئ القيس : ١٥٧ .

(٣) العين : ٢٦١ ، مجاز القرآن ١ : ١٨٧ ، ٢ : ١٢ ، الزينة : الورقة ١٩٦

(ب) ، الصحاح ٢ : ٧٨١ ، أمالي القالي ١ : ٢١ ، الكشاف ٣ : ٢٥٣ ، وانظر باب

أسنان الأولاد وتسميتها في المخصص ١ : ٣٣ .

(٤) الصحاح ٢ : ٧٨١ ، مقاييس اللغة ٤ : ٥١ ، المفردات : ٢٨٩ ،

وانظر الشعر في الحيوان ٤ : ٣٩١ .

(٥) انظر مقاييس اللغة ١ : ١٤٣ .

مامعنى فاطر السماوات والأرض حتى اختصم اليّ اعرابيان في بئر فقال أحدهما
انا فطرتها ، أي ابتدأتها (١) . ذلك لأن شق البئر ابتداءً في حد ذاته ،
ومن هنا نفهم العلاقة الوثيقة بين قوله تعالى واصفاً تشقق السماء
وانفطارها وبين الآيات التي ورد فيها معنى الانفطار بالخلق والابداع ،
وانهما من أصل حسي واحد هو تفطر النبات أو الاسنان .

وبعد هذا العرض السريع لمعنى كلمة الانفطار تتبين لنا الدلالة العظيمة
والصور الرهيبة التي توحىها الآيات الكريمة في تصوير انفطار السماء ، وذلك
انها حين تمور ، وتضطرب تتصدع جوانبها ، وتنشق ، ولا تعكس الآية
الكريمة معنى الفطر الذي هو الشق فحسب ، وانما تنقل لنا تلك التلقائية
التي تظهر في استجابة الكون كـله لأمر الله تعالى ، وهي التي نجدها في
فطر النبات ، وفطر ناب البعير ، وانشقاقه ، لأن هاتين الظاهرتين انما تحدث
للنبت أو للبعير بصورة طبيعية ، وفق نظام الخلاق الذي وضعه الله سبحانه
وتعالى . ويؤكد هذا المعنى الاسلوب البياني الذي سارت عليه الآيات الكريمة
حيث اسند الفطر والشق الى السماء مباشرة ، وصرف عن الاسناد الى مُحدثِ
الفطر والشق وهو الله سبحانه وتعالى ، لأجل توجيه الذهن الى ان الظواهر
التي تحدث يوم القيامة مسخرة لهذه الأحداث ، مهياة لها . وهي ظاهرة
تطرد فيها كل التعابير القرآنية التي تخص اضطراب السماوات والأرض .
وأول من التفت الى هذه الناحية - فيما قرأت - الدكتور بنت الشاطيء
بقولها (ولا أعرف أحداً من المفسرين ، أو البلاغيين ، التفت الى اضطراب
هذه الظاهرة الاسلوبية في القرآن ، مع وضوحها الى درجة الغمد ، والاصرار
وسرها البياني دقيق جليل . فاطراد اسناد الحدث الى غير محدثه بالبناء
للمجهول ، والاسناد المجازي أو المطاوعة ، يدل على الغمد المقصود به مانسميه

(١) الزينة : الورقة ١٩٦ (ب) الكشاف ١ : ٤٩٧ .

التلقائية ، والاقناع النفسي بان الكون كله مهياً يومئذ للحدث الخطير ،
وان الكائنات مسخرة بقوة لذلك الحدث ، فما تحتاج فيه الى امر ، ولا
الى فاعل فالأرض تنزل تلقائياً ، وتلك بانبعاث قاهر ، والجبال ترج
وتنسف ، والبحار تسجر ، والنجوم تطمس ، وتبعثر ، في طواعية
تلقائية (١)

د - تناثر النجوم

ومن الطبيعي ان يصيب الخلل والاضطراب النجوم ايضاً ، بعد أن
يختل النظام الكوني العام ، فتمتد السماء ، وتمور مورا عظيماً ينتج عنه
تغير حال النجوم ، وانهارها ايضاً . قال الله تعالى : (والمرسلات عرفا
فالعاصفات عصفاً ، والناشرات نشرًا فاذا النجوم طمست واذا
السماء فرجت ، واذا الجبال نسفت ، واذا الرسل اقتت ، لاي يوم
اجلت ؟ ليوم الفصل) (٢) فبعد القسم القرآني تتابعت الآيات الكريمة
تعرض الظواهر التي تصيب الكون ، ومن بينها النجوم قال ابن عباس
مفسراً طمس النجوم بانه اذا (ذهب نورها) (٣) .
اما في اللغة فان حقيقة الطموس هي ، (الدروس والامحاء . . .
وانطمس الشيء ، وطمس أي انمحي ودرس) (٤) : وقال ابن فارس
هو « اصل يدل على محو الشيء ومسحه » (٥) .

(١) التفسير البياني : ٧٠

(٢) سورة المرسلات ٧٧ : ١ - ٣ ، ٨ - ١٢

(٣) تنوير المقياس : ٣٧٧

(٤) الصحاح ٢ : ٤١ ، لسان العرب ٧ : ٤٣٢

(٥) مقاييس اللغة ٣ : ٤٢٤ ، لسان العرب ٧ : ٤٣٢

فتفسير طمس النجوم في الآية الكريمة بذهاب نورها من باب الالحاء
 والحق ، لان النجوم اذا تغيرت ، واحتم معالمها ذهب نورها . وهو معنى
 اكدته آيات كريمة أخرى كقوله تعالى : « اذا الشمس كورت ، واذا
 النجوم انكدرت ، واذا الجبال سيرت ، واذا العشار عطلت . . . علمت
 نفس ما احضرت » (١) فقد فسر الانكدار بالتساقط والاسراع تارة
 والتغير تارة اخرى قال ابن عباس : « اذا النجوم انكدرت ، تساقطت
 على وجه الأرض » (٢) وقال ابو عبيدة : « انكدرت : يقال انكدر
 فلان انصب » (٣) . اما تفسير الانكدار بالتغير فقد نقله الطبري عن
 ابن عباس وآخرين (٤) .

وتعبير الانكدار يعيد لنا تعبير الطمس في قوله تعالى : « فاذا النجوم
 طمست » (٥) لان تساقط النجوم يؤدي الى تغير لونها والى احوالها أيضاً
 ولكن الانكدار يعطينا احوال آخر اكثر من معنى التغير والسقوط ، احوالاً
 مرتبطة بالبيئة العربية ، وصورها المألوفة ، وذلك اطلاقهم الكدرة على
 خلاف الصفوف في الماء (٦) . وللماء أهميته العظيمة في البيئة العربية الصحراوية

(١) سورة التكويد ٨١ : ١ - ٤ ، ١٤

(٢) تنوير المقياس : ٣٨٢

(٣) مجاز القرآن ٢ : ٢٨٧ : وانظر ايضاً جامع البيان ٣٠ : ٦٥ ،

الكشاف ٣ : ٣١٥

(٤) جامع البيان ٣٠ : ٦٥

(٥) سورة المرسلات ٧٧ : ٨

(٦) انظر جمهرة اللغة ٢ : ٢٥٢ ، الصحاح ٢ : ٨٠٣ مقاييس اللغة

وسنبحثه بالتفصيل فيما بعد (١) . تلك الأهمية التي جعلت منه الركن الأساسي في حياتهم فاذا بتعابير الماء تصبغ كلامهم ، وصوره تملأ مخيلتهم فاذا اراد شاعرهم الفخر فأنما يفتخر بشربه الماء الصافي العذب قبل غيره من الناس لغزته ومنعته ، بينما يشرب اعداؤه الماء الكدر بعد ان يردده هو وقبيلته قال عمرو بن كلثوم :

وَأَنَا الشارِبونَ الماءَ صَفوا وَيَشربُ غَيْرُنَا كَدرا وطِينا (٢)
وأقصى ما يمدح به المرء ان يشبه بالماء العذب في جوده وكرمه
واذا مدح شخص بهذا فسرعان ما يبعد عنه ان يكون ماء كدرا ، وانما
يمدح باذه كالماء العذب البارد .
انشد ابن الاعرابي :

لو كنتَ ماءً كنتَ غيرَ كدرٍ (٣)
فالماء الصافي هو الصورة المحببة للعربي في ببدائه الشحيحة ، فيطيب
عيشه اذا توفر الماء ، وطاب ، فان ساءت معيشته ، او اصابته مصيبة
استعاروا كدرته للتعبير عن العيش الضنك ، والحياة الذميمة ، فقالوا
« كدر عيش فلان وتكدرت معيشته » (٤) .

ومن هنا ندرك مدى التصوير البليغ المعجز ، الذي يصوره تعبير

(١) انظر الفصل الخامس ، ٥ - شراب أهل النار ، والفصل السادس

أ - انهار الماء .

(٢) شرح القصائد السبع : ٤١٩ : ٢٧٣ ، وانظر ايضاً ديوان حاتم

الطائي : ٣٦

(٣) الصحاح ٢ : ٨٠٣ ، والشعر غير منسوب الى قائله .

(٤) ن . م : ٨٠٤ ، وانظر ايضاً مقاييس اللغة ٥ : ١٦٤ وانظر شواهد

الشعر في ديوان الاعشى : ٣٤ ، ديوان النابغة الجعدي : ٦٩ ، ٧٣ ، ديوان عدي

الانكدار في تصوير حال النجوم حين تتغير ، وتفقد بهاءها ، فتكون صورة بغیضة تنقل الى ذهن العربي صورة الماء الكدر ، والغيش الكدر وكل ما يناقض الصفو والجمال . وتغير النجوم بهذه الصورة المحزنة ينتج من اضطراب الكون كله ، ومور السماء ، وانكفائها . فكدرة النجوم وتغيرها يدل على تغير واضطراب سريع في نظام سيرها ، ذلك الاضطراب الذي يؤدي بها الى الانهيار السريع . ومن هذه الوجهة جاء تفسير من قال ان معنى انكدرت « اسرعت » (٢) . ومما مّر بنا يبدو أن الاسراع ليس اصلاً ثانياً للكلمة كما ذهب ابن فارس (٣) ، وانما هو متطور عن المعنى الاول ، لان اسراع النجوم ناتج عن اضطراب النظام الدقيق الذي يسير الكون عليه فسرعان ما تهوى ، وتساقط بسرعة رهيبة ، وقد صور هذا المعنى بتعبير آخر هو قوله تعالى : « اذا السماء انفطرت ، واذا الكواكب انتثرت » ، واذا البحارُ فُجرتُ » (٤) . ويزيد من دقة الوصف ما توحيه كلمة النثر من سقوط النجوم وتهاويها ، حتى تعود صغيرة ، متناثرة ، لان النثر مقترن بالاجسام الصغيرة كما توحيه الكلمة .

- ابن زيد العبادي : ٦٠ ، شرح ديوان عنترة : ٨٠ ، جمهرة اشعار العرب : ١٢٦

شرح ديوان الحماسة ١ : ١١٩

(١) مقاييس اللغة ٥ : ١٦٤

(٢) ن . م .

(٣) سورة الانفطار ٨٢ : ١ - ٣

(٤) قال الله تعالى « اذا البحارُ سُجرتُ » سورة التكوير ٨١ : ٦ وقد فسر

سجر البحار باختلاطها انظر مسائل نافع بن الأزرق : الورقة ١٠ « أ » وروي انها تجعل يوم القيامة ناراً انظر درة التنزيل : ٣٨٨ ، الكشاف ٣ : ١٧٢ ، وانظر

ايضاً جمهرة اشعار العرب : ٩

وبعد ان مرّت بنا التعابير المختلفة التي صورت الظواهر الطبيعية التي تحدث في الكون يوم القيامة تتشكل في الذهن صورة متعددة الجوانب ، مليئة بالحركات لاضطراب الأرض والسماء ، وما فيهما من جبال وكواكب . فالارض ترج رجا شديدا . وتزلزل زلزالا عظيما شاملا وتحدث انكسارات للجبال فتفتت اجزاؤها ، وتتناثر جوانبها متلاشية في الكون المضطرب والبحار تختلط في هذا الخضم الكوني المختل النظام (١) اما السماء فتتهار متحولة الى سائل متعدد الألوان وقد تغير لون شمسها (٢) ونجومها ، وتهافت كلها أثر الاختلاف الكوني العام .

لقد مرّت بنا الايحاءات المختلفة التي اوحتها التعابير القرآنية في وصف هذه المشاهد ، وما تعكسه من صور البيئة العربية ، فلنا ان تساءل : هل استطاع الذهن العربي ان يتصور هذه الظواهر الرهيبة كما صورها القرآن الكريم ؟

وإذا بحثنا في جوانب البيئة العربية وجدنا بعض ملامح هذه الصور المفزعة التي يصفها القرآن الكريم ، وهي وان كانت ملامح بسيطة لا تقاس بشيء مما يحدث يوم القيامة ، فان لها دلالتها على البيئة العربية والذهن العربي .

انها ملامح الزلازل والبراكين التي تحدث في الحياة الدنيا . فهل تصور الذهن العربي الزلازل والبراكين ؟ ومن ثم الاضطراب الكوني يوم القيامة ؟ . اما المصادر العربية فانها لم تذكر حدوث زلازل في الجزيرة العربية في العصر الجاهلي ، انما الذي نجده وصفا لبقايا البراكين وقد ذكرها

(١) قال الله تعالى « اذا الشمس كُوِّرَتْ » سورة التكويد ٨١ : ١ ، وفسر

تكوير الشمس بمحائنها وذهاب نورها . انظر تنوير المقياس : ٣٨٢ ، مجاز القرآن

٢ : ٢٨٧ ، جامع البيان ٣٠ : ٦٣ وانظر ايضا المخصص ٩ : ٢٤

الذين كتبوا في جغرافية بلاد العرب من المحدثين فوصفوا آثار البراكين : قال الشرقاوي يصف هضبة الجزيرة بقوله : (تتغطى هذه الحافة في اليمن بطبقة من اللافا ، وهي نوع من الصخور البركاني) (١) . وقال بربري واصفاً جبال الحجاز حتى خليج عدن (ووراءه ترتفع جبال سوداء جرداء ، انما جبال الحجاز التي تخرقها ممرات قليلة تربط بين الساحل والداخل ، واذا توجهنا جنوباً نحو خليج عدن ، وجدنا الصخر البركاني) (٢) . اما هضبة نجد فوصفت بانها : (مغطاة بحمم السائل البركاني) (٣) . اما الحرات فهي من بقايا البراكين في الجزيرة العربية وهي كما وصفتها المراجع القديمة : (أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها احقرت بالنار) (٤) ويقول شليفر أن هذه الحرات من مظاهر البراكين التي شمات الصحراء فغطت وجهها بالحجارة السود ، وربط بينها وبين زلزال وصفه السمهودي في حوادث سنة ٦٥٢ هـ قال : (واصل هذه الحرات البراكين الباطنية التي غطت باستمرار وجه الصحراء المتموجة بطبقة من الحمم ، وهي توجد بصفة خاصة في شرق حوران وتمتد من

(١) هذا العالم : ٣٣٣

(٢) جزيرة العرب لبيربي : ٢٠

(٣) جزيرة العرب لوهمية : ١٤

(٤) صاحب العين ، والاصمعي عن معجم البلدان ٢ : ٢٤٧ ، وانظر

الغريب المصنف : الورقة (٢٠٥) جمهرة اللغة ١ : ٥٩ ، الصحاح ٢ : ٦٢٦ ،

مقاييس اللغة ٢ : ٧ شرح القصائد السبع ٤٧٤ ، المخصص ٥ : ٢٥٢ ، ١٠ : ٨٦

وانظر عن وجود الحرات في ديوان النابغة الذبياني ٥٦ ، مختصر البلدان : ٣١ معجم

البلدان ٢ : ٢٠٥ ، جغرافية العالم ١ : ٣١

هناك الى المدينة) (١) .

وربط الزلازل بالبراكين ظاهرة طبيعية أيضاً ، ذلك لأنهما تحدثان نتيجة لعوامل جغرافية يسببها تداخل في طبقات الأرض ، وحركة ، واضطراب شامل (٢) . وهناك نوع من الزلازل سميت بالزلازل البركانية (وهي التي ترتبط هزاتها بالهزات الناجمة عن انبثاق اللاّفات في فوهات البراكين) (٣) . وقد حددت منطقة الزلازل في الجزيرة العربية بأنها تلك التي توازي السواحل الشرقية الآسيوية (٤) .

هذه الدراسات الجغرافية تثبت كلها وجود البراكين والزلازل في الجزيرة العربية ، لأنها أرض عرفت الانكسارات ، والتداخل الطبقي الذي يصيب قشرة الأرض . أما المصادر الغربية القديمة (٥) فنجد فيها رواية يظهر عليها الطابع الاسطوري وذكرها هنا يطعننا على معرفة الغرب للبراكين والزلازل ، وعلى مقدار تصورهم لجغرافية الجزيرة العربية . يذكر الجاحظ في حديثه عن نار (حرة بني سليم) ان الناس يزعمون بأنها نار خالد بن سنان أحد بني مخزوم في بلاد عيس . فاذا كان الليل فهي نار تسطع في السماء ، وانها كانت تأتي على كل شيء فتحرقه ، واذا جاء النهار فانما هي دخان يفور ويروى بأن خالداً هذا احتفر لها بئراً . . . ويروى

(١) دائرة المعارف الاسلامية - مادة حرة ٧ : ٣٦٣ .

(٢) الزلازل عبارة عن (حركات تموجية تصيب قشرة الأرض في مناطق واسعة) أنظر قشرة الأرض : ٣٤٨ .

(٣) ن . م : ٣٥١ .

(٤) ن . م .

(٥) لقد قدمت المصادر الجديدة على المراجع القديمة (لأنني اتبعت تسلسل

الأقوال من الناحية العلمية لا التاريخية) .

أيضاً ان النبي (ص) قال حين رأى ابنته : هذه بنت نبي ضيعه قومه (١) :
وتدلنا هذه الاسطورة على ان العرب عرفوا البراكين ، وعانوا من
انفجارها في العصر الجاهلي ماعانوا ، حتى صاروا يطلقون عليها اسم العذاب
الموجع (٢) ، ثم ان هذه البراكين والزلازل ظهرت في الجزيرة العربية في
العصور الاسلامية المتأخرة ، ووصف السهمودي أحدها وهو - وان كان
متأخراً - يفيدنا في رسم صورة واضحة لنموذج من الظواهر الطبيعية التي
تجتاح الجزيرة العربية . ففي مستهل جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة
حدث في المدينة زلزال له دوي عظيم فكانت الأرض تنوج ، والجدران
تنحرك ، وذكر ان امير المدينة أرسل عدة فرسان الى هذه النار ، فذكروا
انها ترمى بشرر كالقصر ، ولم يظفروا بجليسة أمرها وان الأمير حين
ذهب بنفسه اليها لم يستطع مجاوزة موقفه من النار لأذ احجار كالمسامير
تحتها نار سارية (ورأى ناراً كالجبال الراسيات ، والتلال المجتمعة تقذف
بزبد الأحجار كالبهار المتلاطمة الامواج ، وعقد لهبها الافق قتماً حتى
ظن الظان ان الشمس والقمر كسفا ، اذ سلبا بهجة الاشراف في الآفاق ..
وقال المؤرخون ، واستمرت هذه النار مدة ظهورها تاكل الأحجار ، والجبال
وتسيل سيلا ذريعاً في واد يكون طوله أربع فراسخ وعرضه أربعة أميال ،

(١) الحيوان : ٤ : ٤٧٧ ، ثمار القلوب : ٤٥٥ ، والجاحظ ينكر هذه الرواية
ويقول (المتكلمون لا يؤمنون بهذا ويزعمون ان خالدا هذا كان اعرابياً ، وبرياً من
من أهل شرج وناظرة ولم يبعث الله نبياً قط من الاعراب) ومن المحتمل ان يكون
قول النبي (ص) - ان صحت الرواية - مجازاً ، وأراد به انها ابنة مصلح عظيم ، لم
يعرف قومه قدره . ثم حالك الخيال العربي هذه الاسطورة مستنداً على ظاهرة الحرات
الموجودة في الجزيرة العربية وما تحدث من الظواهر الطبيعية .

(٢) وفاء الوفاء : ١ : ١٤٢ ، ١٥٠ :

وعمقه قامة ونصف وهي تجري على وجه الأرض والصخر يذوب حتى يبقى مثل الآنك ولم يزل يجتمع من هذه المذابة في آخر الوادي عند منتهى الحرة حتى قطعت في وسط الوادي الشظاة الى جهة جبل ، وعبره فسد الوادي المذكور بسد عظيم من الحجر المسبوك بالنار (١) .

والوصف الأخير لبقايا الأحجار المذابة يشبه وصف القدماء للحرة بأنها حجارة سود نخرة ، كما نجد في الوصف العام للزلازل بعض ملامح الاضطراب الكوني الذي يحدث يوم القيامة - والذي مرت بنا صورته - فالجبال تتكسر وتتناثر أجزاءها ، وشبهت في القرآن الكريم بالسراب لتلاشيها ، وكثرة فتيتها المتناثر ، كما شبهت بالصوف المنتثر لما يحدث لها من اضطراب هائل اضافة الى الانكسارات الرهيبة التي تنزل الأرض واذا كان زلزال المدينة قد اقتصر على منطقة محدودة فلأ النفوس بالرعب ، والفزع ، فكيف بالانسان ، وهو يواجه هذه الاضطرابات الرهيبة في كل ركن من أرجاء الأرض ، فلا تسلم منه الجبال ، ولا الوديان ، بل حتى السماوات ، والكواكب والكون بأجمعه انه رعب هائل يثيره القرآن الكريم في النفوس البشرية وهو رعب يشعر به العربي الذي شهد الزلازل في بيئته أو وجد آثارها في الحرات المتبقية فرسخت في ذهنه أحاديث هولها ، وأذاها ، هذا العربي يستطيع ان يتصور الرعب الذي يفزع الانسان حين يواجهه الاضطراب الكوني وحده يوم القيامة (٢) . وتضاف الى هذا ظواهر طبيعية أخرى لم يشهدها الانسان في حياته الدنيا ، لأنها تنتج عن اختلال عام يتبعه تحول السماء الى سائل مذاب ثم انهيارها ، وتناثر نجومها وأجرامها كما مر بنا .

(١) وفاء الوفاء ١ : ١٤٢ - ١٥٠ .

(٢) ومن هنا اعتبر الجاحظ الزلازل من الظواهر التي يبعثها الله سبحانه

وتعالى لترهيب البشر أنظر الدلائل والاعتبار : ١٣ .

الفصل الثالث

صفة الناس يوم القيامة

١ - سيرهم نحو النفير :

أ - سرعتهم : نسلهم ، تشبيه سيرهم بالطواف حول النصب

ب - تفرقهم وانتشارهم : تشبيههم بالجراد ، وبالفراش

٢ - صفاتهم النفسية :

أ - يأسهم .

ب - توقعهم العذاب .

ج - ذلتهم :

٣ - صفاتهم الجسدية :

أ - سواد وجوه المجرمين وبياض المؤمنين

ب - حشر المجرمين زرقا

ج - اشراق وجوه المؤمنين :

١ - سيرهم نحو النفير :

أ - سرعتهم :

يخرج الناس من قبورهم اثر سماع النفير المفزع يوم القيامة : فيقفون وجها لوجه امام الاضطراب الهائل الذي يختل فيه نظام السموات والارض ومن هنا نجد في القرآن الكريم صوراً رائعة تصور مشاهد الناس عند خروجهم من القبور ، واول هذه المشاهد صورة سرعتهم في سيرهم نحو الداعي ، وقد عبّر عنها بعدة تعابير لكل منها دلالة على البيئة العربية : نسلهم : قال الله تعالى : (ويقولون : متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ؟ ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ، ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون ، قالوا : يا ويلنا من بعثنا من مردنا ؟ هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) (١) وقال ايضاً : (وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون ، حتى اذا فُتِحَتْ ياْجُوجُ وماْجُوجُ (٢) وهم من كل حدب ينسلون وأقرب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا ، يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين) (٣) فبعد نفخ الصور يخرج الناس من قبورهم فيتساءلون عن حقيقة الموقف الذي دعوا اليه وقد قال ابن عباس ان معنى ينسلون يخرجون (٤) .

(١) سورة يس ٣٦ : ٤٨ - ٥٢

(٢) ياجوج وماجوج : قال المفسرون انهما امتان من الانس وقيل اسمان

لرجلين انظر جامع البيان ١٧ : ٨٨ ، التبيان ٧ : ٢٧٧ ، الكشاف ٢ : ٣٣٧

(٣) سورة الانبياء ٢١ : ٩٥ - ٩٧

(٤) تنوير المقياس . ٢٧٥

اما ابو عبيدة فانه فسر النسل بالسير السريع وقرنه بهـدو الذئب قال :
(ينسلون : يسرعون ، والذئب يعسل ويعسل وينسل) (١) . وقال أيضاً في
تفسير سورة الانبياء : (ينسلون : يعجاون في مشيهم كما ينسل الذئب
ويعسل قال الجعدي :

عَسَلَانُ الذَّئْبِ امْسَى قَارِبًا بَرَدَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ فَانَسَلَ (٢)

اما في اللغة فنجد ان معاني الكلمة متقاربة بعضها من بعض ، فالنسل
بصورة عامة هو ضرب من السير السريع (٣) . واكننا نجد انه اقترن
بضرب من مشي الذئب قال ابن دريد : وَعَسَلَ الذَّئْبُ يَعْسِلُ عَسَلًا
وَعَسَلَانًا . وكذلك نَسَلَ نَسَلًا وهو ضرب من المشي يضطرب
فيه (٤) . وقال الزمخشري : (وَنَسَلَ الذَّئْبُ إِذَا اسْرَعَ بِاعْتَاقِ) (٥)
وقد ذكر ابن منظور ان هذا الاستعمال هو اصل للكلمة ثم اطلق على
السير السريع قال : (وقيل اصل النَسَلَانِ للذئب ثم استعمل في غير ذلك
وأُنسِلت القوم إذا تقدمتهم) (٦) .

ويبدو اننا لا نستطيع الجزم بان اصل النسلان هو سرعة سير الذئب
ذلك لان الكلمة وردت في الشعر الجاهلي مقترنة بضروب عديدة من سير

(١) مجاز القرآن ٢ : ٤٢

(٢) مجاز القرآن ٢ : ٤٢ ، وانظر ايضاً جامع البيان ١٧ : ١٩١ ، ٢٣ : ١٥

التبيان ٧ : ٢٧٩ ، والبيت في ديوان النابغة الجعدي : ٣

(٣) الصحاح ٥ : ١٨٣ ، مقاييس اللغة ٥ : ٤٢٠ ، لسان العرب ١٤ : ١٨٤

وانظر ايضاً اعجب العجب : ٣٨ ، امثال العرب : ١٩ ، الطرائف الأدبية : ٧٥

(٤) جمهرة اللغة ٣ : ٣٢ ، ٥١

(٥) اساس البلاغة : ٩٥٤

(٦) لسان العرب ١٤ : ١٨٤

الحيوانات المتوفرة في البيئة العربية .

فيقال عن الكلاب اذا اسرعت في سيرها نسلت (١) . وكذا الحيات في سرعة انسلالها وسيرها (٢) . وبهذا لا نستطيع الجزم باصل استعمال النسل هل هو سبر الذئب او الناقة او الكلب ، لان هذه الحيوانات كلها مما اعتاده العربي في بيئته وشهد عدوها وسرعة سيرها الا ان صورة نسل الذئب يقرب لنا الآية الكريمة لانه سير سريع فيه اضطراب ، وكذلك يكون حال الناس في سرعة سيرهم واضطرابهم نحو الداعي . وسياق الآيات العام يعيننا على فهم الاضطراب من تعبير النسل : (وما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخضعون ، فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون . ونُفِخَ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون ، قالوا يا ويلنا : من بعثنا من مرقدنا ؟ هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) (٣) . لانه مقترن بالفرع والرعب من مفاجئة الموقف وهوله . وهناك معنى آخر لكلمة النسل ، وذلك قولهم : النسالة شعر الدابة اذا سقط عن جسدها قطعاً (٤) . وواضح ان تساقط الشعر او الوبر لا يكون بالقوة ، انما يكون نتيجة لطبيعة الجسد حين تحدث له ظاهرة تستدعي سقوط الشعر تلقائياً . ونجد هذه الصورة نفسها في قولهم (النسل بالتحريك اللبن يخرج بنفسه من الاحليل) (٥) .

(١) انظر الحماسة البصرية : الورقة ٣٠٦ « أ »

(٢) المفضليات : ٢٤٠ ، شرح ديوان الحماسة ٤ : ١٨٠٦

(٣) سورة يس ٣٦ : ٤٩ - ٥٢

(٤) مقاييس اللغة ٥ : ٤٢٠ ، اساس البلاغة : ٩٥٣

(٥) الصحاح ٦ : ١٨٢٩ ، لسان العرب ١٤ : ١٨٤ ، وانظر الشعر في

ومن هذا المعنى الجديد لكلمة النسل تتشكل في الذهن صورة أخرى لسير الناس يوم القيامة ، ذلك لاننا نجد فيه معنى الطوعية والاستجابة السريعة التي تضيفي على الآية ايجاء جديداً يتجلى في خروج الناس واسراعهم من قبورهم نحو الداعي بصورة طبيعية وهذا المعنى ينسجم مع مشاهد القيامة الاخرى ، اذ ان كل مظهر من مظاهر الطبيعة يتجلى فيه تسخير محدد لاستجابة امر الله سبحانه وتعالى كما مررنا سابقاً (١) . فكأن الكون كله قد هياً لاستقبال حادث عظيم وهو قيام الساعة والحساب . وتعاون هذه الصورة مع المعنى الأول لكلمة النسل وهي تشبيه سير الناس بعدو الذئب المضطرب ، ذلك لاننا نجد في الآيات الكريمة معنى الطوعية والاستجابة لأمر داعي الله ، كما يتجلى فيها اضطراب وقلق يشبه اضطراب الذئب في عدوه ، وكلا المعنيين منسجم مع المشاهد الكونية التي مرر وصفها : (٢) :

تشبيه سيرهم بالطواف : اما سرعة سير الناس نحو الداعي فانها رسمت في آية أخرى بصورة تنقل لنا مشهدا من مشاهد البيئة العربية الجاهلية ، فقد شبهت سرعتهم نحو الداعي بصورة الطواف حول النصب التي كان العرب يعبدونها قال الله تعالى : (يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون ، خاشعة أبصارهم ترهقههم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون) (٣) .

قال معظم المفسرين ان النصب واحدة الانصاب وهي حجارة كان

(١) انظر الفصل الثاني أ - اضطراب الأرض - ٣ - بسبها

(٢) انظر الفصل الثاني ص ٩٥

(٣) سورة المعارج ٧٠ : ٤٣

ينصبها مشركو العرب فيعبدونها ، ويذبحون لها (١) . وقال اخرون :
ان النصب هو ما نصب لهم من علامة او غاية يستبقون اليها (٢) . فهم
في سرعتهم نحو الداعي كأنهم يستبقون إلى غاية نصبت لهم . وقد ذهب
اللغويون مذهب المفسرين في النصب (٣) .

والملاحظ ان صورة الانصاب التي كانوا يذبحون عليها ، ويطوفون
حولها أقرب الى الذهن عند قراءة الآية الكريمة من العلم او الغاية التي
يستبق اليها . فقد اعتاد العرب صورة الانصاب على اعتبارها جزءاً من
حياتهم الدينية روى الطبري ان في مكة وحدها ثلاثمائة وستين حجراً
يذبحون عليها القرابين (٤) ، وذكر ايضاً ان النصب وجدت في عكاظ (٥)
والطائف وفي الحجاز (٦) . الا انهم اختلفوا في تحديد مدلولها ، فمنهم
من قصرها على الحجارة يذبح عليها للالهة (٧) . ومنهم من عدّها من

(١) تفسير الخمسائة آية : الورقة ٤٧ (ب) جامع البيان ٢٩ : ٨٩ ،

الزينة : الورقة ٢٣٩ (ب) ، التبيان ١٠ : ١٢٩

(٢) اللغات في القرآن : ٥١ ، جامع البيان ٢٩ : ٨٨ ، الزينة ، الورقة

٢٣٩ (ب)

(٣) جمهرة اللغة ٢٩٩ ، اساس البلاغة : ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، لسان العرب

٢ : ٢٥٥ - ٢٥٦

(٤) جامع البيان ٩ : ٥٠٨

(٥) اسماء جبال تهامة : ٧٩

(٦) وقد وصف Doughty أحد هذه الأنصاب واعتقد انها كانت

موهوبة للآلات ووصفها بانها صخرة غير منظمة ورمادية اللون . انظر :

Travels in Arabia Desert Vol. II. p. 550 .

(٧) جامع البيان ٩ : ٥٠٨ ، الاصنام : ٤٢ ، الزينة : الورقة ٢٣٩ (ب)

وانظر ايضاً تاريخ العرب لجواد علي ٧ : ٧٩

معبودات العرب يطوفون حولها ، وينحرون لها (١) .
والظاهر ان اختلافهم في النصب متأت من طبيعة وجود هذه الانصاب
في البيئة العربية ، واختلاف نظرة الناس اليها من مكان الى آخر فهي في
مكة حجارة يذبح عليها كما ذكر الطبري (٢) حتى اذا حج العربي وأراد
العودة الى أهله عزّ عليه فراق الكعبة فيأخذ من حجارة الحرم ما ينحتّه على
صورة أصنام البيت ، ويجعله قبلة له في بيته يطوفون حوله ، ويتمسحون
به ويصلون له تشبيهاً له بأصنام الكعبة . قال ابن الكلبي (واشتهرت
العرب في عبادة الأصنام فمنهم من اتخذ بيتاً ، ومنهم من اتخذ صنماً ، ومن
لم يقدر عليه ، ولا على بناء بيت نصب حجراً أمام الحرم أو امام غيره مما
استحسن ثم طاف به كطوافه بالبيت وسموها الأنصاب) (٣) . وقال ياقوت :
(وأفضى بهم الأمر بعد طول المدة انهم كانوا يأخذون الحجر من الحرم
فيعبدونه فذلك كان أصل عبادة العرب للحجارة في منازلهم شغفاً منهم بأصنام
الحرم (٤) والذي يهمنا في هذا الأمر هو صورة طوافهم حول الأنصاب
التي تنقل لنا سرعة السير في التعبير القرآني حين وصف سير الناس بعد
حشرهم من قبورهم وشبهه بالطواف حول النصب . وفي الشعر الجاهلي نجد
ذكراً للانصاب على انها حجارة يذبح عليها (٥) . أما الصورة التي تعيننا
على فهم الآية الكريمة فهي صورة طوافهم حول النصب وسرعتهم في السير

(١) تفسير الخمسة آية : الورقة ٤٧ (ب) ، جامع البيان ٢٩ : ٩٠ ، الزينة :

(الورقة) ٢٤١ (أ) ، التبيان ١٠ : ١٢٩ .

(٢) جامع البيان ٩ : ٥٠٨ .

(٣) الأصنام : ٣٣ .

(٤) معجم البلدان ٤ : ٦٢٢ .

(٥) ديوان النابغة الذبياني : ١٢١ ، ديوان سلامة بن جندل : ٨ .

نحوه . قال المثقب العبدى (١) ذاكرًا الطواف .
يطيف بنصبهم حُجْنٌ صغارٌ فقد كادت حواجبهم تشيبُ (٢)
وقال الطرماح واصفًا سرعة جري الثور وراء النعامة مشبها إياها
بطواف قاضي النذر حول النصب :

طوفَ مَتْلِيَّ نذر على نُصْبٍ حول دَوَارٍ مُجْمَرَةٍ جُدُدُهُ (٣)
وتشبيهه الطرماح يفيدنا في هذا الباب لأنه صادر عن الصورة
الفنية التي عُلقت في الذهن العربي وهي صورة الطواف السريع حول النصب
والتي بقيت في الاستعمال الأدبي مع زوال النصب والأصنام بانتشار الإسلام .
ومن هنا نجد الإعجاز العظيم في التعبير القرآني الذي وصف سرعة
سير الناس نحو الداعي وشبهه بالطواف حول النصب : (يوم يخرجون من
الأحداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون ، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة
ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون) (٤) . ذلك التعبير الذي تحدى الاعتقاد
الديني ولم يأخذ منه إلا الصورة الفنية وهي صورة الطواف مع انها ما زالت
قريبة العهد إلى الذهن العربي (٥) .

ونستطيع ان نلمح في الآية معنى آخر إلى جانب سرعتهم في السير

(١) هو العائذ بن محصن بن ثعلبة . من بني عبد القيس ، من ربيعة . شاعر
جاهلي من أهل البحرين اتصل بالملك عمرو بن هند وله فيه مدائح ، ومدح النعمان
ابن المنذر أيضاً . أنظر الشعر والشعراء ١ : ٣١١ - ٣١٣ جمهرة أنساب العرب ٢٩٨ -
٢٩٩ ، خزانة الأدب ٤ : ٤٣١ .

(٢) الأصنام : ٤٢ ، والبيت غير موجود في شعر المثقب العبدى .

(٣) ديوان الطرماح : ٥٣ :

(٤) سورة المعارج : ٧٠ - ٤٣ - ٤٤ :

(٥) وقد وردت في القرآن الكريم بهذا المعنى أنظر سورة المائدة ٥ : ٩٠

ذلك المعنى هو الضلال المتجلي في طواف المشركين حول النصب ، فكأن الناس حين يخرجون من قبورهم يسرعون نحو الداعي ، وهم في اسراعهم هذا يكتنفهم الضلال ، والحيرة ، كما هو الحال مع المشركين حين يطوفون حول النصب ولا يستجاب دعاؤهم ولا يجدي طوافهم . أما معنى السرعة فيؤكدده وصف الكافرين بأنهم : (كأنهم الى نصب يوفضون) ، (١) لأن الايفاض هو السرعة كما قالوا (٢) وكلا المعنيين يتعاوان على رسم صورة الناس عند اسراعهم نحو الداعي .

ب - تفرقهم وانتشارهم

يفزع الناس عند سماعهم صوت النفير فيخرجون من قبورهم مضطربين هلعين ، وقد توضحت لهم حقيقة الموقف فيتفرقون وينتشرون ، وقد ملأ الرعب قلوبهم . وصورة انتشارهم المفزع صورت في القرآن الكريم بصورة واضحة المعالم ، إذ شبهوا مرة بالجراد المنتشر ، وأخرى بالفراش الميثوث قال الله تعالى : (فتولَّ عنهم يوم يدعُ الداع الى شيء نكُرٍ خُشِعَا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ، مهطعين الى الداعي يقول الكافرون هذا يومٌ عسر) (٣) .

وتشبيه حال الناس في تفرقهم بالجراد ينقلنا الى البيئة العربية التي الف العرب فيها انتشار الجراد في صحرائهم الواسعة وقد ذكر الجراد في سورة

(١) سورة المعارج ٧٠ : ٤٣ .

(٢) تنوير المقياس : ٣٦٨ ، تأويل مشكل القرآن : ٣١٧ ، جامع البيان : ٢٩ :

٨٨ ، التبيان ١٠ : ١٢٩ .

(٣) سورة القصر ٥٤ : ٦ - ٨ .

الأعراف على انه مما أرسل مع القمل والطوفان على آل فرعون (١) : ولرسوخ صورة الجراد في الذهن العربي شبهوا بها الناس الجبناء حين يفرون من الحرب فزعين خائفين .

كما انها تنقل لنا صورة زحف الجراد حين يملأ الأرض بزحفه ويسير بقوة دافعة لا يمكن ان تصده أي قوة أخرى (٢) .

وهم في مثل هذا التشبيه يقصدون الى رسم الفرع الذي يجعل الجبناء يفرون على غير هدى هرباً من الموت والقتل وهي صورة واضحة المعالم في وصف الناس يوم القيامة حين يفاجئهم الفرع الأكبر ، فيتفرقون على غير هدى ، ويفرون على وجوههم تتبعهم الذلة والطلع ، وهم في سيرهم هذا مدفوعين بقوة مجهولة متساقين نحو الداعي بجموعهم المحتشدة ، متذكرين صورة الجراد المنفرد الذي يتنزي لأدنى حركة ، على حين تذكرهم صورة الجراد المجتمع الذي يزحف بقوة ودأب عظيمين لاتقف أمام جيوشه وزحفه قوة من القوى .

وفي آية أخرى شبه الناس في تفرقهم وانتشارهم بالفراش : (القارعة ما القارعةُ وما أدراك ما القارعةُ ؟ يوم يكون الناسُ كالفراشِ المبثوثِ وتكونُ الجبالُ كالعهنِ المنفوشِ) (٣) . ففي هذه الآيات الكريمة نجد تصوراً آخر لحال الناس في تفرقهم وانتشارهم عند اضطراب السماوات والأرض ، وقد حاول المفسرون تحديد الفراش فقال ابن عباس (الفراش المبثوث المبسوط يجول بعضه في بعض والفراش هو شيء يطير بين السماء

(١) سورة الأعراف ٧ : ١٣٣ .

(٢) ديوان التابغة الجعدي : ٤٥ ، المؤلف والمختلف : ٥٦ ، الأشباه والنظائر

١٤٩ ، ٢٦٦ ، الطرائف الأدبية : ١٦ .

(٣) القارعة ١٠٢ : ١ - ٥ .

والأرض مثل الجراد (١) . أما أبو عبيدة فلم يشبهه بالجراد وإنما اكتفى بقوله (كالفراش المبيثوث طير لا بعوض ولا ذباب هو الفراش) (٢) ، أما الزجاج فقد شبه الفراش بصغار البق قال (والفراش ما تراه كصغار البق يتهافت في النار ، شبه الله عز وجل الناس يوم البعث بالجراد المنتشر ، وبالفراش المبيثوث ، لانهم اذا بعثوا يموج بعضهم في بعض كالجراد الذي يموج بعضه في بعض) (٣) .

ويلاحظ في هذا التشبيه انه مستمد من البيئة العربية ايضاً ، من صورة اعتادها العربي فضرب بها المثل ، وذكرها في اشعاره ، ذلك لأن البيئة العربية صحراء مترامية الاطراف في معظم اجزائها تسرح فيها الحيوانات نهاراً ، فاذا جاء الليل فان أيّ نار تتراعى من مكان ما تتهافت حولها الحشرات ، وتموج بعضها في بعض . ومن الطبيعي ان تكون هذه الحشرات متنوعة ، ومن هنا لم يستطع المفسرون واللغويون تحديد الفراش فشبهوه بالجراد تارة ، واكتفوا بالقول بانه لا ذباب ولا بعوض كما مر بنا . هذه الصورة التي اعتادها العرب انعكست في اشعارهم فاذا أرادوا هجاء قوم شبهوهم بالفراش لانهم لا حلوم لهم . كما ان الفراش طائش يموج بعضه فوق بعض حتى يهوا جميعاً في النار فتمحرقهم انشد الليث : اودى بحملهم الفياش فحلمهم حلم الفراش غشيين نار المصطلي (٤)

(١) تنوير المقياس : ٣٩٥ ، وانظر ايضاً رأى الفراء في لسان العرب ٨ : ٢٢١

جامع البيان ٣٠ : ٢٨١

(٢) مجاز القرآن ٢ : ٣٩ وانظر ايضاً جامع البيان ٣٠ : ٢٨١

(٣) عن لسان العرب ٨ : ٢٢١ ، وانظر ايضاً مقاييس اللغة ٤ : ٤٨٧

(٤) عن لسان العرب ٨ : ٢٢١

والفياش المفاخرة (١) ، أي ان المفاخرة قد شغلت تفكيرهم فأودت بعقولهم فنهاووا كما يتهاوى الفراش على نيران المصطلي .
 وإذا أرادوا ان يببنوا ضعف قوم في هجائهم - شبهوهم بالفراش ،
 وانهم في الحروب لا يصمدون ، وإنما يتساقطون بعضهم فوق بعض كالفراش
 الذي يهوي في النار فتحرقه ، قال الأسليح بن سالم الضبي (٢) بصف قومه
 وحر بهم مع بني ذهل بن مالك :

كأنَّ سِراةَ الحِبيِّ ذَهَلُ بنِ مالِكِ

فراشٌ تهاوى في لظى النارِ من علِ (٣)

وقالوا في المثل : (أطيئس من فراشة) (٤) .

ومن هنا نفهم وجه الشبه في الآية الكريمة : (يومَ يكونُ الناسُ
 كالفراشِ المبثوثِ وتكونُ الجبالُ كالعهنِ المنفوشِ . .) (٥) . فالناس
 حين يفزعون ويضطربون يموج بعضهم فوق بعض وهذا الاضطراب لا يمثل
 الحركة فحسب ، إنما يصور الاضطراب والتدافع الذي يؤدي الى التهلكة
 كما يؤدي تدافع الفراش الى النار والهلاك . ثم ان الفراش من الناحية الأخرى
 حشرات حقيرة تهلك نفسها بتهافتها على النار ، فشبه بها حال الناس في
 تفرقهم وذلنتهم الى جانب اضطرابهم ، وتدافعهم . قال الزنخشي موضحاً
 هذا التشبيه : (شبههم بالفراش في الكثرة ، والانتشار ، والذلة ، والتطابر

(١) مقاييس اللغة ٤ : ٤٦٤ .

(٢) هو الأسليح بن سالم الضبي أخو بني حرثان بن ثعلبة بن ذؤيب شاعر

فارس ، لم أعر على ترجمة كاملة له أنظر المؤلف والمختلف : ٥٤ .

(٣) ن . م .

(٤) الصناعتين : ٢٤٣ ، المستقصى ١ : ٢٣٠ .

(٥) سورة القارعة ١٠١ : ٤-٥ .

الى الداعي من كل جانب . كما يتطير الفراش على النار قال جرير :

ان الفرزدق ماعلمت وقومه مثل الفراش غشين نار المصطلي (١)

هذه هي صورة الناس في تفرقهم وانتشارهم يوم القيامة ، وسياق الآيات العام يعيننا على فهم التفرق والذلة المراد تبيانها في هذا التشبيه ، فما دامت قبور الناس متفرقة في أرجاء العالم المتباعدة ، فان الناس يخرجون من هذه القبور ويسرعون نحو الداعي وبهذا تكتمل صورة الانتشار والتفرق (٢)

اما الذلة والفرع فيوضحها سياق الآيات العام : (القارعةُ ما القارعةُ وما أدراك ما القارعةُ ؟ يومَ يكونُ الناسُ كالفراشِ المبثوثِ ، وتكونُ الجبالُ كالعهنِ المنفوشِ) (٣) ، فالقارعة اسم من أسماء يوم القيامة (٤) ، وهي (داهية مهلكة ويقال قرعت عظمه أي صدعته) كما يقول أبو عبيدة (٥) فكانت هذه الداهية طولها تصدع كل ما في الكون وتفتته ، وتكرار لفظ القارعة بهذا الإيحاء المبهم يقرع الاذن بمعاني الفرع والرغبة . وتؤكد الآيات بعدها هذا المعنى ، بأن القارعة تكون يوم القيامة حيث يتصدع الناس ويتفرقون كأنهم فراش منتشر ، فيصيب الصدع الجبال فتفتت وتتناثر أجزاءها ،

(١) الكشاف ٣ : ٣٥٥ ، ورواية البيت في الديوان (أزرى بحلمكم الفياش فأنتم . . .) . أنظر ديوان جرير : ٣٥٩ وهي تشبه رواية البيت الذي أنشده الليث أنظر ص ٨١ .

(٢) وانظر هذا المعنى في قوله تعالى : (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) سورة الروم ٣٠ : ١٤ .

(٣) سورة القارعة ١٠١ : ١-٥ .

(٤) جامع البيان ٣٠ : ٢٨١ .

(٥) مجاز القرآن ١ : ٣٣٢ ، وانظر أيضاً الكشاف ٣ : ٣٥٥ ، البيان

١٠ : ٣٩٩ .

وتكون كالصوف المنفوش . . وهكذا تتداعى الآيات الكريمة لترسم الصورة الواضحة ليوم القيامة ، وكيف ان الكون كله يشمله الفزع والرعب ، ثم تأتي صورة تفرق الناس ، وانتشارهم كالجراد أو كالفراش لتكمل صورة الاضطراب الشامل .

٢ - صفاتهم النفسية

أ - يأسهم :

قال الله سبحانه وتعالى مبيناً ان قيام الساعة وما فيها من الهول والرعب يترك المجرمين في يأس مرير : (ويومَ تقومُ الساعةُ يبليسُ المجرمون ، ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء ، وكانوا بشر كائهم كافرين ، ويومَ تقومُ الساعةُ يومئذٍ يتفرقون) (١) .

فسر ابن عباس ابلاس المجرمين بأنه يأسهم (٢) وقال الفراء : (الملباس المنقطع رجاؤه ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجته ، ولا يكون عنده جواب قد ابلس . وقد قال الراجز :

ياصاح هل تعرف رسما مكرسا قال : نعم اعرفه وأبلسا (٣)

(١) سورة الروم ٣٠ : ١٢ - ١٤ .

(٢) تنوير المقياس : ٢٥١ ، اللغات في القرآن : ٣٨ ، التنبيه والرد : ٧٤ .

(٣) معاني القرآن ١ : ٣٣٥ ، والبيت لم ينسبه الفراء الى قائله وهو للعجاج

كما في مجاز القرآن ٢ : ١٢٠ ، جامع البيان ٢١ : ٢٦ ، مكرس فيه الكرس أي أبوال الابل ، وابعارها يتلبد بعضها على بعض في الدار ، وكذلك فسر الابل في سورة الأنعام ٦ : ٤٤ ، والمؤمنون ٢٣ : ٧٧ ، والزخرف ٤٣ : ٤٩ ، أنظر تنوير المقياس :

٨٧ : ٢١٥ ، ٣٠٧ ، جامع البيان ٧ : ١٩٤ ، ١٨ : ٤٦ ، ٢٥ : ٩٨ ، ٢١ ، ٥٤ ، =

وأضاف الزمخشري الى معنى اليأس السكوت والخيرة قال : (الابلاس أي يبقى يائساً متحيراً ، يقال ناظرته فابلاس اذا لم ينبس ، ويشس من ان يحتج ، ومنه الناقة المبالاس التي لا ترغو وقرىء يبلّس ، بفتح اللام من أبلّسه اذا أسكته) (١) .

ويلاحظ في هذه التفسير انها أعطت معنى مشتركاً للكلمة وهو اليأس والخيرة والوجوم . وهكذا ورد معنى الكلمة في كتب اللغويين قال الجوهري : (ابلس من رحمة الله ، أي يئس ومنه سمي ابليس وكان اسمه عزرائيل) (٢) وهو معنى جعله ابن فارس الأصل للمعاني الكلمة قال : هو (أصل واحد وما بعده . فلا معول عليه ، فالأصل اليأس يقال : ابلس اذا يأس قال الله تعالى (اذا هم مبلسون) قالوا ومن ذلك اشتق اسم ابليس كأنه آيس من رحمة الله) (٣) .

وهناك معنى آخر للكلمة وهو ان يقال ابلس الرجل اذا سكت (٤) فكان الكافرين حين يرون العذاب الذي ينتظرهم يوم القيامة يسكتون ، ويتحIRON ، وقد انقطعت حججهم ، لأنهم سبق ان انذروا في الحياة الدنيا ، ومن هنا نفهم تطور معنى ابلس اذا يئس الى معنى ابلس اذا سكت . قال أبو عبيدة : (والمبلسُ : اليائسُ ، ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون عنده جوابٌ قد أبلّس) (٥) .

= الكشاف : ٥٥٥ ، ٢ : ٣٦٧ ، ٣ : ١٠٣ .

(١) الكشاف ٣ : ٥٥٤ .

(٢) الصحاح ١ : ٩٠٦ ، لسان العرب ٧ : ٣٢٨ .

(٣) مقاييس اللغة ١ : ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، وانظر أيضاً المفردات : ٥٩ .

(٤) النوادر ١ : ١٧٢ ، جمهرة اللغة ١ : ٢٨٨ ، أساس البلاغة ٦١ .

(٥) عن لسان العرب ٧ : ٣٢٨ والنص غير موجود في مجاز القرآن .

واذا عدنا الى البيئة العربية وجدنا صدى الاستعمال الحسي للكلمة مقترناً بالناقاة حيوان الصحراء المعتاد ، وذلك ان يعرض لها عارض فتألم ولا تستطيع ان ترغو (١) ، وهي في هذه الحالة في يأس وحيرة مما ألمّ بها وهو المعنى الذي تطورت اليه الكلمة للدلالة على اليأس المطلق ، ثم انها لشدة ألمها لا تستطيع ان ترغو ، وهو المعنى الذي تطورت اليه الكلمة حين قالوا اباس الرجل اذا سكت ، لأن رغاء الناقاة يقابل كلام المرء ، فانقطاعها عنه يقابل الانقطاع عن الكلام .

كل هذه المعاني نستطيع ان نفهمها في الآية الكريمة : (ويومَ تقومُ الساعةُ يُبليسُ المجرمون) (٢) ، ذلك لأن المجرمين يوم القيامة حين يرون العذاب متمثلاً بظاهرة الاضطراب الكوني يبأسون من العفو والرحمة ، لأنهم ارتكبوا في دنياهم ذنوباً عظيماً لم يعرفوا فيها الى رسالة الرسل والأنبياء وهم في هذه الحيرة لا يستطيعون الكلام والدفاع عن أنفسهم فنقلنا صورتهم هذه الى مشهد الناقاة المتألّمة اليائسة . وهو مشهد طالما تكرر امام ناظري العربي ، فاعتاده وعرف الأذى النفسي الذي تصاب به الناقاة فسرعان ما ترسم هذه الصورة في ذهنه حين يقرأ الآية الكريمة حيث يبلس المجرمون ، وتجتمع كل هذه الدلالات لترسم لنا الصورة الكاملة لابلاس المجرمين ويأسهم .

وهناك معنى آخر ورد في شعر العجاج واصفاً وجوه القوم عند اشتداد الحرب ، إذ تعلوها صفرة وحيرة ويأس :

وجُمِعَت يومَ الخَميسِ الأَخماسُ وفي الوجوهِ صفرةٌ وإِبلاسُ (٣)
فصورة الحيرة ، والصفرة التي تعلو الوجوه في الحروب ، تزيد من

(١) الصحاح ٢ : ٩٠٦ ، مقاييس اللغة ٢ : ٣٠٠ .

(٢) سورة الروم ٣٠ : ١٢ .

(٣) جمهرة اللغة ١ : ٢٨٨ ، انظر أيضاً لسان العرب ٧ : ٣٢٨ .

إحاء الكلمة في الآية الكريمة ، ودلالاتها على الضعف ، واليأس ، والوجوم وهي تعطينا صورة أخرى لدلالة الكلمة على البيئة العربية حين تصفر أوجه القوم عند الغارات الشديدة ، والحروب المتطاحنة . ومع ذلك تبقى صورة الناقة المُبْلِيسَة متمثلة في الذهن على انها الصورة الحسية الوثيقة الصلة بالبيئة العربية فتساعدنا على فهم التعبير القرآني الى جانب المعاني الأخرى المتطورة عنها .

وهناك تعبير آخر يصور حيرة الناس ويأسهم يوم القيامة : (لا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَلا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ، أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عَظَامَهُ ؟ بلى قادرين على أن نُنسَوِي بُنْيَانَهُ بلى يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ، يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؟ فإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ، وَخَسَفَ الْقَمَرُ ، وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ، يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ . . .) (١) ففي هذه الآيات الكريمة نجد حيرة الانسان يوم القيامة متجلية بما يطرأ على بصره من معالم الحيرة ، والهلوع وقد قالوا في معنى برق البصر اي شخص وتحيير فزعا (٢) ، وذلك لأن أصل البرق هو اللمعان والتلألأ (٣) ، فكأنَّ الانسان حين يشهد الظواهر المرعبة التي تسود الكون ويرى الفزع محيطاً به تشخص عيناه وتتلألأ ، وتأخذ الحيرة فلا يطرف بصره . وهو معنى أكده قوله تعالى : (انما يُؤَخِّرُهُمْ ليومٍ تشخصُ

(١) سورة القيامة ١٠٧ - ١٠٠ .

(٢) تنوير المقاييس : ٣٧٤ ، جامع البيان ٢٩ : ١٧٨ ، درة التنزيل : ٣٨١ ،

التبيان ١٠ : ١٩٢ .

(٣) جمهرة اللغة ١ : ٢٦٩ ، الصحاح ٤ : ٤٤٦ ، المخصص ١ : ١٠٧ ،

أساس البلاغة : ٤٣٠ ، لسان العرب ١ : ٢٩٧ .

فيه الأبصارُ) (١) وقال أيضاً: (واقترَبَ الوَعْدُ الحقُّ فإذا هي شاخصة أبصارُ الذين كفروا) (٢) ، لأنَّ شخوصَ الأبصار ان تبقى العين مفتوحة لاتطرف (٣) .

ب - توقعهم العذاب

ومع يأس الناس من الرحمة والعتو نجد وصفاً للفرع الذي يملأ قلوبهم والشعور القوي الذي يحتاج نفوسهم بأن مصيبة عظيمة ستحل بهم ، ولكنهم يجهلونها قال الله تعالى : (كلا بل تُحِبُّونَ العَاجِلَةَ ، وتَدْرُونَ الآخِرَةَ وَجوهٌ يومئذٍ ناضرةٌ الى ربِّها ناظرةٌ ، ووجوهٌ يومئذٍ باسرةٌ تظنُّ ان يُفْعَلَ بها فاقرةٌ) (٤) .

فقد وصفت وجوه الكافرين بأنها باسرة . وقال المفسرون في شرحها بأن معناها انها تكون ليأسها وضعفها كالحقة كربيهة المنظر (٥) عابسة مقطبة (٦) ، ذلك لأنها تتوقع حلول داهية عظيمة لاحتتملها نفوسهم ، ويأتي التعبير الذي صورت به الداهية ليزيد ملامح الكافرين وضوحاً ، لأن

(١) سورة ابراهيم ١٤ : ٤٢ .

(٢) سورة الأنبياء ٢١ : ٩٧ .

(٣) جامع البيان ١٣ : ١٢٣٦ ، التبيين ٦ : ٣٠٣ .

(٤) سورة القيامة ٧٥ : ٢٠ - ٢٥ .

(٥) تنوير المقياس : ٣٧٥ ، مجاز القرآن ٢ : ٢٧٥ ، غريب القرآن : ٥١ ،

جامع البيان ٢٩ : ١٩٣ ، وانظر أيضاً جمهرة اللغة ١ : ٢٥٥ ، الصحاح ٢٩ : ٥٨٩ لسان العرب : ١٢٣ .

(٦) غريب القرآن : ٥٠٠ ، جامع البيان ٣ : ٢٩٤ .

عبوس الوجوه وتقطيبها لا بد أن يكون ليأس عظيم وخوف مرعب من الداهية .

فالفارقة التي يتوقعها المجرمون هي (شدة ومنكرة من العذاب) كما يقول ابن عباس (١) وهي الداهية كما فسرهما معظم المفسرين ، ولكنهم اختلفوا في أصل استعمالها هل انها مشتقة من فقار الظهر كأن تكون المصيبة التي تحل بهم عظيمة تكسر ظهورهم ؟ أم انها من الفقر الذي هو الخبز يوسم به أنف البعير ليندل ؟ .

أما الفريق الأول فقد قالوا في تفسير الآية بأن الفارقة هي الداهية من فقار الظهر كأنها تكسره (٢) . ويلاحظ في هذا التفسير أنه وثيق الصلة بالبيئة العربية ، ذلك لأنه من المعاني الحسية التي اهتم بها العربي ، وأولها عنايته . فقد اهتم العربي بالحيوانات الأليفة التي شاركته بينته متأملاً صفاتها الجسدية ، مسمى كل عضو منها . ونجد في الشعر الجاهلي صدى عميقاً لهذا الاهتمام اذ وصف الشاعر ناقته ، وتطرق الى ذكر فقار ظهرها ، والتحاها قال زهير بن أبي سلمى :

بأرزة الفِقرةِ لم تَخُنْهَا قِطافٌ في الرِّكابِ ولا خِلاءٌ (٣)
الآرزة : الدانية بعضها من بعض ، والقطاف : مقارنة الخطر ، والخلاء ان تبرك فلا تبرح ، يريد انها مجتمعة الفقار ملتصقتها ، ولا ينقص خلقها شيء من العيوب كمقاربة الخطو أو البروك وعدم مبارحة الأرض . وقال

(١) تنوير المقياس : ٣٧٥ .

(٢) تفسير غريب القرآن ٥٠٠ ، أدب الكاتب : ٥٦ ، جمهرة اللغة ٢ : ٣٩٩

غريب القرآن : ١٨٦ ، الصحاح ٢ : ٧٨٢ ، التبيان ١٠ : ١٩٩ ، المفردات : ٣٩١
الكشاف ٣ : ٢٩٤ .

(٣) شرح ديوان زهير ٦٣ :

الأعشى واصفاً ناقته ، وكيف ان فقارها متلاحمة باللحم :
 وداياً تتلاحكن مثل الفؤوس لاجم منها السليل الفقارا (١)
 ومن الطريف ما يروى في هذا الباب ان اعرابياً قدم على عتبة بن
 أبي سفيان (٢) مشتكياً ظلامته ، وان عتبة قال له : (اني أراك اعرابياً
 جافياً ، فوالله ما أحسبك تدري كم تصلي في كل يوم وليلة ؟ فقال : رأيت
 ان أنباتك ذلك ان تجعل لي عليك مسألة ؟ قال : نعم . فقال الاعرابي :
 ان الصلاة أربع فأربع ثم ثلاث بعدهن أربع
 ثم صلاة الفجر لاتُصَيِّعُ

فقال : صدقت ، فإل فقال : كم فقار ظهرك : فقال : لا أدري فقال :
 أفتحكم بين الناس ، وأنت تجهل هذا من نفسك ؟ فقال ردوا عليه غنيمة (٣)
 ولهذا الخبر دلالة على الأمور التي كان الاعرابي يوليها اهتمامه ، حتى انه يعجب
 من جهل عتبة عدد فقار ظهره مع انه يحكم بين الناس وكأن عدد فقار
 الظهر من أولى مستلزمات الرجل الحكيم ! لأن من يجهل نفسه يكون أولى
 بجهل أمور الناس وشؤونهم . وقال ابن الاعرابي في تحديد فقر الانسان
 والبعير (أقل فقر البعير ثمان عشرة ، وأكثرها احدى وعشرون الى ثلاث
 وعشرين ، وفقار الانسان سبع) (٤) .

(١) ديوان الأعشى : ٤٧ .

(٢) هو عتبة بن أبي سفيان صحخر بن حرب بن أمية أمير مصر وليها من قبل
 أخيه معاوية فقدمها سنة ٤٣ هـ ، حج بالناس سنة ٤١ ، ٤٢ هـ . أنظر نسب قريش :
 ١٢٥ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٦٤ ،

(٣) الكامل للمبرد ١ : ٣١٠ - ٣١١ .

(٤) عن لسان العرب ٦ : ٣٦٨ . علماً بأنه أصبح من الثابت في الوقت الحاضر

ان عدد فقار الانسان ثلاث وثلاثون .

ومن هذا المعنى المادي قالوا عن الرجل فقراً إذا كسرت فقراته
وعبر بهذا التعبير عن الضعف . قال طرفة :

وإذا تَلَسَّني ألسُنُها انني لستُ بمُهوون فقراً (١)

وقال ثعلب معلقاً على البيت : (فقير : مكسور الفِقر) (٢) . فقد
استعملت كلمة الفقر للدلالة على الضعف والكسل لأن من ضعفت فقرات
ظهوره ، ضعفت قوته وطاقاته الجسدية .

ومن هنا جاء الاستعمال المجازي لمعنى الفقر وهو الحاجة والذلة أو ما يصاد
الغنى فكما ان المكسور الظهر ضعيف لا يقوى على السير والعمل وحده ،
ومحتاج الى المساعدة فكذلك سمي كل محتاج الى غيره بالفقير (٣) وقد وردت
بهذا المعنى في اثنتي عشر آية (٤) .

ف قوله سبحانه وتعالى في صفة حال المجرمين يوم القيامة (تَظِنُّ ان
يُفْعَلُ بها فاقرة) (٥) يرسم لنا صورة حسية من البيئة العربية ، وذلك ان
هؤلاء المجرمين ييأسون من الرحمة ، والعمو وبوقنون بداهية عظيمة مؤلمة تحل
بهم فتتركهم ذليلين ضعفاء لامعين لهم . وهذه الداهية تقضم ظهورهم ،
وتكسر فقارهم ، ويكون شأنهم في ذلك شان البعير الضعيف الذي كسرت
فقاره فيذل ولا يقوى ، وهي صورة طالما شهدناها العربي في بيئته وتحسن
الأذى ، والذل الذي يرسم على البعير المكسور . ويعيننا على تصور هذا

(١) ديوان طرفة : ٧٤ .

(٢) مجالس ثعلب ١ : ٣٢٠ ، شجر الدر ١٦٤ ، الصحاح ٢ : ٧٨٣ ،

المفردات ٣٩١ .

(٣) الكامل للمبرد ١ : ٣٤٦ .

(٤) المعجم المفهرس : ٤٢٤ ، ٥٢٥ .

(٥) سورة القيامة ٧٥ : ٢٥ .

المعنى اطلاقهم الفاقرة ، والقاصمة على الداهية (١) كأنها لشدة هولها وأذاها تقصم الظهور وتضعفها .

أما التفسير الثاني فقد ذهب بالفاقرة الى فقر الأنف ، ويمثل هذا الفريق قول أبي عبيدة ، الفاقرة الداهية وهو الوسم الذي يفقر على الأنف (٢) وهذا التفسير هو الآخر يعكس لنا صورة واضحة للملامح للبيئة العربية حيث يعتبر البعير فيها عنصراً أساسياً من عناصر البداوة في الصحراء ، تلك البيئة التي أعطت العربي خبراً تغينه على الاستفادة من هذا الحيوان ، وجعله أكثر فائدة وانقياداً لنفس صاحبه . ومن هذه الخبر فقر أنف البعير ليندل ، وبنقاد بسهولة . ونجد عند القدماء أقوالاً عديدة ترسم صورة الفقر والفائدة منه :
في حديث عمر بن الخطاب (رض) (ثلاث من الفواقر أي الدواهي واحدتها فاقرة كأنها تحطم فقار الظهر كما يقال قاصمة الظهر ، والفقار ما وقع على أنف البعير . .) (٣) . وفي حديث الامام علي عليه السلام قوله : (من أحبنا أهل البيت فليستعد للفقر جلاباً أو تجفافاً) (٤) فالتجفاف ما يجلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح وقد يلبسه الانسان أيضاً . وقد فسر هذا القول بأنه من أحبنا فليعد لفقره يوم القيامة ما يجبره من الثواب ، وقيل ان يعد نفسه لفقر الدنيا والزهد فيها (٥) . أما الشريف المرتضى فانه فسر الحديث تفسيراً

(١) أنظر شرح ديوان لبيد : ٢٢٠ ، ديوان كعب بن زهير : ٢٥٩ ، شرح القصائد السبع : ١٦٤ ، أمثال العرب : ٣١ ، الوحشيات ١٧٥ ، أمالي الزبيدي : ٢٨ .

(٢) مجاز القرآن ٢ : ٢٧٨ ، أدب الكاتب : ٢٥٦ ، مجالس ثعلب ١ : ٢٦٨

جامع البيان ٢٩ : ١٩٤ .

(٣) لسان العرب ٦ : ٣٧١ .

(٤) أمالي المرتضى ١ : ١٨ .

(٥) ن . م .

آخر قريب الصلة بالبيئة العربية ، وبموضوع فقر أنف البعير الذي نحن بصدده قال : (ويمكن أن يكون في الخبر وجه ثالث تشهد بصحته اللغة وهو ان أحد وجوه معنى لفظة الفقر ان يحز أنف البعير حتى يخلص الى العظم أو قريباً منه ، ثم يلوى عليه حبل يذلل بذلك الصعب يقال : فقَرَه يفقَرُه فقراً اذا فعل ذلك به ، وبعير مفقور وبه فقرة ، وكل شيء حززته واثرت فيه ، فقد فقَرْتَهُ تفقيراً ، ومنه سميت الفاقرة وقيل سيف مفقر فيحمل القول على أنه عليه السلام أراد من أحبنا فليلزم نفسه ، وليخطمها وليقدّها الى الطاعات ، وليصرفنها عما تميل اليه من الشهوات وليذللها على الصبر عما كره منها . ومشقة ما أريد منها كما يفعل بالبعير الصعب) (١) .
فالشريف المرتضى حين يرجح هذا المعنى الحسي إنما يستند على شواهد اللغة وكلام العرب (٢) .

أما اللغويون فقد وضحو لنا صورة فقر أنف البعير ، ورسوموا معالمها وغاياتها روى أبو مسحل (٣) عن أبي عبد الرحمن بن سهل (٤) قوله : (ويقال قَرَمْتُ البعيرَ أقرُمُهُ وهو ان تحزَّ جملدة أنفه اذا كان نشيطاً مرحاً ليذل حتى يكون كهيئة العلم في أنفه ، وهو القَرَمُ أي الحز في الأنف

(١) أمالي المرتضى ١ : ١٨ .

(٢) ن . م .

(٣) هو عبد الوهاب بن حريش ، أبو مسحل الهمداني النحوي ، كان من أهل العلم بالقرآن ، ووجوه اعرايه ، عارفاً بالعربية ، روى عنه محمد بن يحيى الكسائي كان اعرابياً قدم بغداد وافداً على الحسن بن سهل . عاش في أواخر القرن الثاني الهجري ، وأوائل الثالث . أنظر أنباه الرواة ٢ : ٢١٨ ، تاريخ بغداد ١١ : ٢٤ (٤) هو أبو عبد الرحمن أحمد بن سهل صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٢ هـ ، أو سنة ٢٢٤ هـ .

والفقر مثله) (١) . وعن أبي عبيد قوله : (الفَقْرُ ان يُحْزَنَ أنْفُ البعير حتى يخلص الى العظم أو قريب منه ، ثم يُأوى عليه جرير يذل بذلك الصعب ومنه عملت الفاقرة) (٢) . ورسم ابن الاعرابي لنا صورة فقر أنف البعير ، وكيف ان الرجل يتحكم بمرح بعيره ونشاطه اذا أرادته متمهلاً ، ويذله اذا كان صعباً قال : (وقد يفقر الصعب من الابل ثلاثة أفقر في خطمه فاذا أراد صاحبه ان يذله ، ويمنعه من مرحة جعل الجرير على فقره الذي يلي مشغره ، فلكه كيف شاء ، وان كان بين الصعب والذلول جعل الجرير على فقره الأوسط فتريد في مشيته واتسع ، فاذا أراد ان ينبسط ويذهب بلا مؤنة على صاحبه جعل الجرير على فقره الأعلى فذهب كيف شاء) وقال : (اذا حَزَنَ أنْفُ البعير حزا فذلِكَ الفَقْرُ وبعير مفقور) (٣) .

ومما مر بنا تتضح لنا صورة فقر أنف البعير وعلاقتها الحسية بالبيئة العربية ، وما توحيه في نفس العربي من معاني الذلة والضعف فيكون معنى قوله تعالى : (وجوهٌ يومئذٍ ناضرةٌ الى ربِّها ناظرةٌ ، ووجوهٌ يومئذٍ باسرةٌ تظنُّ ان يُفْعَلَ بها فاقرة) (٤) ، ان المجرمين يوقنون بالدهامة العظيمة التي ستحل عليهم وتذلهم وتضعفهم كما يذل البعير الصعب بفقر أنفه : ويستند في هذا التفسير على دلالة الأنف في التعبير اللغوي على العزة ، والاباء ،

(١) النوادر : ٢ : ٤٥٤ .

(٢) الخصاص ٧ . ١٥٨ ، وانظر أيضاً ١ : ٣٣ .

(٣) عن لسان العرب ٦ : ٣٧١ ، وانظر أيضاً الغريب المصنف : الورقة

(٤١٠) جمهرة اللغة ٢ : ٣٩٨ ، الصحاح : ٧٨٢ ، المفردات ٣٩١ .

(٤) سورة القيامة ٧٥ : ٢٢ - ٢٥ .

والعظمة . وقد قال الجاحظ (الأنف هو النخوة وموضع التجبر) (١) ومن هذا المعنى جاء قوله عز من قائل : (ان كانَ ذا مالٍ وبنيين ، اذا تَتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ، سنسِمُهُ على الخراطومِ) (٢) أي سنسم أنفه سمة أهل النار (٣) ، فخص الأنف بالذكر لأنه موضع التجبر ، والكبر . فالجرحون يوم القيامة تحل عليهم داهية تذلل نفوسهم وتحطم جبروتهم ، وقد وصفت هذه الداهية بأنها تفقر الأنف وتذله ، وينقلنا هذا التعبير الى صورة البعير حين يفقر أنفه وبذله ، كما رسم لنا صورة الذلة المقترنة في الذهن العربي بالأنف الذي اذا ذل أو فقر أصاب الذل صاحبه . وتعاون هذه الصورة مع صورة فقار الظهر (٤) التي لها دلالتها الأخرى في الذهن العربي ، وهي القوة والصلابة ، فان كُسرت الفقار صار صاحبها ضعيفاً محتاجاً الى غيره ، ثم انها تجعلهم منقادين نحو الداعي ضعيفين لاسيطرة لهم على أنفسهم .

أنها صورة رهيبة للناس يوم القيامة تتداعى فيها عدة ملامح من البيئة العربية تزيد من رسم هول الموقف ، وتوضح لنا بأس وخوفهم مما يتوقعونه من العذاب والعقاب .

(١) الحيوان ٣ : ٣٠٥ ، وانظر الشعر في ديوان المزدرد بن ضرار : ٦١ ،

ديوان الحناسة : ٢٠ ، ديوان علقمة الفحل : ٤٨ .

(٢) سورة القلم ٦٨ : ١٤ - ١٦ .

(٣) أنظر جامع البيان ٢٩ : ٢٨ ، التبيان ١٠ : ٧٨ .

(٤) ويبدو ان فقار الظهر هي الأصل الحسي لمعاني الكلمة ، وذلك لأن

شكل الحز الذي يحز به الأنف يشبه الى حد كبير فقرات الظهر ، فكأن فقر الأنف

أطلق لتشابه الصورة بينه وبين فقار الظهر الأصلية .

ج - ذلتهم :

اهطاع رؤوسهم :

هناك عدة تعابير ترسم لنا ذلة الكافرين عند حشرهم من القبور ، تلك الذلة التي تبدو على هيئة رؤوسهم ، وأبصارهم الذليلة . قال الله تعالى : (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخّرهم ليوم تشخصن فيه الأبصارُ مهطعين مُقنعي رؤوسهم ، لا يرتدّ إليهم طرفُهُمْ ، وأفتدنتهم هواء) (١) . وقال أيضاً (فتولّ عنهم يوم يدعو الداعِ الى شيءٍ نكُرٍ ، خشعاً أبصارُهُم يخرجون من الأجداثِ كأنّهم جرادٌ منتشرٌ مهطعين الى الداعي يقول الكافرون هذا يوم عَسِرٌ) (٢) . قال ابن عباس مفسراً اهطاع الكافرين نحو الداعي بأنهم (مسرعين قاصدين ناظرين الى الداعي) (٣) وقال أبو عبيدة : مهطعين مسرعين قال الشاعر :

بِمَهْطِيعٍ سُرْجٍ كَأَنَّ زَمَامَهُ

في رأسِ جِدْعٍ من أوامِ مُشَدِّبٍ (٤)

وقال :

(١) سورة ابراهيم ١٤ : ٤٢ - ٤٣ .

(٢) سورة القمر ٥٤ : ٦ - ٨ .

(٣) تنوير المقياس : ١٦٣ : ٣٤٤ ، وانظر أيضاً اللغات في القرآن : ٥١ .

(٤) لم ينسبه أبو عبيدة وأنشده ابن بري لانيف بن جهلة مع اختلاف في

الرواية أنظر لسان العرب ١٣ : ٤٢ :

بمستطوع رسل كأنَّ جديله بقيدوم رعن من صؤام مُمْنَع (١)
وقال يزيد بن مفرغ الحميري (٢) .

بدجلة دارهم ولقد أراهم بدجلة مُهْطِينَ الى السَّماعِ (٣)
ونقل الطبري عن ابن عباس تفسيراً آخر وهو قوله (الاهطاع :
النظر من غير ان يطرف) (٤) . ومن اللغويين الذين ذهبوا هـ هذا المذهب
الحليل بن أحمد (٥) ، وآخرين ممن نقل عنهم ابن منظور (٦) .

ومما مر بنا نجد ان المفسرين ذهبوا في تفسير الاهطاع ثلاثة مذاهب
وهي وان تقاربت بعضها من بعض الا ان محاولة تتبع معانيها تعطينا تفسيراً
جامعاً لكل التفسير السابقة ، كما تدلنا على صورة أخرى من صور البيئـة

(١) الرسل : الذي لا يكافك شيئاً ، قيدوم : قدام ، ورعن الجبل : أنفه
وصؤام : جبل ، والبيت من شواهد الزمخشري في أساس البلاغة : ١٠٦٢ ، ولسان
العرب ١٥ : ٣٦٦ ، جامع البيان ١٣ : ٢٣٨ ، مع اختلاف في الرواية ، وعدم
نسبة البيت .

(٢) هو يزيد بن مفرغ الحميري ، شاعر اموي هجاء وهو جد السيد الحميري
الشاعر المعروف ، لقبه جده بالمفرغ لأنه راهن ان يشرب عسا من لبن فشربه حتى
فرغه . هجا عبيدالله بن زياد سنة ٥٩ هـ ، فحمل على حمار وطيف به في الأسواق .
أنظر الشعر والشعراء ١ : ٢٧٦ ، تاريخ الامم والملوك ٦ : ١٧٨ ، الأغاني ١٦ : ٧٢
(٣) مجاز القرآن ١ : ٣٤٢ ، انظر أيضاً جامع البيان ١٣ : ٢٣٨ ، التبيان
٤٤٦ : ٩ .

(٤) جامع البيان ١٣ : ٢٣٧ ،

(٥) العين : ٣٨ .

(٦) لسان العرب ١٠ : ٢٥٨ .

العربية ، فالبعير المهطع هو الذي في عنقه تصويب خلقة (١) ، ومن هذه الخلقة التي قد يوجد عليها البعير بطبيعته جاء اطلاقهم الكلمة على البعير يصوّب عنقه ، وينقاد لصاحبه في حالة كونه سالم الخلقة ، وليس فيه أي تصويب قال ابن فارس (أَهْطَعَ الْبَعِيرُ صَوَّبَ عُنُقَهُ مُنْقَاداً) (٢) ، واهطع اذا مدّ عنقه وصوّب رأسه (٣) .

وواضح ان هذا الاستعمال الجديد للكلمة تطور عن الصورة الحسية الأولى ، صورة البعير الذي يوجد في عنقه تصويب وميل خلقة ، فاذا انقاد البعير لصاحبه ذلّ ، وظهرت ذلته في استكانته ، وميل عنقه ، ومن هنا نفهم المعنى الآخر للكلمة ، وهو اطلاقهم المَهْطَعَ على الذليل الذي يرفع رأسه في ذل وخشوع كما يقول ثعلب (٤) . ونقل ابن منظور عنه أيضاً : (وأهطع : أقبَلَ مُسْرِعاً خَائِفاً ، لا يكون إلا مع خوفٍ ، وقيل بخضوعٍ) (٥) . قال الشاعر :

تَعَبَّبْتُني نَمْرُ بنِ سَعْدٍ وقد أرى

ونمرُّ بنُ سَعْدٍ لي مُطِيعٌ ومُهْطِيعٌ (٦)

(١) جمهرة اللغة ٣ : ١٠٧ ، الصحاح ٣ : ١٣٠٧ ، المحكم ١ : ٦٢ ، أساس

البلاغة ١٠٦٢ ، لسان العرب ١٠ : ٢٥١ .

(٢) مقاييس اللغة ٦ : ٥٦ .

(٣) الصحاح ٣ : ١٣٠٧ ، لسان العرب ١٠ : ٢٥١ .

(٤) مجالس ثعلب ١ : ٢٠ .

(٥) عن لسان العرب ١٠ : ٢٥١ ، وانظر أيضاً جمهرة اللغة ٣ : ١٧ .

(٦) الصحاح ٣ : ١٣٠٧ ، أساس البلاغة : ١٠٦٢ ، لسان العرب ١٠ :

٢٥١ ، والبيت غير منسوب .

وقد فسر الخليل البيت بأنه كان ذليلاً لي فصار فوقي (١) .
ومن هذا المعنى نفهم تفسيراً آخر للآية الكريمة : (مُهْطَعِينَ - الى الداعي
يقولُ الكافرون هذا يومٌ عَسِيرٌ) (٢) . أي متقادين له ذليلين ، خائفين
وقد أيقنوا بما سيلاقونه من العقاب وهو معنى وضحه لنا تعبير الفارقة (٣) .
أما السرعة فانها معنى آخر تطور عن المعنى الحسي نفسه ، وذلك ان
البعير اذا انقاد الى صاحبه ذلّ ، واستكان ، كما مر بنا ، وهو حين يسرع
ترسم في الذهن صورة الاهطاع الأولى ، لأن المسرع لا بد أن يدفع عنقه
ويمده الى الامام لكي يوازن بين جسمه والقوة الدافعة الى الامام ، ومن
هنا قبل أهطعَ البعير في سيره ، واستهطع اذا أسرع ، وناقة هَطَعَى ،
سريعة ، كما يقول الخليل (٤) .

ثم اطلق الاهطاع على السرعة مطلقة دون تقييدها بالبعير أو الانسان (٥)
وبهذا يمكننا أن نفهم تفسير من قال ان الاهطاع هو اسراع الناس نحو
الداعي (٦) . أما تفسير من قال ان معنى الاهطاع هو النظر من غير ان
يطرف (٧) ، فنجدّه واضحاً أيضاً في الصورة الحسية لاهطاع البعير أو الانسان
حين يندفع بسرعة الى الامام ، فان القوة الدافعة لا تتيح له مجالاً لأن يلتفت

(١) العين : ٣٨ .

(٢) سورة القمر ٥٤ : ٨

(٣) أنظر ص ١١٥

(٤) عن لسان العرب ١٠ : ٢٥١ .

(٥) الخليل عن المخصص ٣ : ١٠٧ ، وانظر أيضاً الصحاح ٣ : ١٣٠٧ ،

مقاييس ٦ : ٥٦ ، المحكم ١ : ٦٢ ، لسان العرب ١٠ : ٢٥١ .

(٦) انظر الفصل الثالث - ج - ذلتهم

(٧) ن . م

يميناً أو شمالاً ، وإنما يبقى في سرعته متجهاً بنظره الى الامام ، ومن هذه الحقيقة تطور المعنى الأخير للكلمة وهو قولهم ، المهطع المقبل ببصره على الشيء لا يرفعه عنه (١) . ومما مر بنا نفهم ان اختلاف المفسرين في توجيه الآية الكريمة ليس فيه تناقض أو تنافر ، وإنما نظرت كل طائفة الى الآية الكريمة من وجهة واحدة فجاء تفسيرها صورة لتلك الوجهة ، فاذا بالآية الكريمة صورة متعددة الجوانب ، متحركة الملامح ، يلمح كل مفسر جانباً منها في رسمه لنا الا أن الجمع بينها يعطينا صورة كاملة لاهطاع الكافرين وذلتهم ، فالناس حين يبعثون يوم القيامة على صوت النفير المفزع ينقادون مسرعين ملبين الداعي ، وقد ذلت نفوسهم حين أيقنت بما ستلاقيه من العقاب والعذاب . وتظهر ذلتهم في اهطاع رؤوسهم التي تنقل لنا صورة البعير يميل برأسه ويصوبه حين يذلل وينقاد لصاحبه ، أو صورته حين يفزع ويسرع في سيره مُصَوَّباً عنقه الى الامام ، ثم انهم في ذلتهم ، وذوولهم لا تطرف أبصارهم وهو معنى أكده قوله تعالى في آية سبقت وصف إهطاع رؤوس الكافرين : (انما يؤخِرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) (٢) .

اقناعها :

اما اقناع رؤوسهم فقد ورد في قوله جل من قائل : (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ، انما يؤخرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْتَدِيَهُمْ هَوَاءً) (٣) :

(١) العين ٣٨ ، وانظر أيضاً الصحاح ٣ : ١٣٠٧ ، لسان العرب ١٠ : ٢٥١

(٢) سورة ابراهيم ١٤ : ٤٢ .

(٣) سورة ابراهيم ١٤ : ٤٢ - ٤٣ .

وقد ذكر المفسرون ثلاث توجيهات للاقناع . الأول : انهم منكسو رؤوسهم ، والثاني انهم رافعو رؤوسهم ، والثالث مادو رؤوسهم . وقد ذكر ابن عباس هذه التوجيهات الثلاثة في تفسيره (١) . أما التفسير الثاني فقد ذكره أبو عبيدة في مجازه حيث قال : (مقنعي رؤوسهم مجازه رافعي رؤوسهم قال الشماخ :

يُبَاكِرنَ العِصاةَ بِمُقْنِعَاتٍ نَوَاجِدُهُنَّ كَالْحِدَا الوَقِيعِ
 أي برؤوس مرفوعات الى العصاة ليتناولن منه (٢) . ولم يكتف قتادة بتفسير أبي عبيدة ، انما وجد فيه صورة أكثر من رفع الرأس ، وهي الذهول والرعب الذي يجعلهم رافعي الرؤوس ، وقد شخصت أبصارهم قال : (الْمُقْنِعُ الذي يرفعُ رأسَهُ شاخِصاً بِبَصَرِهِ لا يَطْرَفُ) (٣) . وفي دلالات الكلمة المختلفة نجد معانٍ عديدة تكشف لنا صورة التعبير القرآني من جهة ، والبيئة العربية من جهة أخرى . ومن هذه المعاني المادية معنى ارتبط بالابل وذلك قولهم ان الاقناع رفع الابل رأسها ، ويكون ذلك خلقة فيها (٤) . هذه الخلقة ان وجدت في بعير ما فانها لا تتيح له التحرك برأسه يمينا أو شمالا ، ويبدو أن هذا المعنى من أوائل معاني الكلمة ، وقد يكون أصلا لها .

ومن هذا الرفع الطبيعي أطلقوا كلمة المقنع على الذي يرفع رأسه شاخِصاً ببصره ، وذلك تشبيها بالصورة المادية التي رآها العربي في بيئته

-
- (١) تنوير المقياس : ١٦٣ ، وانظر أيضاً اللغات في القرآن : ٣٢ .
 (٢) مجاز القرآن ١ : ٣٤٣ ، وانظر أيضاً جامع البيان ١٣ : ٢٣٨ ، التبيان ٦ : ٣٠٣ ، والبيت في ديوان الشماخ : ٥٦ .
 (٣) جامع البيان ١٣ : ٢٣٩ .
 (٤) لسان العرب ١٠ : ١٧٣ .

فعممها على من رفع رأسه وشخص ببصره روى الجوهري قولهم : (أقنع
رأسه اذا رفعه ، ومنه قوله تعالى مهطعين مقنعي رؤوسهم وكذلك قول
رؤبة (١) .

أَشْرَفَ رَوْفَاهُ صَالِيَةً مُقْنِعًا (٢)

ومن هذا الاستعمال المادي فهم المفسرون الآية الكريمة : (مهطعين
مقنعي رؤوسهم) (٣) بأن الناس يوم القيامة حين يهبون على صيحة النفير
يرفعون رؤوسهم لشدة ذهولهم وفزعهم فيكون حال البعير الذي في
خلقة رأسه ارتفاع ، فلا يستطيعون خفض رؤوسهم ، وتبقى أبصارهم
شاخصة لحوال الموقف .

أما تفسير الآية بأن الناس يكونون مادي أعناقهم ، فانه معنى متأ
من استعمال مادي آخر ، وذلك قولهم أقنع البعير رأسه الى الحوض للشرب
وهو مده رأسه كما يقول الأصمعي (٤) . ومن هنا قيل للذي يقبل على الشيء
مقنع (٥) ، فكما ان الابل حين تقبل على الماء لتشرب منه تمد رأسها اليه
لايصرفها عنه شيء فكذلك الذي يقبل على الشيء يمد رأسه تجاهه ، ولا

(١) هو رؤبة بن عهد الله بن رؤبة التميمي ، راجز من الفصحاء المشهورين
من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية . كان أكثر مقامه في البصرة ، وأخذ عنه
أعيان أهل اللغة . توفي نحو ١٤٥ هـ . انظر المؤلف والمختلف : ١٧٥ ، لسان الميزان
٢ : ٤٦٤ ، خزانة الأدب ١ : ٤٣ .

(٢) الصحاح ٣ : ١٣٧٤ .

(٣) سورة ابراهيم ١٤ : ٤٣ .

(٤) عن لسان العرب ١٠ : ١٧٣ ، وانظر أيضاً الصحاح ٣ : ١٢٨٤ ،

مقاييس اللغة ٥ : ٢ .

(٥) لسان العرب ١٠ : ١٧٣ .

يصرفه الى تجاه اخر وهو الأصل الاولي الذي وضعه ابن فارس للكلمة (١). هذا المعنى يفيدنا في فهم الآية الكريمة ، لان الكافرين يمدون رؤسهم ويقبلون نحو الداعي لا يرتد اليهم طرفهم .

ومن مجموع معاني الكلمة نجد ان كل التفسير السابقة قد استندت على استعمال مادي . له دلالة على البيئة العربية . فاذا جمعنا هذه التفسير تداعت في الذهن مشاهد عديدة من البيئة العربية ، كل مشهد منها يعطينا جانباً من صورة الكافرين الذليلة يوم القيامة عند سماعهم صوت النفير فيفزعون ويرفعون رؤسهم ، وتشخص أبصارهم مثلهم في ذلك مثل البعير الذي في رأسه ارتفاع خلقة فلا يستطيع امالته ، او تحريكه ، ويقبلون نحو الداعي كما تقبل الابل نحو الماء فلا يصرفها عنه شيء ، ثم تأتي الآية بعدها : (لا يرتد اليهم طرفهم ، وافئدتهم هواء) (٢) لتبين لنا ان رفع الرؤس والاقبال نحو الداعي ليس بالسير الطبيعي ، انما هو إقبال يدفعه الفزع والهلع الذي لا مفر منه ، لذا لا تطرف أبصارهم ، ولا يميلون رؤسهم ، ولا يرجعون عن سيرهم الدليل نحو الداعي .

خشوع اصراتهم ، وكما بدت ذلة الكافرين في سيرهم ، فانها تجلت في طريقة كلامهم قال الله تعالى واصفاً اصواتهم بالخشوع : (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً ، فيذرهما قاعاً صفصفاً ، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له ، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً) (٣) .

فسياق الآيات العام يوحى بالخشوع والرهبنة ويضفي على مشاهد يوم القيامة صورة يتجسد فيها الخوف والخوف .

(١) مقاييس اللغة ٥ : ٣٢ (٢) سورة ابراهيم ١٤ : ٤٢

(٣) سورة طه ٢٠ : ١٠٥ - ١٠٨

وقد قال المفسرون في شرح معنى الخشوع بانه ذلة الأصوات وخضوعها قال ابن عباس : (وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِذِلَّةِ الْأَصْوَاتِ) (١) وقال الزمخشري (سَكَتَ الْخَلَاتِقُ لِلرَّحْمَنِ فَوَصَفَتِ الْأَصْوَاتُ بِالْخَشْوَعِ وَالْمَعْنَى لِأَهْلِهَا) (٢) فالزمخشري يرى ان وصف الخشوع انما هو وصف للناس لا لأصواتهم ، الا اننا نجد هذا الاستعمال عند اللغويين مقترنا ايضاً بالاصوات والابصار روى الجوهري : (الخشوع ، الخضوع يقال خَشَعَ واختَشَعَ ، وَخَشَعَ بِيَصْرِهِ أَي غَضَّه) (٣) .

فذلة الاصوات التي فسرها المفسرون تفهم من قول اللغويين : لأن صورة من يغض بصره ، ولا يرفعه انما تعكس لنا صورة الذليل الذي لا يجرؤ على رفع رأسه . ومجابهة غيره .

وقد ورد الخشوع مقترنا بالابصار في القرآن الكريم : (فتولَّ عنهم يوم يدعُ الداعي الى شيءٍ تُنْكِرُ خَشَعًا ابصارهم يخرجون من الأجداثِ كأنهم جراد مُنْتَشِرٌ) (٤) . وفسر الخشوع هنا بالذلة ايضاً : (٥) فاذا عدنا إلى المعاني الحسية التي دارت حولها الكلمة وجدنا فيها معنى حسياً تشترك فيه الابصار ، والأصوات ، والنفوس ، وذلك انها اطلقت وصفا للارض فقد قالوا : الخاشع المطمئن من الأرض (٦) . وأكمة

(١) تنوير المقياس ١٩٨ ، وانظر ايضاً جامع البيان ١٦ : ٢١٤ . التبيان

٢٠٩ : ٧ (٢) الكشاف ٢ : ٣١٤

(٣) الصحاح ٣ : ١٢٠٤ ، وانظر ايضاً لسان العرب ٣ : ٤٢٣ ، المحمص

١ : ١٢١ ، اساس البلاغة ٢٣٢ ، لسان العرب ٣ : ٤٢٣

(٤) سورة القمر ٥٤ : ٦ - ٧

(٥) تنوير المقياس : ٣٣٤ الكشاف ٣ : ١٨٢

(٦) جمهرة اللغة ٢ ، ٢٢٣

خاشِعةٌ : ملتزمة لاطئة بالأرض والخاشع من الأرض الذي تثيره الرياح لسهولته وتمحو آثاره (١) . فالأرض غير الممطورة تكون عديمة الفائدة يسهل السير عليها كما يسهل محو آثارها . ومن هنا فهم معنى الذلة والخضوع الذي تطورت إليه الكلمة ، وبهذا المعنى وردت في القرآن الكريم (٢) . هذا المعنى المادي نجده واضحاً في المعنوي ، لان الدليل حين يغض نظره يكاد يلصق بصره على الأرض ولا يرفعه ، اما الاصوات فانها وصفت بالخشوع تشبيهاً لها بالأرض المطمئنة المنخفضة الموصوفة بالخشوع .

ومن هنا نفهم قوله تعالى (وخشعت الاصواتُ للرحمنِ فلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً) (٣) . أي ان اصوات الناس ذلت ، وسكنت للذلة أصحابها ، وخوفهم مما ينتظرهم من العذاب ، فلا يكاد يسمع لهم كلام واضح . وهو معنى اكثده تعبير الهمس الذي تبع وصف الأصوات بالخشوع .

وقد اختلف المفسرون في تفسير الهمس الذي يسمع عند سير الناس نحو الداعي ، فذهب بعضهم الى انه الوطاء الخفيف كوطء الابل (٤) . وروي عن ابن عباس انه سئل عما اذا كانت العرب تعرف هذا المعنى فاجاب : نعم ، واستشهد بقول أبي زبيد :

فبأثوا ساكنين وبات يسري بعيرٌ كالدُّجى هادي هموسٌ (٥)

(١) الصحاح ١ : ٣٠٧ ، اساس البلاغة : ٢٣٢ ، لسان العرب ٩ : ٤٢٤

وقد وردت بهذا المعنى في سورة فصالت ٤١ : ٣٩

(٢) انظر المعجم المفهرس : ٢٢٣

(٣) سورة طه ٢٠ : ١٠٨

(٤) تنوير المقياس : ١٩٨

(٥) مسائل نافع بن الأزرق : الورقة ٥ (ب) ، والورقة ١٢ (أ)

وعن الفراء ان ابن عباس تمثل أيضاً بقول الشاعر : (وهُنَّ يَمْشِينَ
بنا هَمِيْسًا) ، وهو صوت اخفاف الابل (١) .

أما الفريق الثاني فقد فهم الهمس على انه الصوت الخفي ، قال
أبو عبيدة : (وهو مثل الركن يقال : همس اليّ بحديث أي أفصاه) (٢)
والركن هو الصوت الواطيء الخفي .

ويبدو ان المعنى الأول وهو الوطء الخفي هو الأصل لمعنى الصوت
الخفي . فقد قالوا أسد هموس للخفي الصوت (٣) قال الحارث بن حازمة :
أسدٌ في اللقَاءِ وردٌ هَموسٌ وربيعٌ إن شتعتُ غبراءُ (٤)
هذا الوصف للأسد صادر عن كونه يسير خفية حتى لا تنتبه اليه الفريسة
قال أبو الهيثم : (سمي الأسد هموسا ، لأنه يهمس همسا أي يمشي مشيا
بخفية ، فلا يسمع صوت وطئة) (٥) .

من هذا المعنى الحسي تطورت دلالة الكلمة الى معنى الصوت الخفي
لأن من يهمس بكلام خفي ، انما يتوجس من أن يسمعه أحد ، كما يتوجس
الأسد الهموس في وطئه الأرض حتى لا تسمع فريسته وقع أقدامه فنقلت
منه ، ومن هنا سمى امرؤ القيس الليلة التي يُتَهَجَسُ فيها السير ، ويخفى

(١) الفراء عن لسان العرب - ٨ : ١٣٧ ، والبيت في جمهرة اللغة ٣ : ٥٤ ،
العمدة ١ : ١٧ ، وانظر أيضاً جامع البيان ١٦ : ٢١٤ ، التبيان ٧ : ٢٠٩ ، المفردات :
٥٦٨ ، الكشف ٢ : ٣١٤ .

(٢) مجاز القرآن ٢ : ٢٠ ، جامع البيان ٦ : ٢١٤ ، المفردات : ٥٦٨ .

(٣) جمهرة اللغة ٣ : ٥٤ ، الصحاح ٢ : ٩٨٨ ، مقاييس اللغة ٦ : ٦٦ ،

الخصص ٢ : ١٣٨ .

(٤) شرح القصائد السبع : ٤٩٦ ، وانظر ديوان جيران العود : ٥٢ .

(٥) عن لسان العرب ٨ : ١٣٨ .

وطء الأقدام فيها لهو لها وشدتها بليلة الهمس .

أجدُ موثقةً كناز عرمسٌ وخادّةٌ في ليلّةِ الهمسِ (١)

لأن واطئها يخشى ان تُسمع وقع أقدامه . أما في الآية الكريمة فاننا نرى ان المعنيين يشتركان في رسم احياء الهمس ، فعنى وطء الأقدام يفهم بأن الناس يوم القيامة يكونون في رعب وخوف شديدين ، فيخشون السير لأنهم يعرفون عاقبة أمرهم ، ومع ذلك فهم مجبرون على اتباع الداعي ، ولكنهم يخفون وطء أقدامهم ، حتى لا يسمع إلا صوت خفي لهم . إلا ان متابعة سياق الآيات والجو القرآني بصورة عامة يجعلنا نرجح معنى الصوت الخفي ، لأنه أوضح من معنى الوطاء الخفي ، ذلك لأن التعابير القرآنية الأخرى أكدته كما مرّ بنا في تعبير خشوع الأصوات . وقد قال الله تعالى : (يومَ يُنفخُ في الصورِ ، ونحشُرُ المجرمينَ يومئذٍ زُرْقًا ، يتخافتونَ بينهم إن لبثتم الا عشراً) (٢) ، فصورة الناس الخائفين الذين يتوجسون في كلامهم فلا ينسبونَ إلا همسا وتخافتنا هذه الصورة واضحة في كل الآيات الكريمة التي تعرض الى ذكر أصوات الناس وكلامهم ، كما انها تنسجم مع تصوير الحيرة والضلال الذي سنأتي الى ذكره في تعبير الزرقة (٣) . ومع ذلك نستطيع ان نفهم التفسير الأول الى جانب هذا المعنى بأنهم لخوفهم يتوجسون خيفة في سيرهم ، وطريقة كلامهم .

ومن مجموع هذه التعابير ترسم في الذهن صور عديدة للصفات النفسية التي يكون عليها الناس يوم القيامة .

(١) ديوان امرىء القيس : ٢٧٣ .

(٢) سورة طه ٢٠ : ١٠٢ - ١٠٣ .

(٣) أنظر ص ١٥١ .

٣ - صفاتهم الجسدية (١)

أ - سواد وجوه المجرمين وبياض وجوه المؤمنين :
قال الله سبحانه وتعالى : (يوم تبيضُّ وجوهٌ وتسودُّ وجوهٌ ، فأما
الذين اسودَّتْ وجوهُهُمْ : أكفَرْتُمْ بعدَ إيمانِكُمْ ؟ فذوقوا العذابُ بما
كنتم تكفرون وأما الذين ابيضَّتْ وجوهُهُمْ ففي رحمةِ اللهِ هُمْ فيها
خالِدون) (٢) .

لقد أجمع المفسرون على ان البياض يكون علامة المؤمنين يوم القيامة
والسواد يكون سيماء المجرمين (٣) . وهناك آية قرآنية أخرى تصف وجوه
الكافرين بأنها لسوادها كأنما أغشيت بقطع من الليل حالكة السواد (٤) .
وفي سورة عبس أضاف الله سبحانه وتعالى الى وجوه الكافرين المسودة
غبارا ويأساً وكآبةً : (فاذا جاءت الصاخة ، يوم يفرُّ المرءُ من أخيه
وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرئٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يغنيه
وجوهٌ يومئذٍ مُسْمرةٌ ، ضاحكةٌ مُسْتبشرةٌ ، ووجوهٌ يومئذٍ عليها غبرةٌ

(١) هذا لايعني ان بحثنا هنا مقتصر على الصفات الجسدية دون النفسية ،
لأننا سنجد ان كل تعبير يصف شكل الناس يصف من ناحية أخرى الصورة النفسية
التي يحشرون عليها . ولكننا خصصناها هنا بهذا البحث دون الصفات النفسية ،
لأنها تكاد تشكل صورة كاملة الملامح لشكل الناس عند الحشر .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ١٠٦ - ١٠٧ .

(٣) جامع البيان ٤ : ٣٩ - ٤٠ ، التبيان ٤ : ٥٥١ - ٥٥٢ .

(٤) قال الله تعالى في سورة يونس ٨ : ٢٧ (كأنما أغشيت وجوهُهُمْ

قِطْعاً من اللَّيْلِ مظلماً أولئك أصحاب النارِ هُمْ فيها خالِدون) .

ترهقها قَتْرَةٌ ، أولئك هم الكَفَرَةُ الفَجْرَةُ (١) . فسر بعضهم معنى الآية ان وجوه الكافرين والمنافقين تعلوها كآبة ، وكسوف ، وذلة (٢) . وقال آخرون : أي يعلوها غبار (٣) . وأصل القَتْرَةُ في اللغة هو الغبار (٤) وقيل : القتره غُبْرَةٌ يعلوها سواد كالدخان (٥) . ومن الاستعمال المجازي للكلمة قولهم القتره : ما يغشى الوجه من الكرب (٦) ، فيكون معنى الآية الكريمة ان وجوه الكافرين تكون مسودة تعلوها كآبة وذلة . فاذا أضيف الغبار الى سواد الوجه اجتمعت مع الذلة كآبة وحزن . قال الزمخشري . ففسر الآية : (ترهقها قَتْرَةٌ ، سواد كالدخان ، ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما ترى في وجوه الزوج اذا اغبرت وكان الله عز وجل يجمع الى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور الى الكفر) (٧) . فنظرة الزمخشري الى الآية تمثل الوجهة الأدبية الخالصة اذ تبين لنا ان السواد مكروه بغض في الذوق العربي . والغبار له دلالة على الذلة والهلم والحزن (٨) . فاجتماعهما معاً يرسم صورة بشعة للكافرين يوم

(١) سورة عبس ٨٠ : ٣٣ - ٤٢ .

(٢) تنوير المقياس : ٣٨٢ ، جامع البيان ٣ : ٦٣ .

(٣) مجاز القرآن ١ : ٢٧٧ ، و٢ : ٢٨٦ ، غريب القرآن : ١٩٠ ، التبيان

١٠ : ٢٧٨ .

(٤) جمهرة اللغة ٢ : ١٢ ، الصحاح ٢ : ٧٨٥ ، مقاييس اللغة ٥ : ٥٥ ،

المخصص ١٠ : ٦٧ ، لسان العرب ٦ : ٣٧٩ .

(٥) لسان العرب ٦ : ٣٧٩ .

(٦) أساس البلاغة : ٧٤٢ .

(٧) الكشاف ٣ : ٣١٤

(٨) انظر لسان العرب ٦ : ٣٠٨ ، تاج العروس ٣ : ٤٣٧

القيامة ، فاذا قارنا هذه الصورة بوجوه المؤمنين المسفرة الضاحكة تبيّن لنا اللون الشاسع الذي قُصِدَ اظهاره بين الحالتين ، بين السواد المغبرّ والبياض المسفر .

ونجد لهذا التعبير اعظم الدلالة على الذوق العربي ، ذلك لان العرب قد أحبوا البياض ووسموا به كل ما أحبته نفوسهم ، وبغضوا السواد ووصهوا به كل ما كرهته نفوسهم . فالمثل الأعلى للجمال عندهم هو البياض ، ومن هنا تغزلوا بالمرأة البيضاء الجميلة . قال امرؤ القيس :

مُهَمَّقَةٌ بِبِضَاءٍ غَيْرِ مَمَّاؤَةٍ
تَرَاثِيهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنِجِ جَلِ (١)

وقال عمرو بن كلثوم :

على آثارنا بيض حسانٍ مُنْخَازِرُ أَنْ تُقَسِّمَ أَوْ تَهْوَنَا (٢)
والأمثلة كثيرة على تغزل الشعراء بالمرأة البيضاء (٣) ، ولكن البياض الذي أحبه ليس هو البياض الخالص ، إنما هو البياض الذي تخالطه صفرة

كقول امرئ القيس :

كَبِكْرٍ مُقَانَاةٍ بِيَاضٍ بِصُفْرَةٍ
غَذاها نَمِيرُ المَاءِ غَيْرِ المَحْلَلِ (٤)

فقد شبه المرأة بالدرة ، لانها بيضاء يخالط بياضها صفرة . وذلك

(١) ديوان امرئ القيس : ١٥

(٢) شرح القصائد السبع : ٤٢١

(٣) شرح ديوان عنتره : ٧٣ ، ١٦١ ، ديوان النابغة الجعدي : ٤ : ٨٠

ديوان عدي بن زيد : ١٢٧

(٤) ديوان امرئ القيس : ١٦

أحسن الألوان عندهم كما يقول ابن الفقيه (١) . اما البياض الخالص فهو الذي وجدوه عند الهجناء (٢) .

ومن الطبيعي ان يميل ذوقهم الى حب البياض - وان لم يكن خالصاً - ذلك لان طبيعة بيتهم الشديدة الحر صيفاً لا تترك سحتهم بيضاء خالصة وانما تميل بها الى السمرة . ومن هنا جعلوا البياض المخلوط بشيء من الصفرة هو المثل الأعلى للجمال ، ومع ذلك اكتفوا بذكر البياض في اكثر اشعارهم الغزلية .

من هذه الناحية جاءت استعارتهم البياض للتعبير عن الحق ، والشرف والرفعة ، فاذا أرادوا مدح الرجل قالوا . انه أبيض ، نقل ابن منظور عن الأزهري قوله (اذا قالت العربُ : فلانٌ أبيضٌ ، وفلانة بيضاء فالمعنى آتقاء العرض من الدنس والعيوب) (٣) وقد ورد بكثرة في الشعر الجاهلي في المدح ، والرثاء .

اما السواد فقد نعتوا به كل شيء بغضته نفوسهم ، فعبروا عن الحقد بانه اسود ، ووصفوا الأكباد الحاقدة بالسواد . قال الجاحظ : (يقولون سود الاكباد يريدون العداوة) (٤) . وقال الأعشى مخاطباً ناقته :
فما أجشمت في إتيان قومٍ هم الأعداءُ والأكبادُ سودُ (٥)
فوصف اكبادهم بالسواد ليدل على شدة عداوتهم ، وبغضائهم وقال

(١) مختصر البلدان : ٢٩

(٢) الكامل للمبرد ٢ : ٤٦٧

(٣) عن لسان العرب ٨ : ٣٩٣ ، وانظر ايضاً نزهة العمر : ٣ ، ٤

المخصص ٢ : ١١٤

(٤) الحيوان ٣ : ٢٤٧

(٥) ديوان الأعشى : ٣٢٣

اعرابي قديم واصفاً الضغن بالسواد ايضاً :

يُزِمُّمَسُونُ حَدِيثَ الضِّغْنِ بَيْنَهُمْ

والضغنُ أسودٌ أو في وجهه كسلفُ (١)

وكذلك وصفوا المصائب بالسواد ، لانها تذلل القوم اذا حلت بهم
وتحزنهم ، فعبروا عن الحزن والذل بالسواد ، كما عبروا عن الشرف

والرفعة بالبياض . قال الشاعر الحسن بن علي القتال الباهلي (٢) :

تقولُ ابنةُ البكري لما بدا لنا كدى السِترِ منها لمةٌ وبنانُ
أراكَ ظنَّنتَ اليومَ اسودَّ شاحباً

طريدَ دمٍ يُرمى بك الرجوانُ (٣)

وقال آخر :

رمى الحدثان نسوة آل حرب بمقدار سمَدَنَ له سُموذا
فردَّ شعورهُنَّ السودَ بيضاً وردَّ وجوههُنَّ البيضَ سودا (٤)

ووصفوا وجوه القوم عند الغزو بالسواد ، لانها تكون كالحة لشدة

الضرب وحمي الوطيس . قال ابو زبيد الطائي :

بَدَّلَ الغزُو أوجهَ القومِ سودا ولقد أبدأوا ولسن بسود (٥)

(١) العمدة ١ : ٢٥٨ ، ديوان الحماسة : ٢٥٧ ، الاشباه والنظائر : ١١٩

(٢) هو الحسن بن علي القتال الباهلي ، أحد بني جنسب شاعر فارس ،

ويروى انه أحدث حدثاً ، فهرب وصعد جبل يذبل فاقام به ، والفه النمر . انظر
المؤتلف والمختلف : ٢٥٢ .

(٣) ن . م : ٢٥٣ .

(٤) الصناعتين : ٣١٢ ، العمدة ٢ : ٦ ، والشعر منسوب الى الكميته بن زيد

في ذيل الأمالي : ١١٥ .

(٥) أمالي اليزيدي ١٢ ، وانظر أيضاً معاني الشعر : ٢٣ .

والاستعمال الأخير للسواد يعكس لنا ضوء آخر على الآية الكريمة
 (يوم تبيض وجوهٌ ، وتَسودُّ وجوهٌ ، فأما الذين اسودَّتْ وجوهُهُمْ
 أكفرتُمْ بعدَ إيمانِكُمْ ؟ فذوقوا العذابَ بما كُنتُمْ تكفرونَ ، وأما الذين
 ابيضَّتْ وجوهُهُمْ ففي رحمةِ اللهِ هُمْ فيها خالدون) (١) ، ذلك لأن
 وجوه المؤمنين تبيض لما يبدو عليها من الراحة والاطمئنان ، وتسود وجوه
 المجومين طول الموقف والمصيبة العظيمة التي تحل بهم .
 وهذا التعبير القرآني المعجز يعكس لنا الذوق العربي في البياض وكرهه
 للسواد .

ومن هنا خلَّد الشعراء السودان الذين عاشوا بين ظهري العرب اشعارا
 تُعَد غاية في الروعة في تصوير الذوق العربي ، ونظرته الى الألوان . قال
 عنتر بن شداد :

يَعْبُونَ آوِي بالسَّوَادِ وانما فعاظهم بالخُبُثِ اسود من جِلْدِي (٢)
 فهو هنا يعكس لنا الذوق العربي الذي يعتبر السواد عيباً . وهو نفسه
 مقتنع بهذا الذوق متأثر به ، لأنه حين يردّ على قولهم لا يدافع عن لونه ،
 انما يقول ان افعالهم شنيئة كلون السواد ، فاعتبر السواد عيباً يسم به افعالهم .
 أما حين يدافع عن لون بشرته فانه يحاول ان يجد له تبريراً بأن يقول
 ان لون المسك أسود :

لَسِّنْ أَكُ أسودا فالْمِسْكُ لوني وما لسواد جِلْدِي مِن دَوَاءِ (٣)
 أو ان لونه اون الليل الذي لواه ما عرف الفجر :

(١) سورة آل عمران ٣ : ١٠٥ - ١٠٧ .

(٢) شرح ديوان عنتر : ٦٢ .

(٣) ن . م : ٧

يَعْيَبُونَ لَوْنِي بِالسَّوَادِ جَهَالَةً

ولولا سوادُ اللَّيْلِ ما طَمَعَ الفَجْرُ (١)

أو يقول ان لون بشرته موجود في العيون السود التي أحبها العرب :

وما وَجَدَ الأعادي فيَّ عَيْباً فعا بوني بلونِ في العيونِ (٢)

وهو في كل هذا الدفاع يتجاهل نقاط الضعف في تبريره ، وان طيب المسك لم يأت من لونه ، وانما من عطره . وكذا الحال مع العيون السود التي ما أحبها العرب الا لاجتماع السواد والبياض فيها معا .

أما سُحَيْمُ عَبْدُ بَنِي الحِمْيَرِ المشهور ، فانه يتألم غاية الألم فصاحبه لاتُعيره أدنى التفتات لأن ملابسه رثة ، ولأنه عبد أسود :

رَأَتْ قَتَباً رَثِياً وَسُحَيْقَ عَمَامَةٍ وَأَسْوَدَ مِمَّا يَمْلِكُ النَّاسُ عَارِيَا (٣)

وزراه يتألم من لونه الأسود ، وانه لا ذنب له إذ كانت أمه عبدة ، فولدته على هذا اللون البغيض :

فلو كنتُ وِرْدًا لَوْنُهُ لِعَشِقْتَنِي وَلَكِنْ رَبِّي شَانَتَنِي بِسَوَادِيَا (٤)

ويلاحظ في الشطر الثاني رسوخ فكرة اعتبار السواد عيباً حتى في ذهن سُحَيْمِ العبد الأسود ولكنه مع ذلك يحاول ان يجد لسواده تبريراً كما فعل عنتره من قبل (٥) .

ولنا ان نتساءل عن سر حب الذوق العربي للبياض ، وتشاؤمه وكرهه

(١) شرح ديوان عنتره : ٨٩ .

(٢) ن . م : ١٨٢ .

(٣) ديوان سُحَيْمِ : ٨٤ .

(٤) ن . م : ٢٤ .

(٥) ن . م : ٥٤ ، وانظر أيضاً الفاضل : ٣٣ ، أمالي القالي ٢ : ١٨٨ ،

ذيل الأمالي : ١٢٧ ، المخصص ٢ : ١٠٤ .

للسواد . فاذا تطلعنا الى البيئة العربية وجدنا فيها ضالمتنا ، ذلك لأنها صحراء مترامية الأطراف ، مليئة بالمفاجئات خاصة في الليل ، سواء من قبل الغارات المفاجئة ، أو من قبل حيوانات مختلفة ملائم الصحراء الواسعة . فأحبوا النور لأنه ينير لهم حندس لياليهم المظلمة . وكانت الليالي التي يطل فيها البدر من أجمل لياليهم يستعينون بها على عدوهم ، ويعرفون طريقهم بأمان من الحيوانات والحشرات . ومن هنا شبهوا المرأة والممدوح بالشمس تارة (١) والبدر تارة أخرى (٢) .

وبالإضافة الى هذه الأسباب التي كرّمت لهم السواد فقد وجدت في بيئتهم حيوانات شرسة مؤلمة طالما آذت البدوي فغرفها ، وترسم معالمها ، وكان بعضها أسود اللون فاقرن البغض للسواد بهذه الدلالة . ووصفوا الموت بالأسود والأحمر ، لأنه مأخوذ من لون الأسد . كما قال أبو عبيدة (٣) وعرفوا من الحيات الاسود (٤) ، ووجدوا فيه أذى وشرّاً واضحاً ، فاذا أرادوا تشبيه عدوهم شبهوه به : والكلاب السود أكثرها عقورا وأذى (٥) أما الغراب فأمره مشهور عند العرب ، وقد تشاءموا منه ، وكرهوه . ذكر الجاحظ تعليلاً لهذا التشاؤم بقوله : (والغراب لسواده ان كان أسود ، ولاختلاف لونه ان كان أبقع ، ولأنه غريب يقطع اليهم ، ولأنه لا يوجد

(١) جمهرة أشعار العرب : ٧٨ ، شرح القصائد السبع : ١٤٦ .

(٢) ديوان جران العود : ٢٦ ، ديوان الشماخ : ٧٣ ، شرح ديوان عنتره

٥ ، ١٦٨ ، شرح القصائد السبع : ٤٣٩ ، الأشباه والنظائر ١١٠ ، ١٥٦ .

(٣) المخصص ٦ : ١٢٣ .

(٤) الصحاح ١ : ٤٨٨ ، مقاييس اللغة ٣ : ١١٤ .

(٥) الحيوان ٢ : ٧٨ ، ٣٦٧ .

في موضع خيامهم يتقحم إلا عند مبايئتهم لمساكنهم ومزايئتهم لدورهم (١) كل هذه الامور اجتمعت لترسم في الذهن العربي صورتين : البياض ومعه الجمال والسكينة والشرف ، وصورة السواد ومعه الذل والأذى والتشاؤم وقد انعكس هذا الذوق في أساطيرهم وقصصهم ، فقال ان نوحاً غضب على ابنه حام ، فدعا عليه بالتشويه فكان سواده (٢) . ولم ترد هذه الفكرة في القرآن الكريم إلا ان ذكر السواد والبياض ورد فيه تصويراً للذوق العربي . أما في التوراة فقد ذكر ان نوحاً دعا على ابنه حام كنعان ان يكون عبد العبيد لاختوته (٣) ، وبهذا نستطيع ان نتصور مدى رسوخ كراهية اللون الأسود في الذهن العربي ، حتى تصوره من علائم التشويه والعقاب ! ولم يفهموا ان السواد من أثر البيئته الا عند بعض القدماء (٤) .

من هذه الابواب الواسعة جاء التعبير القرآني المعجز معبراً عن الذوق العربي الراسخ :

(يومَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ : أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ؟ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (٥)

(١) الحيوان ٣ : ٤٣٨ ، ٣١٤ ، المعاني الكبير ١ : ٢٦٢ ، ديوان النابغة

الذبياني : ٣٨ ، ديوان علقمة الفحل : ٦٧ ، ديوان الشماخ : ٦٣ .

(٢) المعارف : ٢٦ ، أخبار الزمان : ٦٣ ، آثار البلاد : ٢٢ .

(٣) الكتاب المقدس : سفر التكوين ، الأصحاح ٩ : ١٥ .

(٤) الحيوان ٤ : ٧٠ ، فخر السودان : رسائل الجاحظ ١ : ٢١٩ ، الأعلام

النفيسة : ١٠١ ، ١٠٢ ، مختصر البلدان : ١٥٢ ، مقدمة ابن خلدون : ٤١ ، آثار

البلاد : ٢٢ .

(٥) سورة آل عمران ٣ : ١٠٦ - ١٠٧

ولا يمكن ان يفهم مما مر بنا ان التعبير القرآني حين جعل البياض سمة للمنزاة العالية ، والفرحة التي يشعر بها المؤمنون ، اقول لا يمكن ان يفهم منه نظرة تعصبية ، او فكرة عنصرية في المناضلة بين السواد والبياض ذلك لأن رأي الاسلام في هذا الموضوع واضح معروف تُلخصه الآية الكريمة : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (١) : وانه لافضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى (٢) . كما يقول الرسول الكريم ، اذ لا عنصرية في الاسلام إلا ان التعبير القرآني هنا عكس لنا الذوق العربي الذي فضل اللون الأبيض ، واضفاه على كل ما تحبه نفسه ، وترفضه ، وكره السواد في الوجوه وتشاءم منه فوصف به كل ما كرهه ، وآذاه ، فجاء التعبير القرآني في وصف حال الناس يوم القيامة فتتداعى في الذهن كل الصور التي يوحىها تعبير السواد من دلالة البشاعة ، والبغض ، اما البياض فتتداعى معه كل معاني الشرف ، والرفعة التي يكون عليها المؤمنون يوم القيامة . وبالمقارنة بين الصورتين يتجلى الفرق الشاسع بين منزلة الكافرين والمؤمنين يوم القيامة وكيف ان فريق المشركين يحشر بأبشع صورة وأذلها وبعكسهم فريق المؤمنين يحشرون بأجمل صورة ، وقد ملات الطمأنينة نفوسهم واعطاهم الله المكانة الحسنة .

ب - حشر المجرمين زرقا :

قال الله تعالى : (مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ، خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ، يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ، وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا يَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ

(١) سورة الحجرات ٤٩ : ١٣

(٢) البيان والتبيين ٢ : ٣٣

إلا عَشْرًا (١) .

فتعبير الزرقة في الآيات الكريمة السابقة فُسرّ على عدة أوجه .
فسره ثعلب على معنى العطاش (٢) . أما الطبري فقد نقل توجيهها لتفسير
تعبير الزرقة بالعطش ، بان شدة العطش الذي يصيب المجرمين يوم القيامة
يجعل عيونهم زرقاً ، قال : (قيل عني بالزُرُق في هذا الموضوع ما يظهر
في أعينهم من شدة العطش الذي يكون بهم عند الحشر لرأى العين من
الزَرَقِ) (٣) . والى هذا ذهب ابن سيدة في توجيه تفسير ثعلب بقوله :
(وعندي إن هذا ليس على القصد الأول ، إنما معناه ازرقّت
اعينهم من شدة العطش) (٤) . ومع ان هناك اية قرآنية كريمة تصف
سوق المجرمين عطاشاً يوم القيامة (٥) ، فان سياق الآيات العام الذي
وردت فيه الزرقة لا نجد فيه اشارة الى ذكر الماء ، أو التعذيب بالعطش
والذي يفيدنا في هذا التفسير هو التأثير القوي للبيئة العربية على الذهن
العربي حتى صار يفسر بالعطش المعاني التي قد تبدو بعيدة عنه لشدة
ما عانوا من حرمانهم الماء في البيئة الصحراوية (٦) .
وذكر الخليل تفسيراً آخر لمعنى الزرقة وهو العمى قال : (يريد

(١) سورة طه ٢٠ : ١٠٠ - ١٠٣

(٢) مجالس ثعلب ٢ : ٣٦٧ ، وانظر ايضاً ١ : ٣٢٤ ، لسان العرب ١٢ : ٤

(٣) جامع البيان ١٦ : ٢١٠ ، التبيان ٧ : ٢٠٦

(٤) عن لسان العرب ١٢ : ٤ ، وانظر ايضاً تاج العروس ٦ : ٣٦٨

(٥) سورة مريم ١٩ : ٨٦

(٦) انظر الفصل الخامس - ٥ - شراب اهل النار ، والفصل السادس الجنة

- ب - انهاؤها وشرابها .

عمياً لا يبصرون وعيونهم في المنطق زرق لانور لها (١) . وكذا قال الطبري وغيره من المفسرين (٢) . اما ابن منظور فقد نقل تعليلاً لتسمية العمى بالزرقة بقوله : (وانما قيل زرقاً لان السواد يزرّق اذا ذهب نواظرهم) (٣) .

وربما جاء تفسير الزرقة بالعمى من الظاهرة التي قد تعرض للعين حين تمرض بما يسمى بالماء ، والذي هو في حقيقته كما يقول حنين بن اسحق : (رطوبة غليظة تجمد في ثقب الحدقة فتحجز بين الجليدية وبين الاتصال بالنور الخارج) (٤) . والوان هذا اللون مختلفة فمنها الأخضر والأسود ، والأبلق ، والأزرق (٥) . ومن هنا عدّ الزرقُ ضمن أهل العاهات فقال ابن قتيبة معدداً من عرف بها من البرص والعرج والصم والجدع والجذمي والحول والزرق والعمور (٦) . ويبدو انهم لا يقصدون العمى بالزرقة بهذه العاهة انما المراد به مرض الزرق الذي هو ضرب من العمى ، والذي اذا عرض للعين اخفتى سوادها وغلب البياض عليها (٧) .

(١) العين : الورقة (٣٧)

(٢) جامع البيان ٢٦ : ٢١٠ ، وانظر ايضاً تفسير فرائد الكوفي : ١٧٢

(٣) الظاهر ان هذا القول هو للزجاج فقد نقله ابن منظور عقب كلام

الزجاج في تفسير الزرق بالعمى . انظر لسان العرب ١٢ : ٤ ، وانظر ايضاً جمهرة

اللغة ٢ : ٣٢٤ ، المفردات ٢١١ ، الكشاف ٢ : ٣٢٤

(٤) العشر مقالات : ١٤١

(٥) ن . م . وانظر ايضاً الحاوي في الطب ٢ : ٤١

(٦) انظر المعارف ٤ ، ٥ ، ٥٨٥ ، فما بعدها وانظر الاعلاق النفيسة ٢٢٣

(٧) وبهذا المعنى وردت في القرآن الكريم بقوله تعالى (وابيضت عيناه

من الحزن فهو كظيم) سورة يوسف ١٢ : ٨٤

وواضح ان بين البياض والزرقة تقارب في اللون .
 واذا تتبعنا الجو القرآني بصورة عامة ، وجدناه يسند تفسير الزرقة
 بالعمى ، فقد قال الله تعالى في صدد الحديث عن الانبياء ان الأمة التي
 تضل طريقها ، ولاتهتمدي ، فانها قد عمت او تعامت عن حقيقة النبوة
 حتى اذا انتهى سرد القصص والمواعظ جاء الوعيد بحشر الضالين عميا
 يوم القيامة ، كما ضلوا عن الهداية في الحياة الدنيا : (ومن كان في هذه
 أعمى فهو في الآخرة أعمى واضل سبيلا) (١) . وقال ايضاً (ومن
 أعرضَ عن ذكري فان له معيشةً ضئيلةً . وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى
 قال : ربي لم نحشُرْني أعمى وقد كنتُ بصيراً ؟ قال : كذلك أتتك
 آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى) (٢) . ويبدو انه سبحانه وتعالى لا يريد بهذه
 الآيات الكريمة العمى الحقيقي ، وانما هو اظهار حالة الذل التي يحشرون
 عليها ، وانهم عمي عن نعم الله وثوابه كما كانوا عميا عن الحقيقة والهدى
 في الحياة الدنيا (٣) . اما سياق الآيات العام فانه يساعدنا على تصور
 معنى العمى : (يومَ يُنفخُ في الصورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا

(١) سورة الاسراء ١٧ : ٧٢

(٢) سورة طه ٢٠ : ١٢٤ - ١٢٦

(٣) انظر تفسير العمى في تنوير المقياس : ١٨٠ ، رسالة في المعاد ، رسائل
 الجاحظ ١ : ٩٩ ، جامع البيان ١٥ : ١٢٨ ، تفسير التستري ٣٨ ، تنزيه القرآن :
 ٢٠٦ ، حقائق التأويل ٥ : ٢٩ ، متشابهات القرآن ٢ : ١٠٥ وفي المسائل المنتهرة
 ان الله سبحانه وتعالى يبعث الناس على صورهم فمن كان في دنياه أعمى بعث
 كذلك ، وكذلك الأبكم والأخرس فكل يبعث ويحشر على ما كان انظر مسائل
 منثورة : الورقة (١٥) والأرجح تفسير العمى بالمعنى المجازي لا الحقيقي كما
 هو مثبت اعلاه .

يتخافتون بينهم ان كَيْبِشْتُمُ الا عَشْرًا ، نحن أعلم بما يقولون إذ يقولُ
 امثلهم طريفةً ان لبثتم الا يوماً ، ويسألونك عن الجبال فقلْ ينسفُها
 ربِّي نسفاً ، فيذرُها قاعاً صاففاً ، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ،
 يومئذ يتبعون الداعي لا عوجَ وَخَشَعَتِ الاصواتُ للرحمن فلا تسمعُ
 الا همساً (١) . فالمجرمون في رعب شديد وذهول عظيم أودى
 بعقولهم وابصارهم ، وقد تبعوا الداعي مسرعين يريدون ان يتساءلوا
 ولكن هول الموقف يحول دون ذلك ، فيخشون السؤال ، ويكتفون بالهمس
 والتخافت على عادة العمى حين يتخرجون من الكلام بصوت مرتفع ،
 ولفظة التخافت تزيد من رسم الصورة لانها تشير الى ان صاحبها يتوجس
 خيفة من انكشاف سره (٢) .

وإذا عدنا الى البيئـة العربية نتلمس فيها الذوق الغربي ونظرته تجاه
 اللون الأزرق فاننا سنجد في الآية الكريمة تصويراً رائعاً لهذا الذوق
 وما توحىـه الزرقة من معانٍ عديدة تساعد كلها على تبشيع الصورة التي
 يحشر عليها المجرمون . واول من وصلتنا اشارته الى هذه الوجهة في
 التفسير هو الزمخشري بقوله : (وقيل في الزرق قولان : احدهما ان الزرقة
 أبغض شيء من الوان العيون الى العرب ، لان الروم اعداؤهم ، وهم زرق
 العيون ، ولذلك قالوا في صفة العدو : اسود الكبد ، اصهب السبال
 ازرق العين ، والثاني ان المراد العمى) (٣) ،

فتفسير الزمخشري هنا مستمد من الناحية الفنية التي ينظر فيها أول
 ما ينظر الى الذوق العربي والأفكار التي آمن بها .

(١) سورة طه ٢٠ : ١٠٢ - ١٠٨

(٢) انظر معنى التخافت في سورة القلم ٦٨ : ٢٣

(٣) الكشاف ٢ : ٣١٣

لقد بغض العرب الزرقة وتشاءموا منها ، وهجوا من كانت صفته عليها قال الجاحظ : (وفي الجملة لا يتيمنون بالبكر الذكر ، فان كان البكر ابن بكر تشاءموا به ، فان كان البكر ابن بكرين فهو في الشؤم مثل قيس بن زهير والبسوس فان قيساً كان أزرق وبكراً ابن بكر . ولا احفظ شأن البسوس حفظاً اجزم عليه) (١) . وفي رواية نقلها الجاحظ ايضاً ان معاوية عير صحار العبدي (٢) . بالزرقة فقال له : يا أحمر ! قال : والذهب أحمر ، قال يا أزرق ! قال : والبازي أزرق (٣) . فصحار هنا لم يدفع عن نفسه عيب الزرقة ، وانما قرنها بالبازي : وهو طائر من الجوارح ، ليبعد عن نفسه ما تدل عليه الزرقة من معاني الشؤم والحسد واللؤم .

وربما جاء بغضهم للزرقة ان الذوق العربي لم يعتد إلا العيون الحور كما وردت في الشعر ، وتغزلوا بالعيون السود وشبهوها بعيون المها (٤) . ومن هنا لم يستسيغوا العيون الزرق لانها قليلة في البيئة الغربية ، دخيلة على الذوق العربي .

وهناك سبب آخر قد يغفل لنا الذوق العربي تجاه الزرقة : وهو انها

(١) الحيوان ٣ : ١٧٤

(٢) هو صحار بن عياش او عباس بن شراحبيل بن منقذ العبدي خطيب مفوه كان من شيعة عثمان وقد طالب بدمه بعد مقتله ، وشهد صفين مع معاوية وسكن البصرة ومات فيها نحو سنة ٤٠ هـ . انظر المحبر : ٢٩٤ ، الاصابة ٢ : ١٧٠ فما بعدها .

(٣) الحيوان ٤ : ٢٣٠ وانظر ايضاً الاصابة ٢ : ١٧٠

(٤) ديوان جران العود : ١١ ، ديوان عاتقمة الفحل : ٤٢

قد اقترنت بالأعاجم وخاصة الروم كما ذهب الزنخشري من قبل (١) ، فكرهت لأنها تذكرهم بلون اعدائهم . وقد وردت الزرقة في الحديث النبوي دالة على البغض ، وعدم الارتياح ففي وصفه (ص) للمنكر والنكير انها أسودان أزرقان (٢) . ولم ترد صفة الملكين في صحيح البخاري الا ان القسطلاني في شرحه الحديث النبوي بيّن الحكمة من اجتماع الزرقة والسواد في الملكين ، وانها لتبشيع صورتها قال : (وانما صوراً كذلك ليخاف الكافر ، ويتحير في الجواب ، وأما المؤمن فيثبتته الله بالقول الثابت فلا يخاف) (٣) . وفي حديث الأسراء ان الرسول (ص) كان يرى أشخاصاً مختلفين فيسأل جبريل فيخبره عن أسمائهم ، وأحوالهم ، وذكر أنه رأى رجلاً أحمر أزرق بعدما شعثاً فسأل عنه فقبل انه عاقر الناقة (٤) . وفي حديث آخر انه (ص) وصف عيني رجل أزرق بأنهما عينا شيطان وانه قال لأصحابه : (يحيثكم رجل ينظر اليكم بعيني شيطان ، فاذا رأيتموه فلا تكلموه ، فجاء رجل ، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه . . .) (٥) .

ففي هذه الأحاديث النبوية الشريفة تتبين لنا صورة الزرقة في الذهن العربي ، ومدى بغضه ونفوره منها ، فهي لون عيون المنكر والنكير ، وعاقر الناقة ، وأخيراً المناق الذي وصف الرسول (ص) عينيه بعيني شيطان . أما اطلاق الزرقة على الأعاجم فقد وردت في شعر الأعشى مادحا النعمان بن المنذر حيث قارن جوده بجود جدول يسقي النبط منه ديارهم

(١) الكشاف ٢ : ٣١٣ .

(٢) الجامع الصحيح ٣ : ٣٨٣ .

(٣) ارشاد الساري ٢ : ٣٧٩ .

(٤) مسند الامام أحمد ١ : ٢٥٧ ، وانظر أيضاً جمهرة أشعار العرب : ١٤ .

(٥) مسند الامام أحمد ١ : ٥٧ ، وانظر أيضاً تاج العروس ٦ : ٣٦٨ .

وقد وصف النبط بالزرق .

ويُروى النبطُ الزُّرْقُ من حَجَرَاتِهِ

دياراً تُروى بالآتي المُعمَّد (١)

وقال في قصيدة أخرى يصف زيارته لحانة ويذكر ساقبها :

تَنخَلُهَا من بَكَارِ القِطَافِ أزيْرُقُ آمِنِ إِكْسَادِهَا (٢)

فالخيار هنا أعجمي ، والأعشى لم يصرح بذلك ، وإنما اكتفى بوصفه

أزيرقا على عادة العرب في اطلاق الزرق على الأعاجم . وفي الشعر الذي

قيل في رثاء عمر بن الخطاب ، والذي ينسب الى الشماخ ، ورد وصف قاتل

عمر - وهو أعجمي - ، بأنه أزرق قال :

وما كنتُ أخشى ان تكون وفاتهُ

بكفِّي سبنتي أزرقِ العينِ مُطرفِ (٣)

ولا يراد بهذا القول كون قاتل عمر أزرق لون العين حقيقة ، إنما

يراد به الدلالة على كونه أعجمياً . وقال ذو الرمة هاجيا قوما بأنهم زرق

العيون لا يؤمن جارهم لأنهم يسرقونه :

زُرُقَ العيونِ اذا جارورتهم سَرَقُوا

مايسرقُ العبدُ أو نا بأتهُم كذبوا (٤)

ونجد هذه الفكرة نفسها في الغزل أيضاً روى ابن قتيبة :

(١) ديوان الأعشى : ١٩٣ ، والآتي : جدول توثيقه الى أرضك ، والمعمد

من عمد السيل اذا سد وجهه بتراب .

(٢) ن . م : ٦٩ ، تنخلها : تخيرها ، بكار القطاف ، من أول مايقطف .

(٣) الأغاني ٨ : ٩٨ ، وتروى لأخيه المزرد ، انظر الحجاسة البصرية الورقة

١٠٧ (أ) .

(٤) ديوان شعر ذي الرمة : ٣٦ .

يقولون نصرانية أم خالد
فقلت دعوها كل نفس ودينها
فان نك نصرانية أم خالد
فقد صورت في صورة لاتشينها
أحبك إن قالوا بعينك زُرقة

كذلك عتاق الطير زُرقةً عيونها (١)

فالشاعر هنا يبرر حبه ام خالد مع كونها زرقاء العين بأن يوجه
الانظار الى زرقه عتاق الطير ، وهو تبرير يذكرنا بتبرير عنترة لسواده .
فالناس هنا يعيرون على الشاعر حبه امرأة زرقاء العين وهو يحاول ان يبرر
حبه ويدافع عن زرقه عينيها .

ولما لم يستغ العرب زرقه العيون ، وقرنوها بعيون أعدائهم ، فقد أطلقوا
الزرقه على معان عديدة تمثل كلها الشر والبغض كالحسد ، واللؤم ، والطمع
وقد عبروا عن اللؤم بالزرقه وقالوا عن اللئيم انه أزرق العين . قال سويد

(١) عيون الأخبار ٤ : ٥٨ ، والأبيات لم ينسبها ابن قتيبة ، إلا ان هناك

أبياتا للفرزدق من نفس البحر والقافية ورد فيها ذكر ام خالد وهي ام خالد
القسري الذي هجاه الفرزدق ، منها قوله :

رَجَوْنَا هُدَاهُ لَاهِدَى اللَّهِ خَالِدًا فَمَا أُمُّهُ بِالْأُمِّ يُهْدِي جَنِينُهَا

انظر ديوان الفرزدق : ٣٣٤ ، الأغاني ١٩ : ٦١ ، إلا ان الأبياب التي رواها

ابن قتيبة لاتوجد ضمن أشعاره ، فان كانت له ولم تصلنا في أشعاره فيمكن أن تؤول
بالهجاء في معرض الغزل وان كانت من أشعار المحدثين فانها تكون أدل على
النوق العربي ، ذلك لأن الأذواق قد تبدلت في العصر العباسي لاختلاط
العرب بالأعاجم ، ومع ذلك فان هناك من يعيب عليه حبه امرأة زرقاء العين وفي
كلا الحالتين تعكس لنا الأبيات صورة واضحة للنوق العربي تجاه الزرقه .

ابن أبي كاهل :

لقد زَرَقَتْ عَيْنَاكَ يَا ابْنَ مَكْعَبٍ

كما كلُّ ضَبِيٍّ مِنَ التَّوَمِ أَرْزَقُ (١)

والبيت الذي يلمه يبين ان ذكر الزرقه هنا جاء في معرض النّم ،

والهجاء قال :

تري التَّوَمَ فِيهِمْ لَانْحَاءً فِي وَجُوهِهِمْ

كما لاحَ فِي وَجْهِهِ الحِلاَّبِ اُبْسَاقُ (٢)

وعن الفرزدق انه اعتبر هذين البيتين مما حطّ من قدر ضبة وأخزاها (٣) :

وفي شعر الأعشى ذكرت زرقه العيون حين يكون الناس في جوع ، وخصاصة

وذلك انه قال مادحاً :

كذلكَ فافعلٌ ما حَيَّيتَ اذا شَتَوَا

واقدمَ اذا ما أعينُ الناسِ تَزْرُقُ (٤)

فالذي فسر قوله تعالى : (وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) (٥) ،

يأن المجرمين تَزْرُقُ أعينهم من شدة العطش قريب من قول الأعشى حين

ذكر زرقه العين وقت الجوع ، لأن الانسان حين يضعف وتهزل قوته يبدو

ضعفه على وجهه وعينه اذ يختفي سوادها ويغلب عليها البياض .

والعيون الزرق حسودة لا يؤمن شرها قال بشار بن برد متغزلاً بصاحبته :

(١) مجالس ثعلب ٢ : ٣٦٧ ، عيون الأخبار ٢ : ٢١٤ ، جمهرة اللغة ٢ : ٣٢٤

الصحاح ٤ : ١٤٨٩ ، المخصص ٥ : ٣٣٢ .

(٢) الأغاني ١٩ : ٤٩ .

(٣) ن . م .

(٤) تاج العروس ٦ : ٣٦٧ ، وفي رواية الديوان تهرق أنظر الديوان : ٣٣

(٥) سورة طه ٢٠ : ١٠٢ .

تَرَخِستَ في النَعيمِ فلم نَسْتَأْهِمها حواسيدُ أعينِ الزرقِ القَبِيحِ (١)
 وقول بشار له دلالاته ، لأنه كان أعمى يؤم المجالس - خاصة مجالس
 النساء - فكل ما يذكره ويصوره في شعره إنما جاءه عن طريق السماع ، ثم
 انه كان عربي الثقافة ، خبيراً بالذوق العربي ، فوصفه للعيون الزرق بأنها
 حاسدة له دلالة على نظرة المجتمع الى العيون الزرق . ولبشار بيت آخر
 يذكر فيه الزرقه على انها مما تمجها الأذواق وذلك في وصفه البخيل :
 وللبخيلِ على أموالِهِ عِللٌ زُرُقُ العيونِ عليها أوجهٌ سودٌ (٢)
 فسواد اللون غير مستساغ في الذوق العربي كما مر بنا (٣) . فاذا اجتمع
 السواد مع عيون غير محببة وهي الزرق ، فان الوجه يكون أبشع مما يتصوره
 الذهن العربي . وبشار لم ير الزرقه ، كما لم ير اجتماعها بالسواد ، ولكنه
 تخيل هذه الصورة غير المقبولة في الذوق العربي ليشنع عِلل البخيل على أمواله
 مستهداً ذلك مما عرفه عن الذوق العربي .

وهكذا اقترنت الزرقه بمعانٍ نفسية بغیضة . أما من الناحية المادية
 فانها اقترنت بعدة صور تزيد من موحيات الزرقه في الآية الكريمة . أما
 الذباب الأزرق فهو أشدها أذى وإيلاماً (٤) ، ولون عيون كلاب الصيد

(١) ديوان بشار ٢ : ١١٤ .

(٢) ديوان بشار بن برد ٣ : ١٢٨ ، وقد أخذ هذا المعنى مسلم بن الوليد ،
 وان لم يبلغ جودة بشار في شعره قال :

إذا سبيلَ عرُفا كسا وجهَهُ
 ثياباً من البخلِ زُرُقاً وسوداً
 أنظر الصناعتين : ٤٠٠ .

(٣) أنظر ص ١٣٩ فما بعدها .

(٤) الاشتقاق مجلة المجمع العلمي العربي . دمشق م ٢٨ ج ٤ : ٥٧١ ،

الغريب المصنف : الورقة (١٧٦) ، الحيوان ٣ : ٣٩٠ ، أدب الكاتب : ٢١٥ ،

مجالس ثعلب ١ : ٦٧ ، المؤلف والمختلف : ٢٦٠ .

الشرسة زرقاء (١) :

وهكذا تبين لنا المعاني المتعددة التي توحىها كلمة الزرقعة ، وكيف انها اقترنت بمعان يبغضها الفكر العربي . وتنداعى هذه المعاني كلها فترسم في الذهن عند قراءة قوله تعالى : (وَنَحْسُ تُرُومِ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) (٢) فالمجرمون يوم القيامة عمي عن الحقيقة ، ضالون عن الطريق الصحيح . وعبر عن هذا المعنى بتعبير تنداعى فيه معاني اللؤم ، والبغض ، والبشاعة . وتتجمع هذه الصور البشعة لزرقعة الكافرين مع سواد الوجوه البغيض ، لتكون صورة واضحة لوصف الكافرين يوم القيامة ، وتقابل هذه الصورة بصورة المؤمنين المستبشرة وجوههم الفرحة بساعة اللقاء والثواب .

ج - اشراق وجوه المؤمنين

في صفة وجوه الكافرين والمؤمنين نجد تصويراً رائعاً لسماة الحزن والفرح التي تكتسي بها وجوه الناس يوم القيامة . وقد مرت بنا صور اليأس والكآبة التي رسمتها الآيات الكريمة لحال وجوه المجرمين يوم القيامة على حين وصفت وجوه المؤمنين بأنها مشرقة مستبشرة : (وجوهٌ يومئذٍ مُسْفِرَةٌ ضاحكةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ، ووجوهٌ يومئذٍ عليها غبرةٌ ، ترهقنَّها قَتَرَةٌ) (٣) ، وقال تعالى أيضاً : (كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ، وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ، وجوهٌ يومئذٍ نَاضِرَةٌ اِلى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ، ووجوهٌ يومئذٍ

(١) ديوان امرىء القيس : ١٠٣ ، المؤلف والمختلف : ٦٧ .

(٢) سورة طه : ٢٠ : ١٠٢ .

(٣) سورة عبس : ٨٠ : ٣٨ - ٤١ .

باسيرة" ، تَظَنُّ ان يَفْعَلَ بِهَا فاقرة (١) ، في هذه الآيات الكريمة نجد صورتين مختلفتين ، صورة المؤمنين المستبشرين ، وهم يتأملون نعم ربهم ورضاه ، وصورة الكافرين ، وقد راعهم هول الموقف ، يتوقعون العذاب والعقاب .

فالمؤمنون وجوههم نضرة ، ونقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه حين تلا قوله تعالى : (وجوهٌ يومئذٍ ناضرةٌ) (٢) ، قال بالبياض والصفاء (٣) ، أما ابن عباس فقد قال ان معناها : (حَسَنَةٌ جميلةٌ ناعمةٌ) (٤) . ونقل الطبري عن مجاهد تفسيره النضرة بأنها من السرور ، والنعيم ، والغبطة (٥) . وفسرها الفراء بأنها اشراق الوجه وبريقه المتأني عن النعيم ، والسرور (٦) . ويجلي الطوسي هذه الصورة أكثر فأكثر ، فيرى انها الصورة المشرقة المضيئة التي تملأ القلب سروراً عند رؤيتها (٧) . أما الحسن المؤدب (٨) فقد اتجه بالنضرة آخر ، ولم ير فيها

(١) سورة القيامة ٧٥ : ٢٠ - ٢٥ .

(٢) ن . م : ٢٢ .

(٣) جامع البيان ٢٩ : ١٩٣ .

(٤) تنوير المقياس : ٣٧٥ ، التنبيه والرد : ٦٣ .

(٥) جامع البيان ٢٩ : ١٩١ ، تفسير غريب القرآن : ٥٠٠ ، الزجاج عن

لسان العرب ٧٠ : ٦٩ ، مقاييس اللغة ٥ : ٢٣٩ ، الكشاف ٣ : ٢٤٩ .

(٦) عن لسان العرب ٧ : ٦٩ .

(٧) التبيان ١ : ١٩٧ ، متشابهات القرآن ١ : ٩٤ .

(٨) لم أعثر على ترجمة كاملة له ، وقد ذكره الخطيب البغدادي بأنه الحسن

ابن أحمد أبو محمد المؤدب ، وقال بأنه قد كتب عنه سنة ٤١٧ هـ ، أنظر تاريخ بغداد ٧ : ٤٧٨ .

بياض الوجوه ولا حسنهما واشراقها وانما ذهب بها الى الدلالة المعنوية ، وهو حسن الخلق والمنزلة والجاه ، قال : (ليس من الحسن في الوجه ، انما معناه حسن الله وجهه في خلقته أي جاهه ، وقدره قال : وهو مثل قوله اطلبوا الحوائج الى حسان الوجوه يعني به ذوي الوجوه في الناس وذوي الأقدار) (١) .

ويبدو انه لا تعارض بين تفسير الحسن المؤدب الذي يرى النضارة في عظم المنزلة والجاه ، وبين الفريق الأول الذي يحملها المحمل المادي ، وهو حسن الوجوه واشراقها من النعيم والسرور ، وذلك لأن وجوه المؤمنين انما تنضر يوم القيامة لما تجده من النعيم والسرور الذي أعد للمؤمنين لعظم منزلتهم عند ربهم وللجاه الذي خصهم الله به .

واذا تتبعنا معاني الكلمة واستنبطنا اصولها الحسية فاننا سنجد في التعبير القرآني تعبيراً رقيقاً قصرت عنه هذه التفسير . ويعكس لنا صورة حية في وصف وجوه المؤمنين . فقد اقترنت النضرة بأحب صورة الى نفس العرب ، الا وهي صورة النيات الناضر وذلك ان يكون شديد الخضرة مع اشراق ولمعان متأت من طراوة الزرع ونمائه نمواً حسناً . قال ابن الاعرابي : (وأنضَرَ النبتُ نضراً ورقه . . وقد أنضَرَ الشجرُ إذا اخضرَ ورقه وربما صارَ النَّضْرُ نعتاً يقال شيء نَضْرٌ ، وناضِرٌ ، والناضِرُ ، الأخضرُ الشديدُ الخضرةِ) (٢) وبين أبو حنيفة الدينوري (٣) ان العشب حين يكون

(١) عن لسان العرب ٧ : ٦٩ .

(٢) ن . م .

(٣) هو أحمد بن داود أبو حنيفة توفي نحو ٢٨٢ هـ ، كان مهندساً منجماً راوية ثقة فيما يرويه ، أخذ عن البصريين والكوفيين ، وأكثر أخذه عن ابن السكيت أنظر ارشاد الأديب ١ : ١٢٣ - ١٢٤ .

في بدء نبتته طرياً غصياً يكون لونه شديد الخضرة مع اشراق وجمال يطلق عليه النضرة . قال : (واذا كان العُشْبُ مع شدةِ خضرتهِ مشرقاً قيل عُشْبٌ نَضْرٌ) (١) .

وقد اقترنت هذه النضرة باللون الاخضر فيقال اخضر ناضر كما يقال ابيض ناصع ، واصفر فاقع (٢) . اما لماذا اقترنت النضارة بالخضرة دون غيرها من الالوان مع ان النبات متنوع الاشكال والالوان ؟ فن الجائز ان يكون هذا لكثرة اللون الاخضر ، وغلبته على سائر النباتات . . فاطلاق النضرة جاء على التعميم لا التخصص لا لانه اطلق على كل نبات مشرق انشد ابو حنيفة : -

يرشحُ نبتاً ناضراً ويزينه ندىً وليالٍ بعد ذلك طواقُ (٣)
ثم اقترنت النضرة بالنبات الزاهي بصورة عامة ومن ثم تكرر ذكرها مع ذكر الربيع - اجمل ايام العرب واحلاها - قال الاعشى في ممدوحيه :
بانهم يكرمون الجائع حتى تعود له صحته ويقوى فيصير كالغصن الناضر :
والشافعون الجوعَ عن جارهم حتى يرى كالغصن الناضر (٤)
وقال الآخر مفتخراً : -

انّا ملوكٌ حياً للتابعين لنا مثل الربيع اذا ما نبتته نضرا (٥)
وتغنى الشعراء بذكر الغصون النضرة لما توحيه في نفوسهم من البهجة

(١) المخصص ١٠ : ١٩٥ .

(٢) الغريب المصنف الورقة : ١١٨ ، وانظر ايضاً الصحاح ٢ : ٨٣٠ ،

المخصص ٢ : ١١٠ لسان العرب ٧ : ٧٠ .

(٣) المخصص ٩ : ٧٧ لم اعثر على قائله .

(٤) ديوان الاعشى : ١٤٥ .

(٥) الامالي للقيلي ١ : ٩ والبيت انشده ابو بكر بن الاعرابي ولم ينسبه .

والسرور قال امرؤ القيس :

فقمنا باشلاء اللجام ولم نَقْدَ الى غصن بان ناصر لم يحرق (١)

وقال ظالم بن البراء (٢) :

فيا من لدهر يفسد المرء بعدما يرى عَصْرَ آهَتِيزْ كالغُصْنِ النَّضْرِ (٣)

وإذا كان اطلاق النضرة على النبات مُتَأْتٍ من اشراقه ، وجماله

فانه أُطْلِقَ مجازاً على كل شيء زاهٍ خالصٍ من الشوائب كالذهب

والخشب والجمال (٤) :

ومن هذا الاصل الحسي وهو نضارة النبات استعير تعبيرهم عن

حُسْنِ الوجهِ ورونقهِ بالنضارة (٥) و اشار الزمخشري الى ان نضارة

الوجه اطلقت مجازاً (٦) .

قال الاعشى متغزلاً :

وَسَبَّتْكَ حِينَ تَبَسَّمتَ بينَ الأراكَةِ والسِتارةِ

وبجيدٍ مغزلة الى وجهه تزينه النضارة (٧)

وبعد ان تبين لنا تطور دلالة الكلمة من معناها الحسي الاصيلي الى

(١) ديوان امرئ القيس : ١٧٣ وانظر ايضا كتاب النبات : ١٣ ، ١٤ .

(٢) هو ظالم بن البراء بن قطن بن بكر شاعر من بني دارم . انظر المؤلف

والمختلف : ٢٢٤ .

(٣) ن ، م . وانظر ايضا الطرائف الادبية : ١٠٢ .

(٤) الغريب المصنف الورقة (٢٢٠) : مجالس ثعلب ١ : ٤٩ ، جمهرة

اللغة ٢ : ٣٦٧ الصحاح ٢ : ٨٢٩ : فقه اللغة : ٦٢ : لسان العرب ٧ : ٧٠ .

(٥) الافعال ١٠٧ ، الصحاح ٢ : ٨٢٩ : الخصاص ٢ : ١٥٣ .

(٦) اساس البلاغة : ٣٦٥ .

(٧) ديوان الاعشى : ١٥٣ .

معانيها الجديدة المعنوية ، امكنا ان نرد على ابن فارس الذي اعتبر المعنى الاصلى للكلمة هو الحسن ، والجمال ، والخلوص ، وعنه تفرقت باقي المعاني (١) . ذلك لان معنى الجمال والحسن متطور عن المعنى الحسي الاول وهو نضرة النبات ، واشراقه كما مر بنا فحين نقرأ قوله تعالى : (وجوه يومئذٍ ناضرةً الى ربها ناظرةً ، ووجوهٌ يومئذٍ باسرةٌ تظنُّ ان يُفعلَ بها فاقرةٌ (٢) لا نفهم منه جمال الوجوه ، واشراقها فحسب ، بل ترسم امامنا صورة العشب والنبات الزاهي تلك الصورة المحببة التي جعلت العرب يظلمونها على كل من حسن وجهه واشرق لشبابه ، او لتنعمه .

هذه هي صورة المؤمنين بوجوههم المشرقة ، وتقابلها وجوه الكافرين الباسرة الخائفة التي تتوقع المصيبة ، والداهمة (٣) .

ومن مجموع هذه التعابير التي تصور حال الناس يوم القيامة ، تتضح لنا تمام الوضوح صورة الفزع والذلة التي تشمل الكافرين ، تلك الصورة التي تنسجم مع الاضطراب الكوني . فيبدو كل ما في الطبيعة مُسَيِّراً لاستجابة امر الله في قيام الساعة والحساب ، الا ان هناك ملاحظة عامة نشهد لها في الاجزاء المختلفة التي تصور هول القيامة ، الا وهي صورة المؤمنين الرائعة التي تناسب بهدوء في هذا الخضم من الاضطراب والفزع ، وقد شملتهم طمأنينة ، وراحة عظيمة غير مباينين بالاضطراب الذي يسود الكون ، والمجرمين معا . قال الله تعالى : (واقربَ الوعدُ الحقُّ فاذا هي شاخصة ابصار الذينَ كَفَرُوا ياولنا قد كنا في غفلةٍ مِن هذا بل كنا ظالمين لانكم وما تعبدون من دون الله حصبٌ جهنم انتم لها واردون ، لو

(١) مقاييس اللغة ٥ : ٤٣٩ .

(٢) سورة القيامة ٧٥ : ٢٠ - ٢٥ .

(٣) انظر الفصل الثالث - ب - توقعهم العذاب .

كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون ، لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ، ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ، اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيبها وهم في ما اشتت انفسهم خالدون ، لا يحزنهم الفزع الاكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون (١) وقال تعالى عارضا مشاهد القيامة المفزعة : (كَلَّا اِذَا دُكَّتْ اِلْاَرْضُ دَكًّا دَكًّا ، وِجَاءَ رَبِّكَ ، وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ، وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْاِنْسَانُ وَاْنِى لَه الْذِكْرُى ، يَقُولُ يَا لَيْتَنِى قَدِمْتُ لِحَيَاتِى فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ اَحَدًا : وَلَا يُوثِقُ وِثَاقُهُ اَحَدًا ، يَا اَيْتَهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ، اَرْجِعِى اِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مُرَضِيَةً ، فَادْخُلِى فِى عِبَادِى وَاَدْخُلِى جَنَّتِى) (٢) . ففي هذه المشاهد المفزعة التي تتابع فيها معاني القوة والضعف من دك الجبال ، وتحطيمها ، والشهود ، والملائكة وجهنم المهياة لتعذيب المجرمين . خلال هذه المشاهد المفزعة تنساب صورة المؤمنين المطمئنة غير آبهة بالفزع حولها ، وانما تسير بثقة ورضى الله لتلقى الثواب والجنة ونعيمها . ومن عرض هذين الجانبين معا يتجلى الاعجاز القرآني الرائع ، لان المقارنة بين صورتى الكافرين والمؤمنين تجلبي صورة كل منها اكثر مما لو عرضت وحدها .

(١) سورة الانبياء ٢١ : ٩٧ - ١٠٢ .

(٢) سورة الفجر ٨٩ : ٢١ - ٣٠ .

الفصلُ الرَّابِعُ

القضاء بين الناس

- ١ - القيم الجاهلية ونفي وجودها .
- ٢ - دقة الحساب .
- ٣ - نتيجة القضاء .

١ - القيم الجاهلية ونفي وجودها :

ان القضاء يوم القيامة صورته الآيات الكريمة تصوراً دقيقاً رائعاً ، تجلّت فيه الانسانية في موكبها الزاخر حيث يقف الناس بجميع امهم ، واختلاف طبقاتهم سواسية أمام قضاء دقيق لا يتزحزح عن الحق ، ولا يقبل في حكمه إلا شهود الصدق . يقف الانسان وحده أمام الهول مجرداً إلا من صفحات أعماله تشهد عليه فتقرر مصيره إذ لاشفاعة ، ولا فداء ، ولا وسيلة في النهرب من العقاب كالتى اعتادها الناس في الحياة الدنيا : انه العدل المطلق الذي تقف البشرية أمامه ، فيطمئن المؤمن لنهايته السعيدة ، لأن أعماله تشهد له بذلك ، ويوقن المجرم بضالة نفسه بالعقاب الذي ينتظره جزاء أعماله في الدنيا .

ويستطيع الانسان ان يتخيل هذه الصورة المثالية للقضاء العادل ، ويقارنها بالقضاء السائد في امته ، والذي يتأرجح بين الحق والباطل . واذ نستعرض صور القضاء الجاهلي نجد انه صورٌ في مشاهد القيامة ليبين الفرق العظيم بين الحكم الدنيوي وما فيه من قيم اجتماعية ، وبين الحكم العادل يوم القيامة .

فلم يكن للقضاء الجاهلي قانون يحكمه ، أو دين يضبطه ، انما كان المرجع فيه الى رأي رجال عرفوا بسلامة التفكير والحكمة قال اليعقوبي : (وكان للعرب حكام ترجع اليها في امورها ، وتتحاكم في منافراتها ، وموارثها ومياهاها ، ودمايتها ، لأنه لم يكن دين يرجع الى شرائعه ، فكانوا يحكمون أهل الشرف ، والصدق ، والأمانة ، والمجد ، والتجربة) (١) . وتعدّد

(١) تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٩٩ ، وانظر أيضاً الأشباه والنظائر ١ : ١٤٤ ، ١٤٥

الذين كانوا يحكّمونهم في المنازعات ، فبعضهم كان يحكّم العرّافة (١) ، وقد يلجأون الى الكهّان (٢) ، واشتهر رجال منهم سارت أسماؤهم في الآفاق ، لما عرفوا به من الحكمة ، والحصافة في الامور التي يحكّمون فيها ومن هؤلاء أكثم بن صيفي (٣) ، وعامر بن الظرب العدواني (٤) ، وغيلان ابن سلمة (٥) ، وغيرهم ممن تناقلت الكتب أخبارهم . وكانت العرب ترجع الى أمثال هؤلاء للتحكيم بينهم في المنازعات ، أو في تقدير دية قتيل اختلفوا فيها (٦) .

ومع الأوصاف التي اقترنت بسير هؤلاء الرجال ، فمن الطبيعي أن تكون أحكامهم تقريرية بين الحق والباطل ، لأنهم لايعتمدون على قانون واحد ، أو قاعدة عامة في جميع أحكامهم ، يضاف الى ذلك ان الطرفين المتنازعين غير ملزمين بقبول الحكم الذي يصدره الحكم ، وقد ينقض أحد الطرفين

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٦٦ ، بلوغ الأرب ٣ : ٧٥ .
(٢) المثالب : ٣١ ، سيرة ابن هشام ١ : ١٥٥ ، المُنَسَّمُ : ٢٠ : ٢٢ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٥ ، أخبار الزمان : ٩٥ ، بلوغ الأرب ٣ : ٢٦٩ ، تاريخ العرب لجواد علي ٥ : ٣١٥ ، ٣١٧ .

(٣) المعمرون : ١٩ - ٢٤ ، المحبّر : ١٣٥ ، البيان والتبيين ١ : ٣٦٥ ، عيون الأخبار ١ : ١٠٨ ، تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٩٩ ، الاشتقاق لابن دريد ٢٠٧ ، أسد الغابة ١ : ١١٢ - ١١٣ ، الاصابة ١ : ١١٨ ، وانظر أيضاً :

Ency. of Islam P . 345 .

(٤) سيرة النبي ١ : ١٣٤ ، المعمرون : ٥ ، المحبّر : ١٣٥ .
(٥) المؤتلف والمختلف : ٢٣٠ ، بلوغ الأرب ١ : ٣١٦ .
(٦) المحبّر : ١٣٥ ، تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٩٩ ، بلوغ الأرب ١ : ٣١٩ :

الحكم ، فكان بعضهم اذا حكم بقضية ما ، لا يبدي رأيه الا اذا أعطاه الفريقان العهود والمواثيق بتطبيق ما يقضيه بينهما (١) . ومن هنا ففخر بعضهم بأن فيهم الحكام الذين لا ينقض حكمهم ولا يرد (٢) ، وانهم اذا حكموا بين القبائل فان حكمهم هو الصواب وغيرهم على خطأ (٣) .

وفخر الشعراء بمثل هذه الأمور يعكس لنا من جانب آخر افتقار المجتمع للعدالة ، وضياح الحق إلا عند الحكام الذين مرستهم السنين وحنكتهم التجارب . ذلك لأن الشاعر اذا أراد ان يمدح شخصاً ، فاعما يصفى عليه قيا ، وصفات لا يجدها عند غيره من الناس ، أو أنه عرف بها أكثر من غيره . فتغني الشعراء بأن فيهم الحكام العادلين يعكس لنا افتقار المجتمع القبلي الى عدل يسود ، وحق يطبق .

أ - الشفاعة والقضاء الجاهلي صورة للمجتمع العربي وتقاليده ، وأول ظواهره هو الايمان بوحدة القبيلة . والتعصب لها في سلمها ، وحرابها ، وهي التي قال عنها ابن خلدون انها : (النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام ان ينالهم ضيم ، أو تصيبهم هلكة ، والتي بها تشتد شوكتهم ، ويخشى جانبهم) (٤) : وقد أعمت هذه النظرة عيونهم ، فلم تترك لهم مجالاً يفرقون فيه بين الحق والباطل ، انما يهرعون ملين نداء أي مستغيث من أبناء قبيلتهم دون ان يستفسروا عن المعدي . ولعل أجود قصيدة تبين لنا هذه الروح هي قصيدة قريظ بن انيف التي يذكر فيها عصبية بني مازن التي

-
- (١) أنظر في هذا الأغاني ٣ : ١٩ - ٢٢ ، الكامل لابن الأثير ١ : ٧٧ .
(٢) الشعر والشعراء ٢ : ٥٩٨ ، الحماسة البصرية الورقة : ١٤٤ (أ) .
(٣) أنظر ديوان عامر بن الطفيل : ٢٠ ، ديوان حميد بن ثور : ١٣١ ،
والمفضليات : ١٧٤ .
(٤) المقدمة : ٧٣ .

حمدوا عليها . وانهم لا يسألون اخاهم عن المعتدي اذا سألهم النجدة
وانما يلبون نداهه ظلما او مظلوما (١) .

واذا اسر احد افراد القبيلة هرع وجوه القوم ، او شاعر من شعرائهم
ليشفعوا له عند غالبيه وآسريه (٢) ولعل اكثر ما يؤلم البدوي هو خذلان
قومه له حين يعتدى عليه .

اما الجوار فانه رابطة اخرى تحمي الفرد ، وتشفع له في حياته .
فاذا قتل امرؤ او أجرم فان على مجريه ان يدافعوا عنه ، ويشفعوا له
قال رجل من بني عبد الله بن غطفان ، وقد جاور قبيلة طي وهو خائف:
جَزَى اللهُ خَيْرًا طَيِّبًا مِنْ عَشِيرَةٍ

وَمِنْ صَاحِبِ تَلْقَاهُمْ كُلِّ مَجْمَعٍ

هُمْ خَلَطُونِي بِالنَّفُوسِ وَدَافَعُوا

ورائي بِرُكْنِ ذِي مَنَاقِبٍ مَدْفَعٍ

وقالوا : تَعَلَّمْ إِنَّ مَالِكَ إِنْ يُصِيبْ

نَفِيْدِكَ وَإِنْ تُحِبَّسْ نَزَرَكَ وَتَشْفَعِ (٣)

هذه الشفاعة التي اعتادها البدوي في بيئته كانت تقف حائلا دون
تطبيق العدالة ، لان الجاني سرعان ما يتشبه بمن له منزلة ، وجاه في قومه

(١) شرح ديوان الحماسة ١ : ٢٣ - ٣٢ وانظر ايضا ١ : ١٣٠ .

(٢) ديوان علقمة الفحل ٤٠ ، ٤١ ، وانظر ايضا الكامل لأبن الاثير ١ :

٢٨٨ وقد يطلبون شفاعة رجل له مكانته العظيمة في نفس القبيلة الغالبة انظر امثال

العرب ٨ ، ٩ .

(٣) الكامل للمبرد ١ : ٧١ ، وذكر ابو تمام الابيات في الوحشيات ونسبها

لابن دارة احد بني عبد الله بن غطفان ، انظر الوحشيات : ٢٤٩ .

ليشفعوا له ، ويخلصوه من جرمه واسره (١) . . . فاي شعور رهيب يجتاح العربي اذا سمع بانه سيأتيه اليوم الذي يقف فيه وحده ضعيفاً متهاكاً وذنوبه العظام لم يترك منها شيء تشهد عليه ، وتدينه . ثم يلتفت فيجد ان كل الوسائل التي كان يتوصل بها الى النجاة في الحياة الدنيا قد تقطعت وانه ما من شخص يشفع له ، ويعينه على التخلص من العقاب لان (لكل امرئ امرئ يومئذ شأنٌ يُغْنِيهِ) (٢) . فلا شفيع ولا نصير ، قال الله تعالى : (وَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ؟ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا هَذَا ظَنُّنَا أَنَّ اللَّهَ كَذِبٌ كَرِيمٌ) (٣) . قد جاءت رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ . فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ، او نُزِدَّ فنعمل غير الذي كنا نعمل ؟ قد خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ ما كانوا يَفْتَدُونَ) (٤) .

وهكذا يتمنى المجرمون شفاعه احد لهم ، ويتمنون العودة الى الحياة الدنيا ليعملوا صالحاً ، الا ان الرد ياتيهم جازماً مؤلماً بان يوم القيامة لا يترك للمجرمين شفعاء ، ولا تقبل وساطة أحد . فاعمالهم تشهد عليهم بما اقترفوه في الحياة الدنيا قال الله تعالى : (واتقوا يوماً لا تجزي نفسٌ عن نفس شيئاً ، ولا تُقبَلُ منها ، شفاعَةٌ ، ولا يؤخذُ منها عدلٌ ، ولا لهم يُنصرون) (٤) وقال ايضا : (يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ، والكافرون هم الظالمون) (٥)

(١) وشبيهه هذا عقيدة الذين اتخذوا آلهة ليشفعوا لهم عند الله وقد ذكرهم الله تعالى في سورة الانعام ٦ . ٩٤ : وانظر ايضاً الروم ٣٠ : ١٣ ، يس ٣٦ : ٢٣ .

(٢) سورة عبس ٨٠ : ٣٧ .

(٣) سورة الاعراف ٧ : ٥٣ .

(٤) سورة البقرة ٢ : ٤٨ .

(٥) سورة البقرة ٢ : ٢٥٤ .

وفي سورة غافر يصف الله سبحانه وتعالى هول الموقف يوم القيامة والذي تبلغ فيه قلوب الناس الحناجر ، فلا يستطيعون الكلام ، لانهم ايقنوا من الحساب الدقيق الذي لا يترك ذنبا كبيرا ، او صغيراً ، الا واحضره ، ويزيد ياسهم وخوفهم ان ليس لهم شفيع تقبل شفاعته ، لانهم ظالمون مجرمون : (وانذرهم يوم الآزفة ، اذ القلوب لدى الحناجرِ كاظمين ، ما للظالمين من حميم ، ولا شفيع يطاع ، يعلمُ خائنة الأعين ، وما تخفي الصدورُ والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ، ان الله هو السميع البصير) (١) .

هكذا تنفي الآيات القرآنية الكريمة وجود الشفاعة للكافرين يوم القيامة ، ذلك المفهوم الذي كان سائدا في البيئة الجاهلية ، لانه الحق المطلق الذي لا تشوبه شائبة ، ولا يعوقه مفهوم من المفاهيم الجاهلية كالشفاعة مثلا .

ب - الفداء والعدل :

الفداء : وهناك وسيلة اخرى اعتماد البدوي بواسطتها التخلص من اسره ، تلك هي وسيلة الفداء ، وذلك ان يدفع الاسير دية يفك بها اسره ، والا فانه يصبح بحكم العرف ملكا لاسره ، وتختلف هذه الدية حسب منزلة الشخص الاجتماعية ، فكان فداء الشخص المتوسط المنزلة مائة بعير (٣) وقد تبلغ خمسمائة بعير . اما دية الملوك ، ومن يبلغ منزلتهم في

(١) سورة غافر ٤٠ : ١٨ - ٢٠ .

(٢) النقائص ١ : ٢٠ .

(٣) المعارف : ٥٥٥ .

العظمة فانها الف بعير (١) ، ومن هنا فخر اهل اليمن بالاشعث بن قيس (٢) لانه افتدى نفسه بثلاثة الاف بعير اي بديعة ثلاثة ملوك (٣) .

واذا كانت هذه الارقام تبين لنا دية الاشخاص ، واختلافها حسب منزلتهم الاجتماعية ، فأنها من الناحية الأخرى تعكس لنا اهمية البيئـة في نشوء العادات والتقاليد ، ذلك لان انتشار الفوضى ، وكثرة الحروب ، والغارات ، وما يتبعها من الاسر ، كل ذلك ساعد على ايجاد الدية والفداء لفك الاسرى ، ولما كانت منزلة الاشخاص تختلف حسب مستواهم المعيشي ومنزلتهم الاجتماعية فان ديتهم قدرت تبعا لذلك . وقد وصف عوف بن عطية (٤) في قصيدة له الاسير يمتلك مالا يستطيع ان يفك به قيود اسره ، يقول :

وَمَكْبَلٌ يُقَدِّى بَوَافِرِ مَالِهِ
إِنْ كَانَ صَاحِبَ هَاجِمَةٍ أَوْ أَيْبَسَرَ (٥)
ويظهر الظلم الاجتماعي في هذا الجانب من المجتمع البدوي الذي قد يلحق الكثيرين . فالحروب مستمرة ، والقتل والأسر يتمثل أمام ناظري المرء كل يوم ، ولكنه يختلف باختلاف الأشخاص فمن كان ذا مال وفير لم يعان

(١) نقائض ١ : ٤٣٢ ، ٥٣٥ ، بلوغ الارب ٣ : ٢٢ .

(٢) هو الاشعث بن قيس بن معدى كرب الكندي امير كندة في الجاهلية والاسلام . كان شاعرا وسيدا كريما وكانت اقامته في حضر موت ، ووفد على النبي (ص) بعد ظهور الاسلام . توفي نحو ٤٠ هـ . انظر المؤلف والمختلف : ٥٥ خزانة الادب ٢ : ٤٦٥ .

(٣) المعارف : ٥٥٥ .

(٤) هو عوف بن عطية بن عمرو بن عبس بن وديعة بن مضر شاعر جاهلي فحل ادرك الاسلام معجم الشعراء : ٢٧٦ ، خزانة الادب ٣ : ٨٢ - ٨٣ .
(٥) ديوان المفضليات : ٦٣٥ .

من الأسر ، أو عقاب جرمه شيئاً ، اذ انه سرعان ما يقدم ماله ليغسل جرمه
 وإذا كان ذا جاه ، ومنزلة كبيرة فان قومه يسرعون لافتدائه بما يملكون
 من مال وجاه . وفي أخبار الشنفرى ان قومه قتلوا رجلا كان في خفرة
 بعض الفهميين فرهنوهم الشنفرى (١) ، وامه ، وأخاه ، ولم يفدوهم (٢) ...
 هكذا يُرهنُ ثلاثة أشخاص مقابل شخص واحد ، ومع ذلك لا يحاول
 قومهم افتدائهم وفك أسرهم لماذا ؟ لأنهم ليسوا سادة ، ولا أغنياء .
 وقد شكوا طرفة مولاه في شعره بأنه يضيق عليه الأمر في كل حال
 سواء شكّره ، أو طلب منه أن يفدي نفسه :

فلو كان مولاي امرء هو غيره

لفرّجَ كرّبي ، أو لأنظرتني غدي

ولكن مولاي امرء هو خانقبي

على الشكر والتسأل أو أنا مُفتدٍ (٣)

والفداء المادي كما عرفه المجتمع العربي ورد في القرآن الكريم فقد
 أفندي ابن النبي ابراهيم (ع) بكبش عظيم (٤) . كما حدد الله سبحانه وتعالى -
 فدية الأسرى المشركين ، فاما ان يُمنّ عليهم باطلاق حريتهم ، أو ان

(١) هو عمرو بن مالك الأزدي من قحطان ، شاعر جاهلي من فتاك العرب
 وعدائهم ، وهو أحد الخلاء الذين تبرأت منهم عشائريهم . قتله بنو سلامان ، وهو
 صاحب اللامية المشهورة بلامية العرب . أنظر الأغاني ٢١ : ٨٧ - ٩٣ ، خزانة الأدب
 . ١٦ : ١٧ .

(٢) ديوان المفضلين : ١٩٧ - ١٩٨ .

(٣) ديوان طرفة : ٥٧ .

(٤) سورة الصافات ٣٧ : ١٠٥ .

تقبل منهم فدية (١) .

هذا الفداء الذي اعتاده الغربي في بيئته ، وحروبه المستمرة ، صورته الآيات الكريمة عند تصويرها للحساب الدقيق يوم القيامة . فالبدوي الذي اعتاد في الحياة الدنيا التخلص من جرمه ، وأسرره ، بأن يفدي نفسه بمقدار من المال ، فانه يوم القيامة لا يمكنه التخلص من العقاب الذي ينتظره ، حتى لو امتلك ملء الأرض ذهباً ، قال الله تعالى : (ان الذين كفروا ، وماتوا وهم كفارٌ ، فلن يُقْبَلَ من أحَدِهِمْ ملأُ الأرضِ ذهباً ، ولو افْتدى به ، أولئك لهم عذابٌ أليمٌ ، وما لهم من ناصرين) (٢) وفي سورة الرعد يبين الله سبحانه وتعالى بأن الذين لم يستجيبوا للدعوة الحق لا يتخلصون من العذاب يوم القيامة حتى لو قدموا مافي الأرض من الأموال فدية لهم (للذين استجابوا لربهم الحسنى ، والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم مافي الأرض جميعاً ، ومثله معه ، لأفتدوا به ، أولئك لهم سوء الحساب ، وماؤاهم جهنم وبئس المهاد) (٣) . وقال الله تعالى أيضاً : (فاليوم لا يؤخذ منكم فديةٌ ، ولا من الذين كفروا ، ماؤاكم النار ، هي مولاكم وبئس المصير) (٤) .

وإذا كان في مقدور الأب ، أو أي فرد من أفراد القبيلة فداء ابنه أو قريبه ، وتقديم ما يملك في سبيل انقاذه ، فان هذه الأواصر تنقطع كلها يوم القيامة ، فلا يفدي الأب ابنه من العذاب فحسب ، بل يتمنى لو انه يستطيع ان يفدي نفسه بأعز أحبائه في الحياة الدنيا ، بابنه ، أو صاحبه

(١) سورة محمد ٤٧ : ٤ .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ٩١ ، وانظر أيضاً سورة يونس ١٠ : ٥٥ .

(٣) سورة الرعد ١٣ : ١٨ .

(٤) سورة الحديد ٥٧ : ١٥ .

او اخيه ، ولكن هيهات له ذلك ، فلا يقبل فداء ، ولا يبدل عذاب امرىء بعذاب آخر ، فكل انسان يحاسب بما قدم في حياته الدنيا . قال الله تعالى واصفاً حيرة الانسان يوم القيامة حيث يقف وحيداً ، فزعاً خائفاً (يُبْصِرُونَ وَهُمْ يَوَدُّ الْمَجْرُمُ لو يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئذٍ بِدِينِهِ وَصَاحِبِيهِ ، وَاخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ ، كَلَّا ، إِنَّهَا لَظَى ، نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى) (١) .

هكذا تعكس الآيات الكريمة صورة الحياة العربية الجاهلية ، وتبين لنا كيف تنهار العناصر الاساسية التي تقوم عليها القبيلة ، إذ لا شفاعاة ولا فداء ، بل قضاء عادل تنفصم فيه كل عرى القرابة والصداقاة ، وكل الروابط الانسانية ، فيقف الغني والفقير ، وذو الجاه والصعلوك ، وحيدين امام قانون واحد حازم .

العادل : اما العادل فانه تعبير آخر له دلالته على البيئاة العربية الذي نفت وجوده الآيات الكريمة يوم القيامة . (واتقوا يوماً لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً ، ولا يُقبَلُ منها شفاعاةٌ ، ولا يُؤخذُ منها عدلٌ ولا هم ينصرون) (٢) . وقال أيضاً : (وذُر الذين اتخذوا دينهم لِعِبَاءً ، وَلَهْوَاً ، وغرّتهم الحياة الدنيا ، وذكرَ به ان تُبْسَلَ نفسٌ بما كسبت ليس لها من دونِ الله وليٌ ولا شفيعٌ ، وان تعدل كلَّ عدل لا يؤخذ منها ، اولئك الذين أبسلوا بما كسبوا ، لهم شرابٌ من حميمٍ وعذابٌ اليمٌ ، بما كانوا يكفرون) (٣) .

(١) سورة المعارج ٧٠ : ١٢ - ١٦

(٢) سورة البقرة ٢ : ٤٨

(٣) سورة الأنعام ٦ : ٧٠

وقد قال المفسرون ان معنى العدل : الفداء (١) ، واذا كان هذا التفسير منسجماً مع الفداء الذي مر بنا بحثه . الا اننا نجد في دلالات الكلمة المختلفة معنى جامعاً لتفسير المفسرين من جهة ، وبمعكس لنا صورة من البيئة العربية من جهة أخرى ، وذلك انهم اطلقوا العَدْلَ على الحِمْلِ بوضع على جانبي الدابة . قال الاصمعي : عَدَلْتُ الْجَوَالِقَ (٢) ، على البعير ، اَعْدَلُهُ اَعْدَلًا ، يحمل على جنب البعير ، وَيُعْدَلُ بِأَخْر (٣) . وقال الأزهري : العَدَلِ يَلْتَانُ : الغِرَارَتَانِ (٤) ، لان كل واحدة منها تعادل صاحبتهما (٥) . وقال ابن دريد : العِدْلُ العُكْمُ اذا عدل بمثله (٦) . والعُكْمُ هو نفس عدل البعير كما يقول الزمخشري (٧) .
ومما سبق من أقوال اللغويين يتبين لنا ان العِدْلَ هو الحِمْلُ الذي

(١) تنوير المقياس : ٧ ، مجاز القرآن ١ : ٥٣ ، جامع البيان ١ : ٥٧

التيبان ١ : ٢١٥ الكشاف ، ١ : ٥١١

(٢) الجوالق : وعاء من الأوعية أعجمي معرب ، انظر جمهرة اللغة

٢ : ١١٠ ، الصحاح ٤ : ١٤٥٤ ، المغرب : ١١٠ ، لسان العرب ١١ : ٣١٨

(٣) عن لسان العرب ٣ : ٤٥٩ وانظر ايضاً جمهرة اللغة ٢ : ٤٥٩

(٤) الغرارة : قال الجوهري عنها انها واحدة الغرائر التي للتبين ، واطنه

معرباً . ويبدو انها كلمة عربية الأصل لقولهم الغرارة شفرتا السيف ، وكل

شيء له حد فحده غراره انظر جمهرة اللغة ٣ : ٤٥٨ ، لسان العرب ٦ : ٣٢٠

لان جانبي الحاملين والعِدْلين يمثلان حدهما ، ومن هنا سمي الحِمْلُ غرارة .

(٥) لسان العرب ٣ : ٤٥٩ ، وانظر ايضاً مقاييس اللغة ٤ : ٢٤٧ ، المحكم

٢ : ١١ ،

(٦) جمهرة اللغة ٢ : ٢٨١

(٧) اساس البلاغة : ٦٤٩

يوضع على جانبي الدابة يحمل عليه العربي ما يحتاج اليه في سفره ، وسيره على أن يكون ما في الحمل الأول موازياً ومعادلاً للحمل الثاني ليتوازن سير الدابة . قال ابن الاعرابي : (يقال عدلتُ امْتَعَةَ الْبَيْتِ ، إذا جعلتها اعدالاً مستوية للاعتكاف يوم الظعن) (١) . وإذا ركب رجل على أحد حملي الدابة ، فلا بد من موازنته بوضع ثقل في الجانب الثاني من الحمل ، فيركب معه شخص آخر يساويه ومن هنا قالوا عدل الرجل في الحَمَلِ وعادله ركب معه (٢) .

وقد ورد هذا المعنى المادي للكلمة في الشعر العربي ، من ذلك قول عوف بن عطية هاجياً :

ولقد أراكَ ولا تُؤَبِّنُ هَالِكاً

عَدَلَ الْأَصْرَةَ فِي سَنَامِ الْأَكُومِ (٣)

يريدانه لا يُبَكِّي عليك ان مُتَّ ، وقد كانت امه راعية ، فكانت تحمله على بعير وتعادل به الأَصْرَةَ . وقال آخر مشبهاً الفتيان بالحمير يحملون أعدالاً قد أثقلها الحمل :

فِي فِتْيَةٍ مِنْ بَنِي هِنْدٍ كَأَنَّهُمْ

أَذَانُ أَحْمِرَةٍ يَحْمِلْنَ أَعْدَالاً (٤)

أي أن هولاء الفتية خاملين لاجراك لهم ، ولا شهامة عندهم كأنهم آذان حمير قد تعبت من حمولة اعدالها . وقال آخر :

(١) لسان العرب ١٣ : ٤٥٩ ، وانظر ايضاً أساس البلاغة : ٦١٦

(٢) المحكم ٢ : ١١ ،

(٣) المعاني الكبير ١ : ٤٦٩ ، والبيت لم ينسبه ابن قتيبة

(٤) ن ١٠ م ٥٧٨ :

لما غَدَوْتُ خَلِيقَ الثَّيَابِ أُحْمِلُ عِنْدَ لَيْلٍ مِنَ الثُّرَابِ (١)
ومن هذا المعنى المادي لكلمة العِدْلُ اطلقت الكلمة على المعادلة
والموازنة مطلقاً ، وعلى العدل القسط المراد به الاستقامة التي هي ضد
الجور (٢) . قال علقمة الفحل :

فلا تعد لي بيني وبين مُغَمَّرٍ
سَقَمْتِكِ رَوَايَا الْمِزْنِ حِينَ تُتَصَوَّبُ (٣)

والمغمر الذي لم يجرب الأمور . والمزن السحاب الأبيض ورواياه
ما حمل من الماء . يريد منها الآ تعدله مع من لا حكمة ولا خبرة له
وقال امرؤ القيس :

فَقُلْتُ لَهَا وَقَوْلُ الْحَقِّ مِمَّا يَمِيلُ وَلَوْ عَدَاكَ بِهِ الْجِبَالَا (٤)

وصورة عدلي الدابة واضحة في هذه الموازنة ، ومن هنا اطلقوا
العِدْلَ على المِثْلِ قال الأزهري : (العِدْلُ : المِثْلُ ، واصله في الدية
يقال : لم يقبلوا منهم عدلاً ولا صرفاً . أي لم يأخذوا منهم دية ، ولم
يقتلوا رجلاً واحداً ، أي طلبوا منهم أكثر من ذلك) (٥) .

ويبدو مما مرر بنا من معنى العِدْلُ المادي ان معنى الفداء والدية
ليس أصلياً بل متطوراً عن المعنى المادي ، ذلك لان العِدْلَ لا يمكن

(١) المغاني الكبير ١ : ٤٩٦

(٢) جمهرة اللغة ٢ : ٢٨١ ، المخصص ٦ : ١١٧ ، المحكم ٢ : ١٠

(٣) ديوان علقمة الفحل : ١٠ ، وانظر أيضاً ديوان حسان : ١٨٢

(٤) ديوان امرئ القيس : ٣٠٩

(٥) الأزهري عن لسان العرب ١٣ : ٤٦٠ ، وانظر أيضاً مجالس ثعلب

١ : ١١ ، المحكم ٢ : ١٠ ، اساس البلاغة ٦١٧ وانظر

Arabic English Lexicon Book 1 . P . 5 . 1974 .

ان يُوازَنَ الا بِجَمَلٍ آخَرَ مُوَازِيً ، ومُشَابِهٍ لِهٖ وَمِنْ هُنَا فُهِمَ مَعْنَى المِثَالَةِ ، والمِشَابَهَةُ الِذِي أُخِذَ مِنْهُ مَعْنَى الفِدَاءِ ، ذَلِكُ لِأَنَّ العَرَبَ قَدِ اعْتَادُوا فِي حَيَاتِهِمْ أَنْ يَنْتَقِمُوا لِقَتِيلِهِمْ ، وَلَا يَكْتَفُونَ بِعِقَابِ قَاتِلِهِ بَلْ جَاوَزُوا ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَقْتَصُّوا مِنْ غَيْرِ القَاتِلِ ، فَيَقْتُلُوا نَدْبًا لَهُ يَعدِلُهُ فِي مَقَامِهِ ، وَمركزِهِ . وَمِمَّا يَرَوَى فِي هَذَا البَابِ أَنَّهُ حِينَ قَتَلَ جِساسُ كَلْبِيًّا عَرَضَ بَنُو تَغْلِبِ عَلَى بَنِي بَكْرِ بْنِ وائِلٍ أَنْ يَدْفَعُوا لَهُمْ جِساسًا لِيَقْتُلُوهُ بِصَاحِبِهِمْ أَوْ يَدْفَعُوا لَهُمْ هَمَّامًا لِأَنَّهُ نَدْبٌ لِكَلْبِ (١) وَصُورَةٌ حَمَلِي الدَّابَّةِ وَاضِحَةٌ المَعَالِمِ فِي هَذِهِ المَعَانِي ، لِأَنَّهُمْ لَا يَقْتُلُونَ النَدْبَ إِلا إِذَا وَازَنُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَتِيلِهِمْ . إِلا أَنَّ مَعْظَمَ اللُّغَوِيِّينَ فَرَّقُوا بَيْنَ مَعْنَى العَدْلِ وَالعَدْلُ قال القَرَاءُ :

(العَدْلُ : فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا) قال : ما عَادِلُ الشَّيْءِ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ وَمَعْنَاهُ ، فِدَاءُ شَاتِكَ إِذَا كَانَتْ شاةً ذَلِكُ ، وَالعَدْلُ ، المِثْلُ ، وَذَلِكُ أَنَّ تَقُولَ عِنْدِي عَدْلُ غلامِكَ وَعَدْلُ تَعَدِلُ شاةً أَوْ غلامًا يَعَدِلُ غلامًا . فَإِذَا أَرَدْتَ قِيَمَتَهُ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ نَصَبْتَ العَيْنَ ، فَقُلْتَ عَدْلُ ، وَرَبَّمَا كَسَرَهَا بِغَضِّ العَرَبِ . قال بَعْضُ العَرَبِ ، عَدْلُهُ ، وَكَأَنَّه مِنْهُمْ غَلَطُ ، لِتَقَارُبِ مَعْنَى العَدْلِ . (٢) . وَمِمَّا مَرَّ بِنَا يَبْدُو أَنَّ المَعْنِيَيْنِ مِنْ أَصْلِ واحِدٍ وَهُوَ عَدَلًا الدَّابَّةُ إِلا أَنَّ تَطَوَّرَ مَعْنَى الكَلِمَةِ ، وَدَلَّالَتُهَا جَعَلَ العَدْلُ بِفَتْحِ العَيْنِ تَخْتَصُّ بِمَعْنَى المِثْلِ المَعْنَوِيِّ ، وَالعَدْلُ بِكَسْرِهَا تَخْتَصُّ لِلدَّلالةِ عَلَى

(١) خزانة الأدب ١ : ٣٠٢ ، الكامل لابن الأثير ١ : ٢١٨ سرح

العيون : ٩٧

(٢) لسان العرب ١٣ : ٤٥٩ ، وانظر أيضاً جامع البيان ١ : ٢٦٩ ،

التيبان ١ : ٢١٥

المثل المادي ، ويؤيد وجود الأصل الواحد قول الفراء في رواية بعض العرب العدلُ بكسر العين للدلالة على المثل . وقال الزجاج : (العدلُ والعدلُ واحدٌ في معنى المثل . قال والمعنى واحد ، كأن المثل من الجنس أو من غير الجنس) (١) .

هذه المعاني المتعددة لمعنى العدل نستطيع ان نفهمها في الآيات الكريمة فقولہ تعالی : (واتقوا يوماً لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً ولا يقبلُ منها شفاعَةٌ ، ولا يؤخذ منها عدلٌ ولا هم ينصرون) (٢) . ان كل وسائل الشفاعة ، والتخلص من العقاب ينتهي وجودها يوم القيامة فلا يمكن ان يتخلص الانسان دفع الدية ، والفداء ، ولا يؤخذ مكان المجرم عدلُهُ ولا ندهُ ، لأن (كل نفسٍ بما كَسَبَتْ رهينةٌ) (٣) . وفي كل هذا نجد صوراً من البيئة العربية ، صورة مادية متمثلة في الموازنة الدقيقة بين حملي الدابة ، وتنقلنا هذه الصورة الى العدلِ الدقيق في موازنة اعمال الشخص ، كما تجسد لنا صورة الفداء ، والدية التي اعتادها العربي في بيئته الحربية ، فنفت الآيات الكريمة وجودها ، لأن قضاء يوم القيامة عادل لا تشوبه شائبة من شوائب الظلم في الحياة الدنيا .

٢ - دقة الحساب :

أ - تصويرها بالموازين : إذا استعرضنا الآيات الكريمة التي تصور دقة الحساب يوم القيامة وجدنا فيها جانباً آخر من جوانب البيئة العربية فalcضاء يوم القيامة عادل ، لا يبخس الناس شيئاً تقاس فيه أعمال الخير

(١) لسان العرب ١٣ : ٤٥٩

(٢) سورة البقرة ٢ : ٤٨

(٣) سورة المدثر ٧٤ : ٣٨

والشر ، وبوازن بينهما بدقة بالغة ، وقد صورت هذه الدقة بالموازن والمعايير التي عرفها العرب في بيئتهم ، وحياتهم الاقتصادية ففي سورة المؤمنون تصور الآيات الكريمة دقة الحساب وكيف ان الناس بعد نفخ الصور يحشرون من قبورهم ، ثم توزن أعمالهم ويقارن بين السيء والصالح منها ، فتكون نتيجة الحساب اما الجنة واما النار : (فاذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ، وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ، فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) (١) . وقال تعالى ايضاً (وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ، فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظَاهِمُونَ) (٢) . وهذه الموازنة عادلة لا تبخس أحداً شيئاً قال الله تعالى (وَنُضِعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ، وَكُنِيَ بِنَا حَاسِبِينَ) (٣) ،

واختلف المفسرون في تأويل هذه الآيات الكريمة هل المراد بالميزان وزن أعمال العباد حقاً في ميزان له كفتان ، يُعرف به المؤمن من الكافر والصالح من المجرم ؟ أم انه تصوير مجازي للعدالة والقضاء السوي ؟ . لقد ذهب ابن عباس وفريق من المفسرين المذهب الأول . أما التفسير الثاني فقد روى الطبري عن مجاهد في تفسير قوله تعالى : (فأما

(١) سورة المؤمنون ٢٣ : ١٠١ - ١٠٣

(٢) سورة الاعراف ٧ : ٨ - ٩

(٣) سورة الأنبياء ٢١ : ٤٧

من ٠ نُتَمَّتْ ٠ موازينه) (١) . قال : (ليس ميزان انما هو مثل
يضرب) (٢) . ونقل الطوسي عنه ايضاً : (الوزن عبارة عن العدل في
الآخرة وانه لا ظلم فيها على أحد) (٣) . فجاهد يرى في الميزان مثلاً
ضربه الله سبحانه وتعالى ليصور دقة الحساب بصورة ألفها الانسان
في حياته .

وقد رد القاضي المعتزلي عبد الجبار بن احمد على من اعترض على
تفسير الموازين بالمجازاة والحساب الدقيق قال : (وجوابنا ان المراد بذكر
الموازين العدل في باب المجازاة ، ولذلك قال تعالى بعدها (فـلَا تُنظَّمُ
نَفْسٌ شَيْئاً ، وَاِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكفَى
بنا حاسبين) (٤) . وقال الزمخشري بعد ان نقل التأويل الأول (وقيل
هي عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل فمن ثقلت موازينه جمع ميزان
او موزون ، أي فمن رجحت اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر ، وهي
الحسنات ، او قانون به حسناتهم) (٥) .

فالله سبحانه وتعالى أراد ان يبين للبشر دقة الحساب الذي يحاسبون به
يوم القيامة فصوره بهذا التصوير الرائع الذي لا يبغض احدا حقه ،
وحقيقة الموازنة لا تكون إلا بوضع شيء بكفة ، يقابله بالكفة الأخرى

(١) سورة القارعة ١٠١ : ٦

(٢) جامع البيان ٣٠ : ٢٨٢ ، وكذا فسر ابو عبيدة قوله تعالى في سورة

الحجر ١٥ : ١٩ ، انظر مجاز القرآن ١ : ٣٤٨

(٣) التبيان ٤ : ٣٧٩

(٤) تنزيه القرآن ، ٥٣٥ ، وانظر ايضاً أمالي الشريف المرتضى ١ : ٩

تلخيص البيان : ١٤٢ ، متشابهات القرآن : ١١١

(٥) الكشف ١ : ٥٤٠

شيء آخر ، فيوازن بينهما ، وهي نفس صورة الموازنة الدقيقة التي مرت بنا في صورة عدلي الدابة . ومن هنا قالوا (فلان أوزن بني فلان أي أوجههم) كما قال الخليل (١) . فكأنهم وازنوا بين رجاحة تفكيره وبين تفكير قومه فوجدوه احكم منهم فقالوا هو أوزن منهم .

وإذا كان للكلام قيمة في نفس سامعه قالوا عنه انه يوزن وزناً (٢) وإذا أراد شاعرهم ان يفخر بقبيلته قارن بينها وبين أعدائها بصورة تظهر فيها رجاحة كفة قبيلته . قال الربيع بن زياد العبسي (٣) .

لئن رَحَّاتْ جِمالِي لا إلى سِعة لا مِثْلُها سِعة عَرْضاً ولا طَوْلاً
بِحَيْث لو وُزِنَتْ لَخِمْ بِأَجْمَعِها

ما وازنت ريشة من ريش سمويلا (٤)

وهكذا تطور معنى الموازنة من الأصل المادي الى المعنوي ، فالربيع بن زياد حين أراد أن يبين عظمة قبيلة سمويل كفة ميزان فلم يجد وقوتها تجاه لحم وضعفها صورها لنا بصورة مادية فكأنه وضع نخماً في ما يقابلها الا ريشة من ريش سمويل ! انها صورة متعلقة بالموازنة المادية ، والمعادلة بين اثنين متقابلين متماثلين .

وهناك معنى مادي اخر تطور عن معنى الموازنة الحسية إلا وهو معنى الموازين المستعملة في الكيل والوزن ، وهي وان كانت نتيجة للتطور

(١) عن الخصاص ٢ : ١٦٣

(٢) انظر البيان والتبيين ١ : ١١١ - ١١٢

(٣) هو الربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن ناشب العبسي ، أحد

دهاة العرب وشجعانهم ورؤسائهم في الجاهلية نادم النعمان بن المنذر ثم أفسد

لميد بينهما ، انظر الخبر ٢٩٩ - ٣٠٠ ، الأغاني ١٤ : ٩٢

(٤) شرح القصائد السبع : ٥٠٩

الاقتصادي والمعيشي في المجتمعات ، فاننا نجد فيها صورة مادية قوية الصلة بالموازنة البدائية المطلقة عن التحديد ، وذلك حين يوضع شيئان في كفتين متعادلتين أو في عدلين متقابلين . وقد عرف العرب الموازين ومعاييرها خاصة في البيئة المكية التي نزلت فيها الآيات الخمسة السابقة باعتبارها مركزاً دينياً يحجه سنوياً عدد كبير من العرب ، وبذلك يتيحون للمكيين سوقاً تجارياً للمبادلة والاستهلاك (١) . وقد عثر الباحثون على عدد من ائقال الموازين التي كانت مستعملة في اليمن وعدن وصنعاء (٢) وقد قالوا في اللغة وزنت الشيء وزناً ، والميزان معروف (٣) .

وفي القرآن الكريم آيات تأمر بايفاء الميزان والكيل ، وعدم الخسران في الوزن (٤) : مما يؤكد شيوع استعمال الموازين ومعرفة العرب لها . وهكذا صوّرت الآيات القرآنية الكريمة العدل المطلق يوم القيامة ورسمته بصورة مادية تنقل الى الذهن العربي صوراً عديدة من بيئته . صورة الموازنة والمعادلة بين الأشياء ، وصورة الميزان الدقيق الذي لا يبخس احداً حقه ، فاعمال العباد يوازن بينها موازنة دقيقة فيحاسب الانسان على أعماله ان خيراً او شراً ، فان كانت اعمال الخير اكثر من أعمال الشر ، كان جزاؤه الجنة والثواب ، وان غلبت شروره حسناته لقي العقاب في جهنم ، وُصِّور هذا الحساب الدقيق بكفتي الميزان لانها اذا عودت معاداة دقيقة لم تبخس الوزن شيئاً .

ب - المثقال والذرة ، قال الله تعالى في سورة يونس : (وما تكونُ

(١) محاضرات في تاريخ العرب لصالح العلي : ٩٤

(٢) التاريخ الجغرافي : ٥٠

(٣) الصحاح ٦ : ٢٢١٣ ، وانظر ايضاً المخصص ١٢ : ٢٦٣

(٤) سورة المطففين ٨٣ : ١ - ٣

في شيء ، وما تتلو منه من قرآنٍ ، ولا تعمّلون من عملٍ الا كنا عليكم شهوداً ، اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ، ولا في السماء ، ولا اصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين (١) . وقال الله تعالى ايضاً : (يومئذ يصدّر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) (٢) :

فاعمال الانسان مهما كانت ضئيلة يجدها امامه يوم القيامة ، ويحاسب عليها ان كانت خيراً او شراً ، وقد صورت هذه الدقة بمثقال الذرة . والظاهر ان المثلقال من معايير الاوزان الصغيرة وقد ذكر الجوهري انه (واحد مثاقيل الذهب) (٣) . ومن الصعوبة بمكان ان نحدد مقدار هذا الوزن ، لانه يختلف باختلاف البيئات والازمان (٤) . والمهم في هذا انه اطلق مثلاً في الصغر والضآلة (٥) . ولا يهمنا كون المثلقال من معايير الاوزان التي استعملها البيزنطيون في امبراطوريتهم كما ذهب بعض الباحثين (٦) انما المهم في ذلك ان المثلقال كان معروفاً في بلاد الشام ، وانتشر بين العرب ، وخاصة في البيشة المكيّة على اعتبارها مركزاً دينياً ، وممراً للقوافل التجارية (٧) . مما يعطينا صورة لشيوع استعمال المعايير عندهم

(١) سورة يونس ١٠ : ٦١

(٢) سورة الزلزلة ٩٩ : ٦ - ٨

(٣) الصحاح ٤ : ١٦٤٧

(٤) انظر اغائة الامة : ٤٩

(٥) الصحاح ٤ : ١٦٤٧ ، وانظر ايضاً ديوان الشماخ : ١١٥

(6) Ency . Of Islam . II . P . I023

(٧) انظر محاضرات في تاريخ العرب : ٩٤ وقد ذكر المثلقال في الشعر مثلاً

في الموازنة ، انظر البيان والتبيين ٣ : ٣٧٤ ، مجالس ثعلب ١ : ٤٢٣

ثم فهمهم للآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر الموازين والمعايير :
وقد فسر المفسرون مثقال الذرة بأنه زنة ذرة ، واقتران المثقال
بالذرة يعطينا صورة أوضح للدقة المقصود ببيانها في الآيات الكريمة ، لأن
الذرة هي النملة كما قال المفسرون (١) . وكذا قال اللغويون (٢) :
وخصوصها باصغر النمل .

وهناك من فسر الذرة بان (كل جزء من أجزاء الهباء في الكوة
ذرة ، وفيه دليل على انه لو نقص من الاجر ادنى شيء واصغره ، أو
زاده في العقاب لكان ظلماً ، وانه لا يفعله لاستحالاته في الحكمة) كما
قال الزمخشري (٣) . وكذا ورد المعنى في كتب اللغة (٤) :

واقتران المثقال بالذرة يعطينا صورة للدقة والعدالة التامة التي لا تترك
للمرء حسنة قام بها في حياته الدنيا دون مجازاة ، ولا سيئة إلا ويحاسب
عليها ، وقد قيل لعائشة رضي الله عنها وقد تصدقت بحبة عنب ،
أتصدقين بحبة عنب ؟ قالت : ان فيها لمثاقيل ذر (٥) . ويصوّر لنا هذا
القول دلالة كلمة الذرة في الذهن الغربي ، وكيف ان حبة العنب الصغيرة
فيها مثاقيل عديدة من الذر . وفي حديث الجاحظ عند ذكر قوله تعالى
(فَتَنَّا يَعْْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْْمَلْ مِثْقَالَ

(١) تنوير المقياس : ١٣٥ ، تفسير الخمسمائة آية : الورقة (٩٣) ، مجاز

القرآن ١ : ٢٧٨ ، جامع البيان ١١ : ١٣ ، التبيان ٥ : ٤٦٠

(٢) مجالس ثعلب ٢ : ٤٧٥ ، جمهرة اللغة ١ : ٧٨ ، الصحاح ٢ : ٦٦٣

مقاييس اللغة ٤ : ٣٤٣ ، اساس البلاغة : ٢٩٦ ، لسان العرب ٥ : ٣٩١

(٣) الكشاف ١ : ٣٩٧

(٤) مقاييس اللغة ٢ : ٣٤٣ ، لسان العرب ٥ : ٣٩٠

(٥) الحيوان ٤ : ٣٢ ، ثمار القلوب ٣٤٩

ذَرَّةٌ تَسْرَأُ بِرَبِّهِ (١) . قال : (فكان ذلك دليلاً على انه من الغايات في الصغر ، والقلة ، وفي خفة الوزن وقلة الرجحان) (٢) : وقال ثعلب ان مائة منها وزن حبة من شجير فكانها جزء من مائة (٣) .
ومن هنا نتبين لنا صورة الذرة ، وانها اطلقت على صغار الأشياء من النمل والتراب الدقيق الناعم ، ولا يوجد بين أيدينا من مصادر ما يشير إلى استعمال العرب ذرات التراب او النمل اساساً مادياً للموازنة بين الأشياء ، ومعادلتها ، إلا انه يمكن القول بأنهم ربما استعملوها في الموازنة بين الأشياء الدقيقة جداً ، لانهم ضربوا مثقال الذرة مثلاً في القلة والحفة (٤) .

ومما يدلنا على ان مثقال الذرة في الآيات الكريمة ضرب مثلاً للدقة التامة في حساب يوم القيامة هو ورود آيات كريمة أخرى في غير مجال يوم القيامة . ضرب فيها مثقال الذرة مثلاً للدقة والضآلة ، فالآلهة التي يدعوها المشركون لا تملك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض (٥) ، وهذه الدقة نفسها صورت بتعبير آخر اقترن بالمثلث أيضاً . قال الله سبحانه وتعالى : (وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ . فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ) (٦) . فلم تكتف الآيات الكريمة بذكر الموازين العادلة

(١) سورة الزلزلة ٩٩ : ٨

(٢) الحيوان ٤ : ٣٨

(٣) ثمار القلوب : ٣٤٩

(٤) ن : م

(٥) سورة مباء ٣٤ : ٣

(٦) سورة الأنبياء ٢١ : ٤٧

التي توزن بها أعمال العباد ، انما ضربت حبة الخردل مثلاً لدقة القضاء وعدالته : وحبة الخردل معروفة كما يقول الجوهري (١) . ومن كلمة الخردل جاء استعمال مادي آخر وهو قولهم خَرَدَلْتُ اللحمَ اذا قَطَعْتَهُ قَطْعاً (٢) . وقال ابن فارس مفسراً العلاقة بين التعبيرين (خَرَدَلْتُ اللحمَ : قَطَعْتُهُ وقَمَرْتُهُ ، والذي عندي في هذا انه مشبه بالحب الذي يسمى الخردل) (٣) .

ومن الواضح ان هذا التطور الجديد لمعنى الكامة جاءها نتيجة لصغر حبة الخردل ومن هنا ضربت مثلاً في الصغر والضآلة كما هو الحال مع الذرة (٤) :

ومع ان المصادر العربية لا تشير الى استعمال حبة الخردل في الوزن - كما هو الحال مع الذرة - فن المحتمل ان يكون العرب قد استعملوها عياراً صغيراً للموازنة بين الأشياء الدقيقة ، وضربت الآيات الكريمة حبة الخردل مثلاً لدقة الحساب والموازنة بين اعمال البشر .

ومن هنا تتضح لنا الصورة المتعددة الجوانب التي تعكسها لنا الآيات الكريمة في تصوير الحساب الدقيق ليوم القيامة ، وذلك انه حساب عادل لا يقبل للكافرين وساطة احد ، ولا تقبل منهم فدية ، ولا عدل ، لان

(١) الصحاح ٤ : ١٦٨٤

(٢) جمهرة اللغة ٣ : ٣٣٠ ، وانظر ايضاً الصحاح ٤ : ١٦٨٤ ، لسان

العرب ١٣ : ٢١٥

(٣) مقاييس اللغة ٢ : ٢٤٩ ، وانظر ايضاً :

Arabic English Lexicon . Book 1 . Part 2 . P . 721

(٤) الوحشيات : ٢١٦ ، الحماسة البصرية الورقة ٢٦٨ (أ) الأشباه

والنظائر : ٣٦

كل انسان محاسب على ما قدم وأخسّرَ في حياته ، ويوازن بين أعماله موازنة دقيقة عادلة ، يضاف الى ذلك جوارح الانسان كشهود (١) عدل تشهد على ما اقترفه في الحياة الدنيا ، فلا تظلم نفس شيئاً ، ولا يضيع عمل احد أبدا .

٣ - نتيجة القضاء :

بعد ان توازن اعمال الناس ، وتقاس حسناتهم وسيئاتهم تظهر نتيجة القضاء العادل ، ومعرفة الانسان لقضاء الله فيه صور بتعبير قرآني رائع له دلالاته علي البيئة العربية ، والتفكير العربي ، الى جانب تعبيره عن الغرض الأصلي المراد منه بيان العدالة المطلقة لحساب يوم القيامة .

فالمؤمن يستلم نتيجة القضاء بكتاب يأخذه بيده اليمنى ، أما الكافر فانه يستلم كتابه بيده اليسرى قال الله تعالى : (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ اُنَاسٍ بِاِمَامِهِمْ ، فَمَنْ اُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَاولئك يقرأونَ كِتَابَهُمْ ، ولا يُظالمونَ فتيلاً) (٢) : وعند استلام الانسان كتابه بيمينه تأخذه الفرحه فلا يستطيع كتمانها فينادي الناس حوله ان تعالوا شاركوني فرحتي واقروا نتيجة قضاء ربي . . . : اما الكافر فلا حاجة له بقراءة كتابه لان نتيجة معرفته ما دام قد استلمها بيده اليسرى . وفي سورة الحاقة نقرأ مشاهد عديدة ليوم القيامة حيث يحاسب الناس بعد النفير فمن استلم كتابه بيمينه يجد النعيم والثواب ، ومن استلمه بشماله يجد العقاب والعذاب : (فاذا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَّاحِدَةٌ ، وَحُمِلَتِ الْاَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَّاحِدَةً ، فيومئذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ، وانشقت السماءُ

(١) انظر سورة فُصِّلَتْ ٤١ : ٢٢

(٢) سورة الاسراء ١٧ : ٧١

فهي يومئذ واهية ، والمَلَكُ على ارجائها ويحملُ عرشَ رَبِّكَ فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ، فأما من أوتيَ كتابَهُ بيمينه فيقولُ : هاؤُمُ اقراؤا كتابيه ، اني ظَنَنْتُ اني مُلاقٍ حسابيه فهو في عيشة راضية ، في جنةٍ عاليةٍ وأما من أوتيَ كتابَهُ بشماله فيقولُ يا ليتني لم اوتَ كتابيه ، ولم ادِرْ ما حسابيه ، ياليتها كانت القاضية خنوه فغاوة ، ثم الجحيمَ صلوه ، ثم في سلسلةٍ ذرْعُها سبعونَ ذراعاً فاسلكوه (١) .

وبهذا التغيير نفسه اطلق اسم اهل اليمين على المؤمنين الذين فازوا برضى الله وثوابه . اما الكافرون فقد اطلق عليهم اهل الشمال قال الله تعالى : (واصحابُ اليمينِ ، ما اصحابُ اليمينِ ؟ في سِندٍ مخضودٍ ، وطلعٍ مَنضودٍ ، وظلٍ ممدودٍ واصحابُ الشمالِ ، ما اصحابُ الشمالِ ؟ في سَمومٍ وحَمِيمٍ ، وظلٍ من يَحْمومٍ ، لا باردٍ ولا كريمٍ) (٢) . وقد علل بعض المفسرين سبب تسمية المؤمنين باصحاب اليمين ، وتسمية الكافرين باصحاب الشمال فقال بعضهم لان الطائفة الاولى تستلم كتابها بيمينها ، والثانية بشمالها (٣) او انهم يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة ، والذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار (٤) . او يعني به اصحاب اليمن والبركة والثواب من الله تعالى واصحاب المشأمة معناه الشر والنكد وعقاب الابد (٥) .

(١) سورة الحاقة ٦٩ : ١٣ - ٣٢ .

(٢) سورة الواقعة ٥٦ : ٢٧ - ٤٤ ، وانظر ايضا سورة المدثر ٧٤ : ٣٩ .

(٣) تنوير المقياس : ٣٣٨ ، تفسير التستري : ٩٧ .

(٤) جامع البيان ٢٧ : ١٧٠ ، التبيان ٩ : ٤٨٩ .

(٥) التبيان ٩ : ٤٨٩ .

وللمرء ان يتساءل : لماذا اصبحت اليمين دليل الخير ، والسعادة ،
والشمال دليل الشر والعقاب المنتظر ؟ حتى اذا تسلم الانسان كتابه عرف
نتيجة قضاء الله فيه من اليد التي يستلم بها كتابه .

لقد ذكر الزمخشري توجيهها ادبيا لهذه التسمية فقال مضيفا الى ما سبق
ذكره من تحليل تسمية اهل اليمين واهل الشمال بقوله : (واصحاب المشأمة
الذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب المنزلة السنية ، واصحاب المنزلة الدنية ،
من قولك : فلان مني باليمين ، وفلان مني بالشمال ، اذا وصفتهما بالرفعة
والضعة ، وذلك لتيمينهم باليمين ، وتشاؤمهم بالشمال ، ولتفاؤلهم بالساح
وتطيرهم من البارح ، ولذلك اشتقوا اليمن من اليمين ، وسموا الشمال
الشؤمى : وقيل اصحاب الميمنة ، واصحاب المشأمة ، اصحاب اليمن والشؤم ،
لان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائم عليها بمعصيتهم) (١)
ومن هذا التعليل الاخير الذي يرى ان اهل اليمين سموا بذلك ، لانهم
ميامين على انفسهم ، وبالعكس اهل الشمال ، من هذا التعليل نعود الى
الفكرة الاولى في اطلاق اليمين على الخير ، والشمال على الشؤم ، ذلك اننا
اذا عدنا الى البيئة العربية وجدنا فيها صدى الايات الكريمة واضحا في تفكير
العربي ومثله . فالتشاؤم والتفاؤل لعبا دورا مهما في تفكير العربي ، وتوجيه
تصرفاته ، واعماله ، ولنبدا باليمين والشمال لانها موطن بحشنا .

واول ما يتبادر الى الذهن هو فكرة الزجر (٢) ، ذلك انهم كانوا

(١) الكشاف ٣ : ١٩٣ ، وانظر ايضا تفسير التستري : ١٢١ .

(٢) انظر حول فكرة الزجر الحيوان ٣ : ٤٣٨ فما بعدها ، الزينة : الورقة

٢٥٢ (أ) ، زهر الاداب ٢ : ٤٩٠ فما بعدها ، وقد ذكر ابن النديم الكتب المؤلفة

في الفأل والزجر وما اشبه ذلك . انظر الفهرس ٤٥ ، وانظر ايضا تاريخ العرب

لجواد علي ٥ : ٣٢٨ .

يصيحون على الطائر او الظبي اذا مر بهم ، فان انحرف الى جهة اليمين نفاءلوا به وهو السائح ، وان انحرف الى جهة اليسار تشاءموا منه وهو البارح (١) ، وقد ذكر بعضهم (٢) اختلاف القبائل العربية في التفاؤل ، والتشاؤم من البارح ، والسائح ، وليس لهذا الاختلاف اهمية كبيرة فيما نحن بصدده ، فالقرآن الكريم نزل بلغة قريش ، وتعايرها ، واكثر ما وردنا من الشعر يمثل لنا الوجهة الاولى في التفكير العربي : وهى التفاؤل من السائح ، والتشاؤم من البارح . قال زهير بن ابي سلمى :

فَلَمَّا أَنْ تَحَمَّلَ أَهْلُ لَيْلَى جَرَّتْ بَيْتِي وَبَدَنَهُمُ الظِّبَاءُ
جَرَّتْ سُنْحًا فَقَلْتُ لَهَا أَجِزِي نَوَى مَشْمُولَةً فَتَى اللِّقَاءُ (٣)

وهناك تعليل لطيف أشار اليه المبرد لفكرة التفاؤل من الطائر إذا مر الى جهة اليمين ، والتشاؤم منه إذا مر الى جهة اليسار قال : (والعرب تزجر على السائح وتبرك به ، وتكره البارح ، وتشاءم به .) (والسائح ما أراك مياسره فأمكن صائده ، والبارح ما أراك ميامنه فلم يمكن الصائد إلا أن ينحرف له) (٤) . وذكر ابن الأثير هذا التعليل مفصلاً فيه : (والسائح ما مرّ من الطير والوحش بين يديك من جهة يسارك الى يمينك والعرب تيمن منه لأنه أمكن للرمي ، والصيد . والبارح ما مرّ من يمينك الى يسارك والعرب

(١) جمهرة اللغة ١ : ٢١٦ ، الصحاح ٢ : ٦٦٨ ، مقاييس اللغة ١ : ٢٣٩ ،

اساس البلاغة : ٣٩٤ .

(٢) جمهرة اللغة ١ : ٢١٦ ، المعاني الكبير ١ : ٢٧٣ ، وانظر ايضا :

Ency . Of Religion : Vol . 4 . P . 816 .

(٣) شرح ديوان زهير : ٥٩ ، وانظر أيضاً شرح ديوان لبيد : ١٤٤

ديوان عنتره : ٤١ ، ديوان جران العود : ٣ ، ٥٣ ، ديوان الحماسة : ١٧٩ .

(٤) الكامل للمبرد ١ : ٢٧٦ .

تتطير به ، لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تنحرف (١) .

ويتبين لنا من هذا التعليل اللطيف مدى تأثير البيئة على تفكير الانسان وسلوكه سبل الحياة . فالبيئة العربية شحيحة بالمواد الغذائية ، مفتقرة الى ما يقوم حياة البدوي فهمه ان يجوب القياي يتابع ظبياً ، أو يخاتل طائراً ليحصل على رزق يومه فاذا تمكن من صيده فتلك فرحته وغنيمته يرجع الى أهله مسروراً ، وإن لم يتمكن من صيده رجع خائباً ومن هنا جاءت فكرة تفاؤله ، وتشاؤمه ، لأن مرور الطائر الى يمين الصائد مغناه التمكن من صيده ، وبالعكس ان ابتعد الى جهة اليسار ، فانه بذلك يتعد عن سلاح الصيد الذي يُحمل عادة باليد اليمنى ، فيفلت الطائر من صائده .

هذه هي الفكرة الأساسية للتفاؤل من السائح ، والتشاؤم من البارح أو بالأحرى فكرة اليمين والشمال . وقد ظلت هذه الفكرة عالقة في ذهن العربي حتى في الحالات التي لا يروم فيها الصيد ، وأصبح يستدل من حركات الحيوانات على ما يستقبله من خير أو شر ، كما كانت حاله من قبل مع صيده إذا مرّ الى اليمين ، أو الشمال (٢) .

ويتبين مما مرّ بنا أن يدي الانسان هما الأساسان الأصليان في ظهور فكرة التفاؤل ، والتشاؤم . وكون اليد اليمنى هي القوية التي تعين الانسان على صيده هو الذي أوحى لهم بالتفاؤل من الطائر ، أو الظبي إذا مرّ

(١) النهاية في غريب الحديث ١ ، ٨٥ .

(٢) انظر شرح ديوان كعب بن زهير : ٢٤٠ ، شرح اشعار الهذليين

٤٢ : ١ . المعاني الكبير ١ : ٥٦١ . جمهرة أشعار العرب : ٤٣ . وانظر أيضاً
الخصص ٦ : ١٩٥ ،

Ency - of Religion : vol . 4 . p . 816 - 817 .

سائحاً ، ومن هنا ايضاً جاء اطلاقهم اسم الشؤمى على اليد اليسرى (١) .
 وقد ورد ذكر اليمين في القرآن الكريم دالة على القوة ، وذلك في
 قصة النبي موسى (ع) (فتولوا عنه مُدْبِرِينَ ، فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِتِهِمْ .
 فقال : أَلَا تَأْكُلُونَ ؟ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ) (٢)
 فقد اقترن الضرب في الآية الأخيرة باليمين ، لأن فيها القوة وشدة البطش
 فأخبرنا في الآية عن شدة ضربه لها ، وانما ذكر اليمين لأن قوة كل شيء في
 يمينه (٣) . وقال تعالى ايضاً : « وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقْوَالِ ،
 لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ » (٤) .
 ومن ثم اقترنت دلالة اليمين في الذهن العربي على الخير ، والبركة ،
 لأنها مركز القوة ، والسيطرة اللتان تشكلان عماد حياة العربي في بيئته
 المتخاضمة ، المتطاحنة ، فاذا أرادوا بيان مكانة الرجل عندهم قالوا : انه
 بمنزلة اليمين ، وبالعكسها إذا أرادوا تحقيره قالوا هو بمنزلة الشمال ، قال ابن
 الدمينة (٥) :

(١) المخصص ٢ : ٣ .

(٢) سورة الصافات ٣٧ : ٩٠ - ٩٣ .

(٣) مجالس ثعلب ٢ : ٤٦٩ . وانظر أيضاً اسرار البلاغة : ٤٠٢ ،

الخصائص ٣ : ٢٤٩ ، تلخيص البيان : ٢٨٧ ، الكشاف ٣ : ٣٩ .

متشابهات القرآن ١ : ٨٠ . وانظر الشعر في ديوان الشماخ : ٩٧ .

(٤) سورة الحاقة ٦٩ : ٤٤ - ٤٦ .

(٥) هو عبد الله بن عبيد الله بن أحمد من خشعم ، والدمينة أمه ، شاعر

بدوي كان رقيق الشعر ، وهو من شعراء العصر الأموي ، اغتاله مصعب بن عمر

السلولي ، وهو عائد من الحج نحو سنة ١٣٠ هـ . انظر معجم الشعراء : ٤٠٢

والأغاني ١٥ : ١٤٤ .

أبني أفي يُعني 'يَدِيكَ جَعَلْتَنِي فَأفرح أم صَيْرْتَنِي فِي شمَالِكَ (١)

أي هل أنا من المقدمين عندك أم من المؤخرين ؟

ومن مجموع هذه الدلالات اشتقوا من اليمين اليُسْن للدلالة على البركة والخير ، فاذا امتدحوا شخصاً قالوا عنه انه ميمون (٢) ومن هنا نرى أن التعبير القرآني المعجز يعطي من الصور والايحاءات ما تعجز عن التعبير عنه صفحات طوية .

(فَأَمَّا من أوتِي كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فيقول : هاؤُم اقرأوا كتابيه ، اني ظَنَنْتُ لِنَبِي مَلَأق حِسَابِيهِ ، فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ... وَأَمَّا من أوتِي كِتَابَهُ بِشِمَالِيهِ ، فيقول : يَا لَيْتَنِي لم أوتَ كِتَابِيهِ ، ولم أدرَ ما حِسَابِيهِ ، يَا لَيْتَهَا كَانتُ الْقَاضِيَةَ ... خِذُوهُ فَعَلُّوهُ ، ثم الجحيم صَالُوهُ ، ثم فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ) (٤) . فالآيات الكريمة لم تفصل في كيفية معرفة الناس نتيجة قضاء الله فيهم ، وإنما عرضت في تعبير جامع لكل الصور والايحاءات التي يتصورها الذهن العربي لليُسْن ، والبركة والشؤم ، والشر . فاذا أردنا المعنى العام المقصود من الآيات الكريمة فهمنا أنه سبحانه وتعالى بعد أن يقضي بين الناس قضاء عادلا ينقسم الناس الى قسمين نتيجة أعمالهم فاذا كانت حسنة رضي الله عنهم وأثابهم وإن كانت سيئاتهم كثيرة يئسوا ، لما ينتظرهم من العقاب ، والعذاب . هذا المعنى نجده في الآيات الكريمة محلّي باطار من الصور ، والايحاءات

(١) ديوان ابن الدميّة : ١٧ .

(٢) وقد وردت هذه الفسكرة في بعض الأساطير العربية انظر تاريخ

العرب للأصمعي : ١٤ ،

(٣) جوهرة اللغة ٣ ، ١٨١ ، لسان العرب ١٧ : ٣٥ .

(٤) سورة الحاقة ٦٩ : ١٩ - ٢٢ ، ٢٤ - ٣٢ .

العائقة في الذهن العربي في التيمن من اليد اليمنى والتشاؤم من اليسرى ،
واطلاق اليمين على البركة والشمال على الشر والشؤم .
ومن هنا نستطيع أن نجمع كل المعاني التي ذكرها المفسرون في
تسمية أصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال . فأصحاب اليمين هم المفضلون ،
لأنهم يثابون لأعمالهم الحسنة في الحياة الدنيا وهم أيضاً ذوو المنزلة الحسنة
والمكانة المرموقة عند ربهم بعكس أهل الشمال .
هكذا تعرض الآيات الكريمة نتيجة القضاء بين الناس ، وإن المؤمنين
- أصحاب اليمين - يلقون النعيم والثواب ، على حين يلقي الكافرون - أصحاب
الشمال - العقاب والعذاب .

الفصل الخامس

العقاب

- ١ - عذاب النار
- ٢ - تسميتها
 - أ - جهنم
 - ب - الهاوية
 - ج - الجحيم
 - د - السعير
- ٣ - لهيب النار
- ٤ - شررها
- ٥ - شراب اهل النار
 - أ - الحميم
 - ب - الصيد
 - ج - المهل
- ٦ - طعامهم
 - أ - الضريع
 - ب - الزقوم
- ٧ - صنوف اخرى من العذاب
 - أ - السلاسل والاغلال
 - ب - طلاء القطران

عذاب للنار :

بعد ان يحاسب الناس حسابا دقيقا ، ويقضى بينهم ينقسمون الى فريقين : فريق المجرمين حيث العقاب والنار ، وفريق المؤمنين حيث الجنة والثواب . وفي المقابلة بين الصورتين يتجلى الاعجاز القرآني في تصوير البون الشاسع بين عقاب المجرمين ، ونعيم المؤمنين ، وكلتا الصورتين تشير في النفس احساسا وصورا شتى تتراءى فيها ملامح البيئة العربية واضحة كل الوضوح ، كما نجد فيها صوراً انسانية زاخرة بالحياة . يقرأها المرء فيفزع من صور العذاب ، ثم يعود ليطمئن ، ويرتاح عند قراءته لآيات النعيم . قال الخطابي ذاكرا بلاغة القرآن وتأثيره السحري في النفوس (فانك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ، ولا مثنورا ، اذا قرع السمع خلص الى القلب في اللذة ، والحلاوة في حال ، ومن الروعة ، والمهابة في اخرى ما يخلص منه اليه ، تستبشر له النفوس ، وتشرح له الصدور ، حتى اذا اخذت حظها منه ، عادت مرتاحة ، قد عراها الوجيب ، والقلق وتغشاها الخوف والفرق ، تقشعر منه الجلود ، وتزعج له القلوب ..) (١) . قال الله تعالى : (فاما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاتوا اقروا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابه ، فهو في عيشة راضية ، في جنة عالية ، قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية واما من أوتي كتابه بشماله فيقول : ياليتني لم أوت كتابيه ، ولم أدر ما حسابه ، ياليتها كانت القاضية ، ما أغنى عني ماليه ، هالك عني سلطانيه ، فخذوه فغاثوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعتها سبعون

(١) رسالة في بيان اعجاز القرآن ٦٤ .

ذراعاً فاسلكوه ، إنّه كانَ لا يُؤمِنُ باللهِ العظيمِ . . . (١) . انه الاعجاز
القرآني الرائع الذي ينقل النفس في لحظات متعددة من الهدوء الشامل ،
والنعيم الرائع ، تناسب فيه ، وتأمله باعجاب ، الى الخوف الرهيب والعذاب
الموجع ترتاع منه ، وتتصدع خوفاً وهلعاً قصور النار ، وعذابها الرهيب
قد اذهلت المسلمين من عرب واعاجم ، كما اذهلت غير المسلمين ، فراحوا
يبحثون عن تعليل يعللون به الرهبة العظيمة التي تثيرها التعابير القرآنية في
وصف نار جهنم ولظاها .

لقد علل المتكلمون ترهيب زرادشت لأصحابه ، وتوعده لهم بعقاب
الثلج دون النار بان زرادشت كان من اهل بلخ ، وهي منطقة لم يعرف
سكانها (الا الاذى بالبرد ولا يضربون المثل الاّ به ، حتى يقول الرجل
لعبده : لئن عدت الى هذا لانزعنّ عنك ثيابك ، ولاقيمتك في الريح ،
ولاوقفنك في الثلج ، فلما رأى موقع البرد منهم هذا الموقع ، جعل
الوعيد بتضاعفه ، وظن ان ذلك ازجر لهم عما يكره) (٢) .

وهذا التعليل صادر عن فكر عميق عارف باثر البيئة ، واهميتها ،
بالنسبة لتفكير السكان ، وطبيعي ان يناقش الجوس وغيرهم عذاب نار
الآخرة في القرآن الكريم من هذه الوجهة ايضاً ، فقال بعضهم : (فلعل
ايضاً صاحبكم انما توعده اصحابه ، لان بلادهم ليست ببلاد ثلج ، ولا دمع
وانما هي ناحية الحرور ، والوهج ، والسموم ، لان ذلك المكروه ازجر
لهم) (٣) . وقد رد الجاحظ على هذا الادعاء بان العرب لم يعرفوا السموم

(١) سورة الحاقة ٦٩ : ١٩ - ٣٤ .

(٢) الحيوان ٥ : ٦٧ .

(٣) ن . م ٥ : ٦٩ والدمق : الثلج مع الريح يغشى الانسان من كل أوب

حتى يكاد يقتل من يصيبه .

والوهج القاتل فحسب ، انما عرفوا التطرف المناخي في بيئتهم من حر ،
وبرد . قال : (فقلت له : ان اكثر بلاد العرب موصوفة بشدة الحر
في الصيف ، وشدة البرد في الشتاء ، لانها بلاد صحور ، وجبال .
والصخر يقبل الحر والبرد ، ولذلك سمى الفرس بالفارسية العرب والاعراب
« كهيان » والكه بالفارسية هو الجبل ، فتي احببت ان تعرف مقدار برد
بلادهم في الشتاء ، وحرها في الصيف ، فانظر في اشعارهم ، وكيف
قسموا ذلك ، وكيف وصفوه ، لتعرف ان الحالتين سواء عندهم في
الشدّة . . .) (١)

ورد الجاحظ هنا مفحم للزرادشتية ، ومن يذهب مذهبهم ، لان
النار التي يصفها الله سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم لم يصفها عقابا للعرب
فحسب وانما هي عقاب وترهيب للبشرية جمعاء ، يرهب منها الناس الذين
عانوا لظي الحر الشديد ، كما يرهب منها من لم يعان الحر ، لانه عرفها
من الوجهة الثانية حين اتخذ النار وسيلة للتدفئة وقت البرد .

ونجد مصداق قول الجاحظ في تأمل مناخ البيئة العربية المتطرف ،
ذلك لان العرب عرفوا التطرف المناخي في بيئتهم ، وساعدتهم هذه المعرفة
على تصور الصور الرهيبة لعذاب الاخرة لانهم عانوا بعض جوانبها ايام
الجر والسموم ، كما ساعدتهم ايام البرد الشديد على معرفة النعيم الرائع الذي
وعد به المتقون في جنة معتدلة الهواء ، وارفة الظلال :

فقد وصفت معظم اقاليم الجزيرة العربية بشدة الحر ، والسموم
المؤذية (٢) . وفي الاحاديث النبوية الشريفة ما يعكس شدة الحر التي
كان المسلمون يعانونها في بعض المواسم حتى امر الرسول (ص) بتأخير

(١) الحيوان ٥ : ٦٧

(٢) احسن التقاسيم : ٩٥ ، آثار البلاد : ٨٦ .

صلاة الظهر الى ان تمر الهاجرة لانها كما يقول : (شدة الحر من فيح جهنم) (١) .

اما شدة الحر في مكة فيعكسه حديث نبوي اخر وهو قوله (ص) (من صبر على حر مكة تباعدت منه جهنم مائة عام ، وتقربت منه الجنة مائتي عام) (٢) ، وعدم تحديد النبي (ص) لمدة الصبر يزيد في تصوير شدة الحر ولظاه في مكة .
وكذلك صفة المدينة وحرها التي يكون فيها النبي (ص) شفيعا لمن يصبر على لأواءها (٣) .

اما في الشعر العربي فاننا نجد فيه صور الحر يعرضها الشعراء بدقة وتفصيل لا نجدهما في المعاجم الجغرافية . فقد وصفوا سيرهم وقت الهاجرة ، وكيف ان شدة الحر تجاوز أذاهم الى اذى حيواناتهم . فالناقة يصيبها الهزال (٤) . وتحتفر الطباء والثيران كُنُسا تنقي فيها لفتح الهاجرة (٥) وفصلوا في وصف صورة الحيوانات حين تنزى من اذى الرمضاء كالضباب (٦)

(١) الموطأ : ١٦ ، سنن ابي داود : ٩٦ ، الجامع الصحيح ١ : ٢٩٥

(٢) مختصر البلدان ١٧ ، معجم البلدان ٤ : ٦١٩ .

(٣) مسند الامام احمد ٢ : ١١٣ ، ١١٩ ، ٢٨٨ ، ٣٤٣ ، ٣٩٧ ، وانظر

ايضا اثار البلاد : ١٠٨ ، وفاء الوفا ١ : ٤ فما بعدها .

(٤) انظر ديوان الشماخ : ١٣ .

(٥) ديوان طرفة : ٣٨ ، ديوان سحيم : ١٥ ، ديوان الشماخ : ١٢ ، المفصليات

١٣٣ ، شرح القصائد : ١٦٢ .

(٦) انظر الحيوان ٦ ، ١٣٦ .

والجنادب (١) ، والحرباء (٢) ، بل نرى بعضهم يبالغ في وصف لهيب
الحر فيقول عنه انه يكاد يشوى اللحم (٣) او ان ملابسهم تكاد تشتعل
لشدة لفح الهاجرة (٤) .

ووصفوا ايام الحر باوصاف كثيرة واسماء عديدة (٥) . على ان
شدة الحر هذه لا تؤيد قول من اعترض بان عذاب الآخرة كان بواسطة
النار لان العرب اهل سموم ، وحر شديد ، ذلك لانهم مع معاناتهم الحر
الشديد ، فقد عانوا البرد القارص في بيئتهم ايضا (٦) ، وذكروه في
اشعارهم - وان لم يبالغ مبالغ الحر في اذاه وشدته - وقد فسر بعض
المفسرين الغساق الذي يسقاه اهل النار (٧) ، بانه السائل الذي لا يستطيعون
ذوقه لشدة برده (٨) مما يدلنا على انهم عرفوا اذى البرد كما عرفوا اذى
الحر ، وانهم فهموا ان البرد يمكن ان يكون وسيلة من وسائل التعذيب .
ومعرفتهم للحر والبرد هو الذي ساعدهم على تصور عذاب القيامة ، وتخيل
نعم الجنة .

(١) انظر ديوان كعب بن زهير: ١٦ ، المفضليات: ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، الملاهي

واسماؤها الورقة ٣٢ .

(٢) انظر ديوان امرئ القيس: ٣٠٤ ، ديوان كعب بن زهير، ١٤ ، ٢٥٢ ،

ديوان شعر ذى الرمة : ٤٧ ، اراجيز العرب : ١٠ ، الحيوان ٦ : ٣٦٦ .

(٣) المفضليات : ١٩٩ شرح ديوان الحماسة ٤ : ١٨٠٣ .

(٤) ديوان القظامي: ٢٦ ، ٢٧ ، اراجيز العرب : ١٢١ .

(٥) العين : ١٥ ، الازمنة لقطرب : ٤٠ .

(٦) انظر الفصل السادس : الثواب بالجنة - ٢ - اعتدال جوها .

(٧) سورة ص ٣٨ ، ٥٧ ، النبأ ٧٨ : ٢٥ .

(٨) جامع البيان ٣٠ : ١٣ - ١٤ ، الكشاف ١٨٤٣ .

ومما مر بنا تتبين لنا شدة الحرارة التي كان العرب يعانونها في بيئتهم وانها تجاوزت اذا هم الى اذى حيوانهم ، ودوابهم ومن هنا نستطيع ان نتصور اي احاء رهيب ترسمه الآيات الكريمة في وصف هول النار ، وعذاب لهيبتها قال الله تعالى واصفا لظى النار المحرق : (يُبْصِرُونَهُمْ يَوْدُ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمئذٍ بِبَنِيهِ ، وصاحبتهِ وأخيه ، وفصيلتهِ التي تُؤويه ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ، كَلَّا إِنَّهَا لَلْظَى ، نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى ، تَدْعُو مِنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى) (١) . انها صورة تعيد الى الذاكرة اذى الحر ولفح الهاجرة حتى اذا تجسدت هذه الصورة جاءت الآيات القرآنية الكريمة لتزيد احاء الرهبة ، والهلع بان حر النار وعقابها لا يقارن بصورة من صور الحياة الدنيا ، ولا تدركه عقول البشر مهما تخيلته ، (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ، وما أدراك ما سَقَرَ ، لا تُبْقِي ، ولا تَدْرُ كَوَاحٍ) (للبَشْرِ) (٢) . وقال تعالى ايضا : (كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ، وما أدراك ما الْحُطَمَةُ ، نارُ اللَّهِ الموقدةُ ، التي تَطَّلَعُ على الْأَفئدةِ) (٣) انه استبعاد للذهن من ان يتصور نار الآخرة كما يصفها الله سبحانه وتعالى ولكنه يستطيع ان يتصور بعض ملامحها فيما عاناه في حياته الدنيا من الاذى والعذاب ، ومما ترسمه الآيات القرآنية الكريمة من صور العذاب في البيئته العربية .

(١) سورة المعارج ٧٠ : ١١ - ١٧ .

(٢) سورة المدثر ٧٤ : ٢٦ - ٢٨ .

(٣) سورة الهزرة ١٠٤ : ٤ - ٧ .

٢ - تسميتها :

ورد تعبير النار في احدى وعشرين ومائة آية في القرآن الكريم (١) على أنها دار العذاب التي يحل بها المجرمون يوم القيامة ، ويعذبون بلهيبها . ولذاها المحرق . وقد سميت بعدة أسماء تجتمع كلها لترسم صورة العذاب ، الرهيبة . فقد أطلق عليها اسم جهنم ، والجحيم ، وهي نار الحريق (٢) ، واللظى (٣) وهي السعير وستقر .

أ - جهنم :

أما جهنم فقد اختلف المفسرون في أصلها ، فقال بعضهم أنها عربية وأنها مشتقة من قولهم بئر جهنم ، للبعيدة القعر (٥) . وقال بعضهم أنها عربية مأخوذة من التسجهم والتكره ، ويقال جهم الوجه أي كرية الوجه (٦) :

(١) انظر المعجم المفهرس ٧٢٣ - ٧٢٥ .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ١٨١ . الانفال ٨ : ٥٠ ، الحج ٢٢ : ٩ ،

البروج ٨٥ : ١٠ .

(٣) المعارج ٧٠ : ١٥ ، سورة الليل ٩٢ : ١٤ .

(٤) وقد وردت في سبع وسبعين آية انظر المعجم المفهرس ٧٧ : ١٨٤ - ١٨٥

(٥) انظر الاشتقاق : ٣٥٤ ، جمهرة اللغة ٣ : ٤٠٤ ، الخصاص ١٠ : ٣٦ ،

لسان العرب ١٤ : ٣٩٦ ، النهاية في غريب الحديث ١ : ١٩٢ ، الألفاظ

السريانية ، مجلة المجمع العلمي العربي م ٢٣ ج ٣ : ٣٤٥ .

(٦) الزينة : الرازي ٢١٢ .

أما الفريق الثاني فقد قالوا بأعجميتها ، واختلفوا في أصلها أيضاً ، فقال بعضهم أنها فارسية (١) ، وقال آخرون بل هي سريانية (٢) . ويبدو ان أرجح الأقوال هو قول من قال بأنها عبرية الأصل . قال يونس بن حبيب وقيل هو تعريب كهـنـام بالعبرانية (٣) ، ويرى كارادي فو: ان الكلمة مشتقة من اللفظ العبري جيـحـون ، أو وادي هـنـوم (٤) وكان وادياً بالقرب من بيت المقدس تُقَدِّم فيه القرابين (٥) . ومع ترجيحنا كون جهنم عبرية الأصل ، فإننا نجد فيها دلالة واضحة للبيئة العربية ، وذلك ان الألفاظ الأعجمية حين تطلق على مسمياتها ، إنما تعكس سبب اختيار العرب لها ، وتعكس لنا تفكير من أطلقها ، ودلالاتها في ذهنه . فجهنم حين عرفت في العبرية بالوادي العميق ، وجد العربي فيها صورة لمظهر من مظاهر بيئته ، ألا وهي صورة الآبار التي اعتمد عليها في حياته الى جانب الأمطار . فكان منها العميقة القعر ، وكان منها الصغيرة الضحلة ، فاستعار لفظة جهنم للدلالة على البئر العميقة (٦) ومن هنا جاء التعبير القرآني ليربط بين المعنى المادي المستمد من البيئة العربية وبين أصل الكلمة الذي عرفته العبرية بالوادي العميق ومعان الكلمة عبرية الأصل فمن الممكن أن نضيف الى معناها قول من قال انها عربية

(١) الصحاح ٥ : ١٨٩٢ ، المعرب : ١٠٧ ، المفردات : ١٠١ .

(٢) الألفاظ السريانية ، مجلة المجمع العالمي العربي م ٢٣ ج ٣ : ٣٤٥ .

(٣) انظر لسان العرب ١٤ : ٣٩٧ .

(٤) انظر الكلمة في قاموس الكتاب المقدس ٢ : ٤٥٤ .

(٥) دائرة المعارف الاسلامية ٧ : ١٩٥ ،

(٦) راجع الصفحة السابقة .

الأصل ، وأنها مشتقة من التجهم والتكره (١) ، ذلك لأن هذا المعنى يعطينا فكرة عن الصورة التي رسمها العربي في ذهنه لجهم . وكيف انها شديدة على الكافرين ، تحطمهم ، وتأخذهم بقوة (٢) . وهي عميقة القعر بعيدة الأغوار ، يهوي فيها المجرم ، فلا يجد له قراراً ، وهو معنى ، رسمه تعبير قرآني آخر وهو :

ب - الهاوية :

قال الله تعالى : (فَأَمَّا مَنْ ثَقُصَّتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ، وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ؟ نَارٌ حَامِيَةٌ) (٣) . فقد قالوا في تفسير الهاوية بأنها سميت كذلك لأنها عميقة يهوي من يرمى بها الى قعرها العميق (٤) .

(١) راجع الصفحة السابقة .

(٢) وقد تعسف كارادي فوفي شرحه لتصوير المسلمين لجهم حين زعم أن الرسول (ص) تمثلها في بعض الآيات على صورة حيوان . فهوي في نظره أشبه بوحش هائل فغر فاه ، وكشف عن أنيابه وتأهب لالتهام المغضوب عليهم . انظر دائرة المعارف الاسلامية مادة جهنم ٧ : ١٩٦ . وهذا تعسف من الكاتب لأن الاسلوب القرآني المعجز قد سار في معظم آياته - خاصة في التهيب والترغيب - برسم صور مجازية تثير الذهن ، وتهزه هزاً ، وهي معانٍ لا يدركها إلا من عرف أسرار العربية ، وروعها في التعبير ، والمجاز .

(٣) سورة القارعة ١٠١ : ٦ - ١١ .

(٤) انظر تنوير المقياس : ٣٩٤ ، جامع البيان ٣٠ : ٢٨٢ ، ٢٨٣ ،

الزينة ٢ : ٢١٢ ، التبيان ١٠ : ٤٠١ . وقد ورد في قاموس الكتاب المقدس أن =

وذهب بعضهم بتعبير الأم الى معناها الحقيقي المشهور . روى الطبري
 عن ابن عباس قوله : (وإنما جعل النارَ امَّةً ، لأنها صارت مأواه ،
 كما تؤوي المرأةُ ابنها) (١) . وقال ابن قتيبة : (كانت الأم كافلة الولد
 وغاذيته ومأواه ، وقريبته ، وكانت النار للكافر كذلك ، جعلها امَّةً) (٢) .
 ويؤيد هذا التفسير قوله تعالى واصفاً الجنة والنار بالمأوى : (فأما من
 طغى ، وآثرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا ، فإن الجَحِيمَ هي المأوى ، وأما مَنْ
 خافَ مَقَامَ رَبِّهِ ، وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هي
 المأوى) (٣) ، وكون جهنم بمنزلة الأم للكافر ، وانها الهاوية أعمد في
 فهمها على استعمال لغوي وهو قولهم : هَوَتْ امُّهُ أَي هَدَاكَتْ (٤) ،
 وهَوَتْ امُّهُ فهي هاوية أي ثاكلة (٥) .

ويمكن القول أن هذا المعنى متطور عن المعنى الحسي الأول وهو
 السقوط والتردي لأن من يهلك أو تصيبه مصيبة تشكل امه ، وفي ذلك هلاك
 لها لعظم مصيبتها . ونقل أبو حاتم الرازي تفسيراً آخر وهو قولهم أن النار
 = (هاوية ترجمة لكلمة شبول العبرانية ، ومعنى هذه الكلمة في الأصل موضع
 الموتى ، وتوصف الهاوية بالعمق) انظر قاموس الكتاب المقدس ٢ : ٤٥٨ ،
 ومع أن دلالة الكلمة في العبرية هي نفسها في العربية إلا أن هذا لا يعني أنها أعجمية
 لأن دلالتها في العربية مشهورة ، واستعملها اللغوي معروف . انظر الصحاح
 ٦ : ٢٥٣٨ ، لسان العرب ٢٠ : ٢٤٨ .

(١) تأويل مشكل القرآن : ٧٧ ، انظر أيضاً جامع البيان ٣٠ : ٢٨٣ .

(٢) انظر جامع البيان ٣٠ : ٢٨٢ ، وانظر أيضاً تنوير المقياس : ٣٩٤ .

(٣) سورة النازعات ٧٩ : ٣٧ - ٤١ .

(٤) لسان العرب ٢٠ : ٢٥٠ .

(٥) الصحاح ٦ : ٢٥٣٩ ، وانظر لسان العرب ٢٠ : ٢٥٠ .

سميت كذلك لأنهم يهون فيها أبدأ (يعذبون لا يستقرون ، ولا يجدون قراراً فهم يهون ، وهو مأخوذ من الهواء بين السماء والأرض ، كأنهم أبدأ في الهواء لا قرار لهم) (١) . ويبدو ان التفسير الأول ، وهو أن الهاوية وصف لنار الآخرة بأنها عميقة يهوي فيها المجرمون ، هذا التفسير ارجح التفسير الأخرى ، لأنه ينسجم مع الوصف العام للنار ، وكيف انها رهيبة مخيفة عميقة ، يهوي فيها المجرم فلا يجد لها قراراً ، وهو معنى ورد في اللغة حين قالوا : هوي في البئر إذا سقط فيها وتردى (٢) ومن الطبيعي أن ينتشر هذا الاستعمال اللغوي نظراً لكثرة الآبار ، وما يطرأ للعربي في سيره في الصحراء من تعرضه الى السقوط والزلال في حفرة ، أو بئر قديمة ويؤيد هذا التفسير قوله تعالى : (انَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصيراً) (٣) .

ج - الجحيم (٤) :

قال الله تعالى : (والذين كفروا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) (٥) وقال ايضاً : (فإما إن كان من المتقربين ، فروحٌ وريحانٌ وجناتٌ نعيمٍ . وإما إن كان من أصحاب اليمين ، فسلامٌ لك من أصحاب اليمين

(١) الزينة ٢ : ٢١٢ .

(٢) الصحاح ٦ : ٢٥٣٨ ، لسان العرب ٢ : ٢٤٨ .

(٣) سورة النساء ٤ : ١٤٥ .

(٤) وقد وردت في ست وعشرين آية انظر المعجم المفهرس : ١٦٤ - ١٦٥ .

(٥) سورة المائدة ٥ : ١١ .

وأما إن كانَ من المكذِبينَ الضالِّينَ ، فنزُلُ من حميم ، وتصلية جحيم (١)
فالجحيم في الآيات السابقة ، تعبير آخر وصفت به نار الآخرة لشدة تأججها
وحرها (٢) ، من قولهم جَحِمَتِ النارُ إذا اضطربت (٣) ، وحجر
جاحم إذا اشتد اشتعاله (٤) . قال الأعشى :

بُـمـشـجـلـةٍ يَغـشـى الفـراشُ رَشـاشَها يَبـيـتُ لها ضـوءٌ من النـارِ جـاحـمٍ (٥)
أي ضوء نار متوقد شديد الحرارة . وقال قيس بن الخطيم :

وَنَصْدُقُ في الصَّبـاحِ إذا التَّقينا ولو كانَ الصَّبـاحُ جَحيمَ جَمـرٍ (٦)
فقد اطلق الجحيم هنا على شدة الحر والتهابه ، واستعاروا هذا
اللفظ في التعبير عن شدة الحرب واستعارها (٧) .

فلفظة الجحيم تصور شدة الحر في البيئة العربية ، وتعكس لنا أهمية
البيئة في إيجاد التعابير والألفاظ ، وكيف ان شدة الحر جعلتهم يدرون في
كلامهم تعابير عديدة تصف شدة الحر والتهابه . وتسمية النار بالجحيم تشترك
مع التعابير الأخرى في رسم صورة لهيب النار وعذابها المروع .

(١) سورة الواقعة ٥٦ : ٨٨ - ٩٤ .

(٢) جامع البيان ١ : ٥١٧ ، الزينة ٢ : ٢١١ ، التبيان ١ : ٤٣٧ المفردات :

٨٦ النهاية في غريب الحديث ١ : ١٤٥ .

(٣) الصحاح ٥ : ١٨٨٣ ، المفردات : ٨٦ ، اساس البلاغة : ١٠٩ .

(٤) جمهرة اللغة ٢ : ٥٩ .

(٥) ديوان الأعشى : ٨١ .

(٦) ديوان قيس بن الخطيم : ٦١ تحقيق ابراهيم السامرائي :

(٧) انظر شرح ديوان الحماسة ٢ : ٥٠٠ ، ٤ ، ١٨٦٢ .

د - السعير (١) :

قال الله سبحانه وتعالى : (كُتِبَ عَلَيْهِ أَنه من تَوَلَّاه ، فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ ، وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ) (٢) . وَفُسِّرَ السَّعِيرُ بِالنَّارِ الْمَوْقُودَةِ (٣) : (بَلْ السَّاعَةَ مَوْعِدُهُمْ ، وَالسَّاعَةَ أَذْهَى وَأَمْرٌ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ، يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ) (٤) وفسر بعضهم السُّعُورَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ بِالْحَرِيقِ وَالنَّيْرَانِ : (٥) وَخَصَّ بَعْضُهُمُ السُّعُورَ بِالْعَنَاءِ (٦) فَقَطْ ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَجْمَعَ هَذَيْنِ التَّفْسِيرَيْنِ بِأَنَّ الْحَرِيقَ الَّذِي يُعَذَّبُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ يَتْرَكُهُمْ فِي عَنَاءٍ ، وَنُصِبَ .

وهناك من فسر السعير بالجنون روى السجستاني : (سَعِيرٌ جَمْعُ سَعِيرٍ فِي قَوْلِ أَبِي عُبَيْدَةَ : وَقَالَ غَيْرُهُ : فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ، فِي ضَلَالٍ وَجُنُونٍ ، يُقَالُ : نَاقَةٌ مَسْعُورَةٌ إِذَا كَانَ بِهَا جُنُونٌ) (٧) . وَقَالَ الزُّمَخْشَرِيُّ (السَّعِيرُ الْجُنُونُ . يُقَالُ : نَاقَةٌ مَسْعُورَةٌ قَالَ :

كَأَنَّهَا سَعُرَتْ إِذَا الْعَيْسُ هَزَّهَا ذَهَبٌ وَإِرْخَاءٌ مِنَ السَّيْرِ مَتَعِيبٌ (٨)

(١) وقد وردت في ست عشرة آية انظر المعجم المنهرس : ٣٥٠ - ٣٥١ .

(٢) سورة الحج ٢٢ : ٤ .

(٣) تنوير المقياس : ٢٠٦ مجاز القرآن ١ : ١٣٠ ، جامع البيان ١٧ : ١١٦ .

(٤) سورة القمر ٥٤ : ٤٦ - ٤٨ .

(٥) مجاز القرآن ٢ : ٢٤١ ، جامع البيان ٢٧ : ١٠٩ ، الكشاف ٣ : ١٨٦ .

(٦) تنوير المقياس : ٣٣٥ ، الفراء عن لسان العرب ٦ ، ٣١ : جامع البيان

٢٧ : ١٠٩ .

(٧) غريب القرآن : ١٣٦ ، وكذا قول الفارسي في المحكم ١ : ٢٩٩ .

(٨) الكشاف ٣ : ١٨٤ .

وكذا ورد معنى السعير في كتب اللغة (١) . وتفسير السعير بالجنون واقتارانه بالناقة المسعورة يشير الانتباه ، لانه ابتعد عن معنى الحريق ولأنه اقترن بالناقة التي اعتادها العربي وجعلها صديقته في سيره الطويل فخبير كل حركاتها ، وسكناتها ، وعرفها في حالات مرضها وصحتها ، فاذا اصابها السعير ركضت على غير هدى ، واسرعت في سيرها ، ومن هنا فسر بعضهم السُعِيرُ بالجنون في قوله تعالى : (ان المجرمين في ضلالٍ وسُعِيرٍ) (٢) لان المجرمين في النار يفقدون رشدهم ، وتفكيرهم ، لشدة العذاب وهول النار ، ويكونون في ضلالٍ وحيرة ، فيشبهون بذلك الناقة المسعورة التي اصابها الجنون ، فسارت على غير هدى . اما في المجال اللغوي فنجد ان الكلمة اطلقت في الاصل على اشتعال النار وشدة حرارتها (٣) ، فاذا كانت الريح شديدة الحرارة قوية - وهي التي يسمونها السموم - اطلقوا عليها اسم السُعَار (٤) ، لان شدة حرارتها شبيهة بشدة حرارة النار ، واشتعالها . واذا كان المفسرون لم يشيروا الى معنى السموم في تفسيرهم الآية الكريمة فاننا نفهمه من دلالة الكلمة اللغوية ، ومن ورود السموم في

(١) انظر قول الخليل في المخصص ٣ : ٥٥ ، ٧ : ١٢٢ ، وانظر ايضا غريب

القرآن : ١٣٦ ، الصحاح ٢ : ٦٨٥ ، لسان العرب ٦ : ٣٠ .

(٢) سورة القمر ٥٤ : ٤٧ .

(٣) جمهرة اللغة ٢ : ٣٣٠ ، الصحاح ٢ : ٦٨٥ ، مقاييس اللغة ٣ : ٢٧٥ ،

الزينة ٢ : ٢٠٨ ، المحكم ١ : ٢٨٩ ، اساس البلاغة : ٤٤٠ ، النهاية في غريب

الحديث ٢ : ١٦٢ . وانظر الشعر في شرح ديوان زهير : ٢١٤ ، المفضليات : ٨٤

الوحشيات : ١٢١ .

(٤) الخليل عن المخصص ٩ : ٩٠ ، جمهرة اللغة ٢ : ٣٣٠ ، الصحاح ٢ :

٦٨٥ مقاييس اللغة ٣ : ٧٥ ، المحكم ١ : ٢٩٩ .

القرآن الكريم ، فقد وصف الله سبحانه وتعالى عذاب النار يانه عذاب السموم ، حيث يفرح المؤمنون بنجاتهم من النار فيتباشرون بينهم (وأقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ : قالوا اننا كنا قبل في اهلنا مشفقين ، فمن الله علينا ، ووقانا عذاب السموم) (١) . وقال الله تعالى واصفا اصحاب الشمال : (واصحاب الشمال ، ما اصحاب الشمال ، في سموم وجميم ، وظل من يحموم ، لا بارد ولا كريم) (٢) لقد عانت البيئة العربية من لفح السموم الحارة ما عانت ، ولم يقتصر اذاها على الانسان بل جاوزته الى الحيوان ، فذكر ذلك الشعراء في اشعارهم ووصفوا الصور التي اعتادوها عند هبوب السموم ، واشتداد الحر (٣) ، حتى اذا جاء التعبير القرآني واصفا عذاب الكافرين : (بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وأمر ان المجرمين في ضلال وسعر ، يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر) (٤) تذكر العربي السعار وتمثلت له لظاه الحارة فاستطاع ان يتصور الايحاءات الرهيبة التي توجيها الآية الكريمة في تصوير عذاب المجرمين .

وهناك معنى اخر للكلمة ، وهو قولهم اذا اشتد العطش والجوع : استعر : قال ابن السكيت (٥) (رجل مسعور وبه سعار اي جوع

(١) سورة الطور ٥٢ : ٢٥ - ٢٧ .

(٢) سورة الواقعة ٥٦ : ٤١ - ٤٤ .

(٣) انظر شرح ديوان لبيد : ١٠٢ ، ديوان الشماخ : ٨٣ ، المفضليات ١٨٢

شرح ديوان الحماسة ٤ : ١٨٠٣ ، الجبال والامكنة : ٤٦ ، ذيل النوادر : ٢٠٧ الطرائف الادبية : ٦٢ معجم البلدان ١ : ١٥٥ .

(٤) سورة القمر ٥٤ : ٤٦ - ٤٨ .

(٥) ابن السكيت في الخصاص ٥ : ٣٥ ، وانظر ايضا جمهرة اللغة ٢ : ٢٣٠ =

وشهوة) . وقال الزمخشري ، (ومن الجاز : . : وبه سُعار وهو توهج العطش) (١) ، فكأن شدة العطش تلهب في جوف الانسان حرارة شبهوها بالنار . ونستطيع ان نفهم هذا المعنى اللغوي في الآية الكريمة السابقة ، لان معنى العطش معنى عاشه البدوي في بيئته ، واحسَّ به في اسفاره الطويلة ، حين يتشوق الى قطرة من الماء تروي ظمائه ، ومع انهم قالوا ان السُّعار شدة العطش او الجوع ، الا ان دلالة العطش على البيئة العربية اوضح من دلالاته على الجوع (٢) ومع ذلك يمكن اضافة المعنى الاخير الى التفسير السابقة لتجتمع صور العذاب والحرقان في عذاب النار فاذا جمعنا كل هذه التفسير عرفنا اي اعجاز عظيم تحميه كلمة واحدة في تسمية نار الجحيم يوم القيامة ، لانها تجمع عدة صور رهيبية عاشها البدوي في حياته وعانى من اذائها ما عانى ، فيكون معناها ان الجحيم في ضلال ، وحيرة من حر النار ، ولظاها المؤذي . وتنقلهم هذه الصورة الى صورة السموم الحارة التي عانوها في بيئتهم ، ومع عذاب النار يجتمع الحرمان من الماء والطعام ، بكل ما يحمله معنى العطش من معان رهيبية لها دلالتها على النفس العربية . ثم هم فاقدو الوعي حائرون ، تائهون يشبه حال الناقة المسعورة التي تركض على غير هدى ، وتسير الى غير غاية ، هم حيارى ، عطاشى ، تلفحهم السموم بجرها ، وتحرقهم النيران بلظاها كل هذه الصور يعكسها التعبير القرآني في تسمية النار ووصفها بالسعر (٣)

= الصحاح ٢ : ٦٨٥ ، فقه اللغة : ٥٠ .

(١) اساس البلاغة ٤٤ ، وانظر ايضا لسان العرب ٦ : ٣٠ .

(٢) انظر الفصل الخامس - ٦ - طعامهم - ب - الزقوم .

(٣) انظر في هذا موضوع الاشتراك من اسباب البلاغة في التعبير في

كتاب دروس في البلاغة : ١٩٧ .

ه سقر :

وسقر اسم اخر من اسماء النار التي يعذب بها الكافرون يوم القيامة :
قال الله تعالى : (سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ، وما ادراك ما سَقَرٌ ، لا تبقي
ولا تذرٌ ، لواحطة للبشر) (١) . وقال ايضا : (الا اصحاب
اليمين ، في جنات يتساءلون عن المجرمين ، ما سلككم في سقر ؟
قالوا لم نك من المصلين ...) (٢) وقال تعالى ايضا : (ان المجرمين في
اضلال وسعير ، يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس
سقر) (٣) .

قال المفسرون في سقر انها علم من اسماء النار (٤) ، وخصها بعضهم
بالباب الرابع من النار (٥) .

وقال بعض المفسرين ان سقر اسم اعجمي (٦) . ويبدو ان للكلمة
استعمالاً عربياً من قولهم سقرته الشمس تسقره سقرا بالسين والصاد اذا
آلمت دماغه (٧) . وقالوا الصقرة : شدة الحر (٨) ، وكذا وردت

(١) سورة المدثر ٧٤ : ٢٦ - ٢٩ .

(٢) سورة المدثر ٧٤ : ٣٩ - ٤٣ .

(٣) سورة القمر ٥٤ : ٤٧ - ٤٨ .

(٤) التبيان ١٠ : ١٨٠ ، وانظر ايضا المفردات : ٢٣٤ ، الكشاف ٣ : ١٨٦

(٥) تنوير المقياس : ٣٧٣ ، وانظر ايضا جامع البيان ٢٩ - ١٥٨ .

(٦) النهاية في غريب الحديث ٢ : ١٦٨ .

(٧) الزينة ٢ : ٢١٤ التبيان ١ : ١٨٠ ، المفردات : ٢٣٤ ، الكشاف

٣ : ١٨٦ وانظر اللغة في جمهرة اللغة ٢ : ٣٣٤ ، المخصص ٩ : ٦٩ .

(٨) الغريب المصنف الورقة (٢٧٦) .

في الشعر (١) .

وشدة الحرارة وايلامها للانسان اوحث للغرب استعمالا اخر للكلمة وهو قولهم : الصقر الضرب على اعلى الرأس (٢) ، وسموا الفأس العظيمة التي تكسر الصخر والحجارة القوية بالصاقور (٣) .

ومعاني الكلمة المختلفة تساعدنا كلها على فهم الجو المرعب الذي تثيره الآيات الكريمة (يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وجوهِهِمْ ، ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ) (٤) . او قوله تعالى (سَأَصْلِيهِ سَقَرَ ، وما أدراك ما سَقَرٌ لا تُبْقِي ولا تَذَرُ ، كَسَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ...) (٥) . فالنار التي يعذب بها المحرمون شديدة الحر تلفح المعذبين بلظاها المحرق ، فتفلق رؤسهم ، وتذيب ما في بطونهم ، وتنقل لنا هذه التسمية شدة حر الهاجرة في الجزيرة العربية الذي يكاد فيه الحجر ان يذوب ويفلق الصخر ، الا ان هذه الصورة لا يمكن ان تقارن بشيء من صورة نار الاخرة التي لا تبق ولا تذر . ويلاحظ في تعبير سقر في سورة المدثر انها محاطة بالابهام والغموض فكأن سقر مجهولة للسامع فتكررها الآية لتزيد من ايجاء الرعب

(١) ديوان شعر ذى الرمة : ٥٠٤ ، امالي الزبيدي ١ : ١٤٤ ، الحيوان

٢٣٢ : ٥ .

(٢) المخصص ٦ : ٩٦ .

(٣) جمهرة اللغة ٢ : ٣٥٧ ، الصحاح ٢ : ٧١٥ ، المخصص ١٠ : ١٠ ،

لسان العرب ٦ : ١٣٦ ، اساس البلاغة : ٥٣٥ ، النهاية في غريب الحديث ٢ : ١٦٨ وانظر الشعر في مجالس ثعلب ٢ : ٤٥٨ ، المؤلف والمختلف : ١١٩ .

(٤) سورة القمر ٥٤ : ٤٧ .

(٥) سورة المدثر ٧٤ : ٢٦ .

(سَأُصَلِّيهِ سَقَرَ ، وما أدراك ما سَقَرٌ ؟ تَوَاحُةٌ لِلْبَشَرِ) (١)
 انك لا تعرف معنى سقر ، فليست كالتى عرفتها في الحياة الدنيا انما هي شديدة
 قوية ، لا تبقى ولا تذر وفي هذا استبعاد لذهن الانسان بانه مهما تخيل
 سقر ، فانه لن يستطيع ان يتصورها حق تصورها ، الا ان العربي يستطيع
 ان يجد فيها ايماء واضح الملامح للبيئة العربية ، فترسم في ذهنه صقرات
 شمس الجزيرة ، وحرها المؤذي الذي يذكرهم بالفؤوس القوية تغلق الصخر ،
 ولكن هيهات لهم ان يقارنوا بين الصورتين ، لان الآية الكريمة تقول وما
 ادراك ما سقر ؟ انه الهول الذي يتجسد امام الكافرين يوم القيامة ويعكسه
 تعبير سقر في الآيات الكريمة .

٣ - لهيب النار :

اما لهيب النار فانه تارة يكون لهيها خالصا لا يشوبه دخان ، وتارة
 يلف المعذبين بدخان قائم . قال الله تعالى : (يامعشر الجن والانس
 ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض لا تنفذون الا
 بسُلطانٍ فباي آلاء ربكما تكذبان ؟ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّنْ نَّارٍ
 وَنَحَّاسٍ فَاِذَا تَنَصَّرَانِ ، فباي آلاء ربكما تكذبان) (٢) .

فالآيات الكريمة تصور لهيب النار بتعبير الشواظ ، وقد قال المفسرون
 عن الشواظ بانه اللهب بلا دخان (٣) . وفي المسائل التي سألتها نافع بن

(١) سورة المدثر : ٧٤ : ٢٧ .

(٢) سورة الرحمن : ٥٥ : ٣٣ - ٣٦ ،

(٣) تنوير المقياس : ٣٣٧ ، مجاز القرآن ٣ : ٢٤٤ ، جامع البيان ٢٧ : ١٣٩

التبيان ٩ : ٤٧٤ .

الازرق لابن عباس انه سأله عن الشواظ (فقال : اللهم الذي لادخان له ، قال : فهل كانت العرب تعرف ذلك قبل ان ينزل الكتاب على محمد ربك ؟ قال : نعم اما سمعت بقول أمية بن خلف (١) :
 الأَمَنُ مُبْلِغٌ حَسَانَ عَنِّي مُغْلَغَمَةٌ تَدْبُ إِلَى عُكَاظِ
 الِيسِ ابوكَ فِينَا كَانَ قِينَا لَدَى الْقِينَاتِ (فسلا) (٢) في الحفاظ
 يمانياً يظَلُّ يَشُدُّ كِيرا وَيَنْفِخُ دَائِبًا لَهَبَ الشَّوَاظِ
 قال : صدقت (٣) وفي رواية اخرى انه تمثل بابيات حسان التي
 رد فيها على امية :

فَتَأْتِيهِ قِصَائِدٌ مَحْكَمَاتٌ وَتُنَشِدُ بِالْمَجَازِ إِلَى عُكَاظِ
 مَرَّتِكَ فَأَخْضَعَتْكَ بَدَاتِ ذَلَّ فَقَاقِيعٌ تَأْجِجُ كَالشَّوَاظِ (٤)

ومن هنا يتضح لنا ان الشواظ عرفه العرب في بيئتهم ، وعرفوا ان النار اذا كانت على اشدها فانها تكون لها خالصا لادخان له ، وكذا

(١) أمية بن خلف بن وهب ، من بني لؤي احد جبابرة قريش في الجاهلية ومن ساداتهم ، ادرك الاسلام ولم يسلم ، وهو الذي عذب بلالا الحبشي عند ظهور الاسلام ، اسره عبد الرحمن بن عوف يوم بدر ، فراه بسلال ، فصاح بالناس يحرضهم على قتله فقتلوه . انظر سيرة النبي ٢ : ٧٢١ ، عيون الاثر ١ : ٢٥٩ الكامل لابن الاثير ٢ : ٤٨ .

(٢) في المخطوط ضميلا ، والصواب كما هو مثبت اعلاه ، وهكذا رويت الابيات في ديوان حسان بن ثابت : ١٤١ ، وكذلك ورد في الصحاح ٣ : ١١٧٣ لسان العرب ٩ : ٣٢٦ .

(٣) مسائل نافع بن الازرق الورقة ٨ (ب) .

(٤) ن . م الورقة ٦ (أ) وانظر الابيات في ديوان حسان : ١٤١ ، ١٤٢ مع اختلاف في رواية البيتين :

قال اللغويون (١) .

اما النحاس فقد قالوا في تفسيره انه الصفر المذاب (٢) . وقال بعضهم انه الدخان (٣) وحين سئل ابن عباس عن معرفة العرب له قبل الاسلام تمثل بقول النابغة :

نُضِيضُكُمْ مِنْ سِرَاجِ السَّلِيْطِ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فِيهِ نُحَاسًا (٤)

والسليط هو دهن الزيت (٥) . وقد استدل ابن عباس بهذا البيت على معرفة العرب لهذا المعنى القرآني . ويبدو ان هناك علاقة متينة بين النحاس الذي هو الدخان ، وبين النحاس ذلك الجوهر المعروف من المعادن والظاهر ان المعدن هو الاساس في التسمية ، لان النحاس او اي معدن من المعادن اذا اذيب سبب دخانا قاتما ، ومن هنا اطلق على كل دخان قاتم اسم النحاس . . . ومن الطبيعي ان يعرفه العرب في بيئتهم على اعتباره من المعادن المتوفرة في الصحراء العربية (٦) .

وقد فسر اليعقوم بالدخان الاسود ايضا في قوله تعالى : (وأصحابُ

(١) الكامل المبرد ١ : ٣٢٤ ، جمهرة اللغة ٣ : ٦٠ ، الصحاح ٣ : ١١٧٢

مقاييس اللغة ٣ : ٢٢٣ .

(٢) جامع البيان ٢٧ : ١٤٠ ، الكشاف ٣ : ١٩٠ .

(٣) تنوير المقياس : ٣٣٧ ، مجاز القرآن ٢ : ٢٤٤ ، جامع البيان ٢٧ : ١٤١

المفردات : ٥٠٣ ، الكشاف ٣ : ١٩٠ .

(٤) مسائل نافع بن الازرق الورقة ٨ (ب) والبيت منسوب للنابغة الذبياني

في المخطوط وجامع البيان ٢٧ : ١٤١ ، والصبواب انه للنابغة الجعدي كما هو مذكور في ديوانه : ٨١ ، وانظر ايضا التبيان ٩ : ٤٧٥ .

(٥) الصحاح ٣ : ١١٤٩ .

(٦) انظر زكاة المعادن في الموطأ ١ : ٢٤٩ .

الشمالِ ، ما أصحابُ الشمالِ ؟ في سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ، وظِلٍّ مَنْ يَحْمُومٍ لا باردٍ ولا كريمٍ (١) . فجو الآيات الكريمة يساعدا على تصور هذا المعنى ، لان السياق العام يوحي بهول العذاب ، فقد ذكر المجرمون وهم اصحاب الشمال ، ثم تبعه استفهام يثير في الذهن جوا من الغموض والرهبة حتى اذا انضح هذا الابهام ظهر عن سموم لافحة تلوح المجرمين وتحرقهم بلاظها ، ولكنها ليست كالسموم التي عرفوها في بيئتهم ، فاحتاطوا لها بوسائل ، واحتموا منها بنخله او خيمة . . . مثلا .

انها سموم حارة لافحة لا يوجد معها ظل ، فاذا وجدوه فانما هو ظل من دخان قاتم تثيره النار الرهيبية ، فلا يجدون فيه البرد الذي وجدوه في ظل الحياة الدنيا ، ولا الظانينة التي يحتاجون اليها ، فهو ظل ، ولكنه يثير السخرية على كل من يحتمي به ، لان اذاه اشد واضنى من اذى النار ولظاها !! هذه السخرية تذكر العرب بالظل البارد الذي فاعوا اليه في حياتهم الدنيا ، ليتقوا به صقرات الهجيرة ، ولفح سمومها ، وكيف ان شاعرهم مثلاً يحنُّ الى نخله استظل تحتها يوماً ، وجمعه مع من يجب ، فيردد حينئذ اليها ، ويبعث لها سلامه ، واشواقه ، كما لو انها كائن حي يبادلها الشعور :

ألا يانخلتُ مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ بَرُودَ الظِّلِّ شَاعِكُمْ السَّلَامُ (٢)
وذات عرق : موضع بالحجاز (٣) ، وقد نهى الرسول (ص) عن كسر اغصان السدر او التنضب ، لانها من ذوات الظلال يسكن الناس

(١) سورة الواقعة ٥٦ : ٤١ - ٤٤ .

(٢) مجالس ثعلب ١ : ١٩٨ ، وقيل انه كنى بالنخلت عن المرأة ، وحتى لو كان هذا القول كناية ، فانه يعكس لنا الصورة المحببة .

(٣) انظر معجم البلدان ٣ : ٦٥١ .

اليها في البرد ، والحر (١) ، وفي هذا دليل واضح على شدة تعلق العرب بالاشجار ، والنخيل التي تمنحهم الظل اذا اشتد الحر ، او داهمهم البرد ، والمطر ، وهي من الناحية الاخرى تساعدنا على فهم الآيات الكريمة التي تصور نار جهنم ، وظلها القاتم ، وكيف يتصورها العربي الذي عانى من الحر ، وعرف طيب الظل ، والبرودة ، فاذا به في الآخرة ينتجاً الى الظل الذي يترأى له ، فلا يجد فيه الامان ، ولا البرودة التي ينشدها . قال الله تعالى : (لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظِلٌّ مِّنَ النَّارِ ، وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظِلٌّ) ذلك يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (٢) . وقال تعالى مخاطباً الكافرين باسلوب يسخر منهم وذلك بدعوتهم الى الالتجاء الى ظل من النار يزيد لهيبه اذى النار ، وعذابها : (انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون ، انطلقوا الى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُجَبٍ ، لَا ظَلِيلٍ ، وَلَا يُغْنِي مِنَ السَّهَبِ ، لَهَا تَرْمِيهِ بَيْشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَانَتْهُ جَمَالَاتٌ صَفَرٌ ، وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِبِينَ) (٣) واذا قارنا هذه الصورة الرهيبة بصورة ظلال الجنة الوارفة اكتملت لنا الصورة الرائعة واتضح الاسلوب المعجز في بيان عذاب المجرمين ، ونعيم المؤمنين : (والذين آمنوا ، وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ، لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ، وَندخلهم ظِلًّا ظليلاً) (٤) . وقال تعالى ايضا واصفا نعيم المؤمنين بين الظلال الوارفة ، (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ ، هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ ، عَلَى الْأُرَائِكِ مِتْكَثُونَ ، لَهُمْ

(١) انظر سنن ابي داود ٢ : ٦٥٠ .

(٢) سورة الزمر ٣٩ : ١٦ .

(٣) سورة المرسلات ٧٧ : ٢٩ - ٣٤ .

(٤) سورة النساء ٤ : ٥٧ .

فيها فإِكهةٌ ، ولَهُمَّ ما يدَعُونَ ، سلامٌ قولاً من ربِّ رحيمٍ (١) .
 هذه الظلال الوارفة ، والنعم الرائع يوضح لنا معالم الاذى الذي
 يلاقيه المجرمون في النار ، والمقارنة بينها تزيد الصورة وضوحاً ، فالمجرمون
 لا يجدون ظلاً يفيئون تحته ، ويحتمون به من لهيب النار وشررها ، فاذا
 وجدوه فانما هو ظِلٌّ من دخانٍ اسود ، ولهيب من نحاس يتعالى فوق
 رؤسهم .

٤ - شررها :

ولم تكتف الآيات الكريمة بتصوير النار ، ولظاها ، انما وصفت
 الشر الذي يقطر منها ، فشرر النار الذي عهدته الناس في حياتهم الدنيا
 صغيراً ، قصير الامد نجده في وصف نار الآخرة صوراً تصويراً رهيباً
 لطوله ، واستمرار قدحه ، ثم لونه القاتم . قال الله تعالى : (انطلقوا
 الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظلٍ ذي ثلاث شعبٍ ، لا ظليلٍ
 ولا يُغني عن السَّهَبِ ، إنَّها ترمي بِشَرَرٍ كالتَّقْصِرِ ، كأنَّه جَمالات
 صفرَ وِيلٌ يَوْمَئِذٍ للمكذِبين) (٢) .

فقد تشبَّه شرر النار بالقصر ، واختلف المفسرون في تفسيره
 تبعاً لاختلافهم في قراءته ، فنقرأه بإسكان الصاد فسره بالبناء المشيد ،
 المسمى بالقصر (٣) . وفسره ابن قتيبة بالقصر من قصور مياه الاعراب (٤)

(١) سورة يس ٣٦ : ٥٥ - ٥٨ .

(٢) سورة المرسلات ٧٧ : ٢٩ - ٣٤ .

(٣) جامع البيان ٢٩ : ٢٣٩ ، التبيان ، ١٠ : ٢٣١ ، المفردات : ٤١٤ ،

الكشاف ٣ : ٣٠٢ .

(٤) تأويل مشكل القرآن : ٢٤٥ .

والملاحظ في التفسير الاول انه لا ينقل صورة من صور البيئة العربية ، فالقصر - وان ذكره بعض الشعراء في اشعارهم - (١) قليلا ما عرفته البيئة العربية في فيا فيها الواسعة ، واطناها المضروبة ، وانما سمي هذا البناء قصرا ، لان جذوع النخيل ، والخشب هي اساس بنائه ، وهي التي يطلق عليها القصر كما سيأتي ذكره .

اما القصر من قصور مياه الاعراب الذي فسر به ابن قتيبة الآية الكريمة فانه لا يعطينا صورة واضحة عن قصده ، ولا يوجد في الشعر العربي ما يصوره ، الا اذا كان المراد منه تلك العريشة التي تُبنى حول البئر يُحْبَسُ الماء فيها ، ويُقَصَّرُ ، وذلك انهم قالوا في صفات البئر المعروشة بانها التي تطوى قدر قامة من اسفلها بالحجارة ، ثم يطوى سائرها بالخشب وحده ، وذلك الخشب هو العرش (٢) . ولكننا ايضا لا نجد بين هذه الصورة وشرر النار في الآية الكريمة وجه شبه قوي ، مما يبعدها عن تفسير ابن قتيبة السابق . اما قراءة من قرأ الْقَصَرَ بفتح الصاد ، فانها تعطينا تفسيرها هو اقرب الى البيئة العربية ، من القراءة الاولى . قال ابن عباس كَالْقَصْرِ كاسافل الشجر العظام (٣) . وقال ابن قتيبة ، ومن قرأ بِالْقَصْرِ شبهه باعناق النخل ، ويقال بأصوله اذا قطع (٤) . وهنا يبدو اختلاف بسيط فهل القصر لغة اعناق الابل ام اعناق النخل واصوله ؟

(١) ديوان الاعشى : ٤٣ .

(٢) الغريب المصنف الورقة : (٢٤١) ، الصحاح ٣ : ١٠١٠ ، المخصص

١٠ : ٤٢ ، اساس البلاغة ٦٢٢ . لسان العرب ٨ : ٢٠٤ .

(٣) تنوير المقياس : ٣٧٧ .

(٤) تأويل مشكل القرآن : ٢٤٥ ، وانظر المفردات : ٤١٤ ، الكشف

٣ : ٣٠٣ ، النهاية في غريب الحديث ٣ : ٢٥٦ ، وانظر اللغة في العين : الورقة (١٥) .

الا اننا نجد في الشعر الجاهلي صوراً طالما رسمها الشعراء في اشعارهم الا وهي صورة الناقة التي يشبهونها بجذع النخلة (١) ، وصورة الطعائن التي وصفوها وشبهوها بمجموعة النخيل (٢) مما يرجح كون القصر ، اطلق في الاصل على النخلة ، ومنه على الناقة ، ومن ثم اطلق بصورة عامة على اصل العنق سواء كان للشجرة ، او النخل ، او الابل (٣) . وفي كلتا صورتين نجد دلالة واضحة للبيئة العربية ، فقد اعتاد العربي رؤية اعناق ابنة الطويلة ، كما اعتاد رؤية النخيل ، وجذوعها السامقة ، فاستمد منها مادة لتشبيهاته ، واخيلته .

ومن هنا يبدو ان التفسير الاخير اقرب التفسير الى البيئة العربية فقوله تعالى : (إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) (٤) يرسم لنا صورة لشرر النار يوم القيامة ، وكيف انه يختلف عن الشرر القصير الأمد في الحياة الدنيا ، لانه طويل الأمد ، بعيد المدى ، ينقل الى ذهن العربي صورة اعناق الابل الممتدة الطول ، او صورة جذوع النخل الجبارة . ويتبع هذا التشبيه تشبيه اخر للشرارات يقصد منه تبيان لونها وهو قوله تعالى : (انہا ترمی بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِجَالَاتُ صُفْرِ) (٥) . قال بعض

(١) ديوان كعب بن زهير : ١٣ ، ٨١ ، ٢١٧ ، وانظر ايضاً الطرائف

الادبية : ٦٩ .

(٢) انظر ديوان كعب بن زهير : ١٢٢ ، ١٩١ ، ٢٥٢ ، ديوان علقمة

الفحل : ٣١ ، اراجيز العرب : ٤٤ ، الاصمعيات : ٢١٧ .

(٣) المحصص ١١ : ١٠ .

(٤) سورة المرسلات ٧٧ : ٣٢ .

(٥) ن : م .

المفسرين إنَّ معنى الجمالات الجمال (١) . فيكون معنى الآية ان الشرر الذي يتطاير بكثرة وقوة شديدة يشبه الجمال السود ، وخصَّ بها الجمال او النوق الضخمة التي شبهت بالجمال اضخامتها (٢) ليدل على عظم الشرارات بالاضافة الى لونها القاتم . فاللون الاصفر كثيراً ما اطلقه العرب على لون السواد (٣) . وقد علل ابن قتيبة هذه التسمية وسبب تخصيص الله سبحانه وتعالى للجمال السود . قال : (وانما سُميت السود من الابل صُفراً ، لانه يشوب سوادها شيء من صفرة كما قيل لبيض الطباء أدمٌ ، لان بياضها تعلوه كُدرة ، والشرر اذا تطاير فسقط وفيه بقية من لون النار اشبه شيء بالابل السود لما يشوبها من صفرة) (٤) .

وهناك تفسير اخر لمعنى الجمالات الصفر في الآية الكريمة وهو قولهم انها حبال السفن الضخمة ، معتمدين في ذلك على استعمال لغوي عرفه العرب . قال الخليل : (الجُمَل : حبلُ السفينة) (٥) .

(١) تنوير المقياس : ٣٧٧ ، تأويل مشكل الحديث : ٢٤٥ ، المفردات :

٩٦ ، الكشف : ٣ : ٢ . ٣ .

(٢) غريب الحديث : ٢٨٠ ، مقاييس اللغة ١ : ٤٨١ ، وانظر الشعر في ديوان

الشماخ : ٤٠ ، ٥٤ ، المفضليات : ٢٢٩ ، الحيوان ٦ : ٧٠ .

(٣) انظر الغريب المصنف الورقة (٢٢) ، الصحاح ٢ : ٧١٤ ، مقاييس

اللغة ٣ : ٢٩٤ ، المخصص ٧ : ٦ ، ٥٥ .

(٤) تأويل مشكل القرآن : ٢٤٥ .

(٥) عن المخصص ١ : ٢٥ ، الصحاح ٤ : ٦٦١ ، وانظر ايضا النهاية في

غريب الحديث ١ : ١٧٩ وفسر بعضهم قوله تعالى (ولا يَدْخُلُونَ الجنةَ حتى يَلْجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ) سورة الاعراف ٧ : ٤٠ بانه حبل السفينة انظر

تنوير المقياس : ١٠١ ، الكشف : ١ : ٥٤٨ وقد ذكر الاب مار اغناطيوس =

وإذا كانت صورة الشرر الذي يتطاير بقوة من نار الآخرة يشبه إلى حد ما صورة الجبال الغليظة الممتدة ، فإن تفسير الجِمالات في قوله تعالى (انها ترمي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ، كأنه جِمالاتٌ صُفْرٌ) (١) بالجبال السود اقرب الى البيئة العربية التي اعتمدت على الأبل في حياتها اليومية اعتماداً كلياً ، على حين نجد اهمية السفينة عند العرب لا تصل الى مستوى الضروريات ، نظراً للصحارى الواسعة التي انعدمت فيها البحار والانهار الدائمة ، ويؤكد هذا القول ما نراه في كتاب الخصاص ، وان ما استغرقه بحث السفينة من هذه الموسوعة الكبيرة لا يتجاوز الست صفحات ، على حين كاد البحث عن الجمل يشكل جزء كاملاً بذاته (٢) :

٥ - شراب اهل النار :

تصور الآيات الكريمة العطش ، والحرم من الماء على انها وسيلتان من وسائل التعذيب التي يعانيتها المجرمون يوم القيامة . فشراب اهل النار، وتعذيبهم بالعطش صوراً بصورة رائعة يظهر فيها الاعجاز القرآني متجلياً ويقف امامها الانسان ذاهلاً . ففي اللحظة التي تصدر فيها نتيجة الحساب يبدأ عقاب المجرمين فيساقون سوقاً شديداً الى جهنم ، وهم عطاشى محرومين من الماء . اما المؤمنون فانهم يحشرون الى الجنة بعزة وكرامة . قال الله

= الجمل على انه لفظ سرياني ، وفي هذا دلالة على بعد الكلمة عن البيئة العربية .

انظر مقال الالفاظ السريانية مجلة الجمع العلمي العربي م ٢٣ ج ٣ ص ٣٤٣ .

(١) سورة المرسلات ٧٧ : ٣٢ - ٣٣ .

(٢) انظر الخصاص عن الأبل ٧ : ١ - ١٧٤ ، السفينة ١٠ : ٢٩ - ٣٣ ،

وانظر ايضاً نظام الغريب ١٣٢ - ١٥١ .

تعالى : (يومَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفدَا ، وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا) (١) . وقد فسر المفسرون الورد في الآية الكريمة بمعنى العطاش (٢) . ومن المشهور ان معنى الورد في اللغة هو اتيان الماء وهو خلاف الصدر (٣) . وانما اطلق تعبير الورد في الآية الكريمة على العطاش ، لان من يرد الماء لا يردُهُ الا لعطش كما يقول الزمخشري (٣) الا ان الجرمين لا يرتوون بوردهم جهنم ، بل تبدأ مرحلة اخرى للتعذيب والعقاب فع شدة وتهيها المحرق - الذي مرت بنا صورته - يعاقب المجرمون بلون اخر من صنوف التعذيب ، وهو حرمانهم من الماء . وقد صور هذا الحرمان بشكل محاورة جرت بين اهل الجنة واهل النار : (ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة : أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا : ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا ، فاليوم ننسأهم كما نسأ لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون) (٥) . فهذه الآيات الكريمة ترسم صورة رهيبة لحرمان الجرمين من الماء . وقد فهم العرب والمسامون هذه الصورة ، واستطاعوا ان يتمثلوها بما وجدوه في بيئتهم ، ولم يكتفوا بتصور الآيات الخاصة بالحرمان من الماء بل فسروا بالعطش الايات التي تبدو بعيدة عن

(١) سورة مريم ١٩ : ٨٦ .

(٢) اللغات في القرآن : ٣٦ . جامع البيان ١٦ : ١٢٩ ، ١٣٠ ، التبيان ٧ : ١٥٠

(٣) انظر جمهرة اللغة ٢ : ٢٥٨ ، الصحاح ١ : ٢٥٨ ، مقاييس اللغة ٦ : ١٠٥ ،

المخصص ٩ : ١٥٥ ، وانظر شواهد الشعر في المفضليات : ٢٢٥ ، الامالي للقالي ٢ : ٢٤٥

(٤) الكشف ٢ : ٢٩٢ .

(٥) سورة الاعراف ٧ : ٥٠ - ٥١ .

الماء ، والعطش في مفهومها العام (١) وقد فسر النعيم في قوله تعالى (كلا لو تعلمون علم اليقين كَتَرُونَ الْجَحِيمَ ، ثُمَّ كَتَرُوهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ، ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) (٢) . مما يعطينا صورة عن اهمية الماء عندهم وكيف انهم احسوا ان حرمانه عذاب لا يدانيه عذاب ، وان توفره في الجنة نعيم و ثواب فالعربي الذي طالما احس بأذى العطش والظمأ في بيئته الصحراوية ، ثم عرف اللذة في الحصول عليه بعد ظمأ قاتل . هذا العربي يستطيع ان يتصور في الآيات الكريمة مدى العذاب الذي يعذب به المجرمون في النار بحرمانهم من الماء ويستطيع ان يتصور الآيات التي تعرض عطش المجرمين ، وحرمانهم . ومن هنا جاء التأثير العظيم في نفوس العرب من مسلمين ومشركين .

لقد عانى العرب من حرمانهم الماء في بيئتهم الحارة ما عانوا ، تلك البيئة التي يلاقي فيها الحيوان ما يلاقيه الإنسان من شدة القَيْظِ ، والأذى فقد روى الأصمعي انه قيل لأعرابي ما لوَّح جسمك ؟ قال الأداوى والنجم . يريد انه كثير الأسفار فهو يراعي أداوته كم فيها من الماء (٣) . فن الطبيعي اذن ان نجدهم متلهفين الى الماء في مثل هذه الأجواء الشديدة الحر وان يجدوا فيه اعظم النعيم ، وأحسنه ، يفرح العربي ويبلغ غاية سعادته اذا تيسر له شيء من الماء ، ويعتبر الحصول عليه بشارة يبشر بها وفرجاً يمنه الله عليه . قال الراجز :

تَبَشَّرِي بِالرَّفَةِ وَالْمَاءِ الرَّوِيِّ وَفَرَجٍ مِنْكَ قَرِيبٍ قَدْ أَتَى (٤)

(١) راجع ص ١٤٩ .

(٢) سورة التكاثر ١٠٢ : ٥ - ٨ .

(٣) معاني الشعر : ٢٦ .

(٤) شرح القصائد السبع : ١٩٨ ، لسان العرب ١٩ : ٦٣ والبيت غير منسوب الى قائله

ويجن الغربي الى الماء حينئذ الى اهله ، ووطنه ، ومرتع صباه . ولا يجد اجمل من تمنيه شربة ماء يشربها بعد عطش (١) وفخروا بكرمهم الذي لا يمنعه جوع ، ولا عطش ، وانهم يجودون بما لديهم في الخالتين (٢) . ولندرة الماء عندهم صار اعظم ما يمدح به الرجل هو الصبر على تحمل العطش ، وقرنوه بالجمال ذلك الحيوان الذي احبوه لتحمله العطش الشديد في الصحارى الواسعة من ذلك ما يذكر في خبر عامر بن الطفيل حين توفي ، وُنِصِبَ حول قبره حمى ، ان احد ابناء قومه قال لهم : (ضَيْبَةٌ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ أَنَّ اِبَاعِي بَانَ فِي النَّاسِ بِثَلَاثَ : كَانَ لَا يَعْطَشُ حَتَّى يَعْطَشَ الْجَمَلُ ، وَكَانَ لَا يَضِلُّ حَتَّى يَضِلَّ النِّجْمُ . . .) (٣) . كل هذا يعكس اهمية الماء في البيئة العربية ، لانهم عانوا من فقدانه ما عانوا ، فاستطاعوا ان يعرفوا لذة الماء البارد بعد لوعة شديدة وعطش مطن ، وشبهوا به الحديث الجميل الذي يترك اثرأ طيباً في نفوس سامعيه قال القطامي :

فَهُنَّ يَنْبُدْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصْبِنَ بِهِ

مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي (٤)

واذا اراد الشاعر ان يبين شدة وجده ، ووطئه بصاحبه شبهه بوجود الظمان للماء اذا حرم منه . قال امرؤ القيس :

(١) انظر الحيوان ٦ : ٨٦ ، الوحشيات : ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ثمار القلوب :

٤٤٥ ، الحاسة البصرية : الورقة ٣٠٨ (أ) .

(٢) منتهى الطلب : الورقة (٢٤٧) .

(٣) الاغانى ١٥ : ١٣٩ طه لواق وانظر حول حمى الماء مجمع الامثال

. ٣٤ : ٢

(٤) ديوان القطامي : وانظر ايضا الحيوان ٥ : ٤١ .

لَعَمْرُكَ إِنِّي لِأَحِبُّ مَيِّمًا كَحُبِّ مُحَلَّاءٍ ظَمَانَ رَبِّيَا (١)

وانشد ابن دريد لاعرابي قوله :

واني لأهواها وأهوى لقاءها كما يشتهي الصّادي الشّراب المبرّد (٢)

وشدة الشوق الذي يشعر به المحب لا يتصوره الا حرّاً يأكلُ

احشاه ، فاذا اراد المبالغة في اظهار ألمه قال : انه حرٌّ لا بردَ فيه (٣)

وقال الثعالبي : برد الشراب يتمثل به في كل محبوب وعند كل مشتهي (٤)

وأخيراً فقد سئل الأمام علي عن حب المسلمين للرسول (ص) فقال :

(كان والله احب الينا من اموالنا ، واولادنا ، وابائنا وامهاتنا ، ومن

الماء البارد على الظمأ) (٥) .

هذه الصورة الحبية للماء ، وما يلاقيه العرب في بيئتهم الصحراوية

الشحيحة تساعدنا على تصور الجو الرهيب الذي تثيره الآيات الكريمة :

(ونادى اصحابُ النارِ اصحابَ الجنّةِ أنْ أفيضوا علينا من الماءِ أوْ

مما رزقكم اللهُ ، قالوا : إنّ اللهَ حرّمهما على الكافرين) (٦) .

فهذه الآيات وحدها كافية لأثارة الجو الرهيب في نفس الانسان ، فكيف

(١) ديوان امرىء القيس : ٢٥٩ .

(٢) الامالي للقالبي ١ : ٣٣ ، وانظر ايضا اراجيز العرب : ٦٧ ، والبيت

منسوب للاحوص الشاعر الاسلامي المعروف في الاغاني ١١ : ٢٢ وانظر ايضا

زهر الاداب ٢ : ٣٧٢ ، التنبيه على اوهاام ابي علي : ٢٧ .

(٣) الحيوان ٥ : ١٩٢ ، الصناعتين : ٧٧ ، الكامل للمبرد ٢ : ٦٠٦ ،

الأمالي للقالبي ٢ : ١٩٢ .

(٤) ثمار القلوب : ٤٩٩ ، وانظر ايضا النهاية في غريب الحديث ١ : ٧١ .

(٥) الكامل للمبرد ٢ : ٦٠٧ ، ثمار القلوب : ٤٩٤ .

(٦) سورة الاعراف ٧ : ٥٠ .

بالعربي الذي يرى في حرمان الماء عذاباً لا يدانيه عذاب ؟ ان الآيات
الكريمة تثير في ذهنه معالم بيئته القاسية التي عرف فيها اهمية الماء ، وما
يصيب الانسان من الأذى والحرمان حين يُحْرَم منه او يفتقره في مجاهل
الصحراء وفيافها ، . . . !

انها مشاهد رهيبية تثيرها الآيات الكريمة في رسم صور العذاب بالعطش
والحرمان من الماء حين يطلب اهل النار من اهل الجنة ان يفيضوا عليهم
شيئاً من الماء يروي عطشهم ، ولكن الرد يأتيهم قاسياً رهيباً ، اذ لارحة
لاهل النار ، ولا يفيض اهل الجنة عليهم بشيء من الماء ، حتى اذا بلغ
بهم الظمأ مداه ، وَقَطَّعَتْ اِمْعَاؤُهُمْ لَهْفًا عَلَى الْمَاءِ ، سُقُوا شَرَابًا حَارًّا
واي شراب ؟ انه شرابٌ صُورٌ بغدة تعابير ، كل منها يعطي صورة
مفزعة ، فهو تارة الحميم ، واخرى الغساق ، وَيُشَبَّهَ مَرَّةً بِالْمُهْلِ ،
وبالصديد مرة اخرى :

أ - الحميم :

ورد الحميم في الآيات الكريمة محاطا بسياق عام يعرض عذاب جهنم
الأليم ، ولظاها المحرق ، ففي سورة الدخان عرضت الآيات الكريمة طعام
اهل النار الذي يغلي في بطونهم ويؤذيهم ، فيأتي الشراب ليغلي هو الاخر
في بطونهم ، ويزيد عذابهم (ان شجرة الزقوم طعام الأثيم ، كالمُهْلِ
يَغْلِي فِي الْبَطُونِ كَغَلِي الْحَمِيمِ ، تُخَذَّرُهُ ، فاعتلوه الى سواء الجحيم
ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ، ذُقْ لَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ

(١) ورد في خمس عشرة آية انظر المعجم المفهرس : ٢١٢ .

الكريم) (١) ، وقال تعالى ايضا : (أذلك خَيْرٌ نَزَّلْنَا أَمْ شَجَرَةٌ
الزَّقُومِ ؟ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ إِنهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ
طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ، فَإِنَّهُمْ لَا كَلُونَ مِنْهَا ، فإلثونَ منها
البطونَ ، ثم إنَّ لهم عليها أشوباً من حميم ، ثمَّ إنَّ مَرَجَعَهُمْ إِلَى
الْجَحِيمِ) (٢) . وفي سورة الرحمن صورَ المجرمون وهم يطوفون في جهنمَ
بينَ الحميمِ ، والماءِ الحارِ الذي بلغ أقصى درجات الحرارة : (يُعْرَفُ
الْمَجْرُمُونَ بِسَيِّئَاتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ، فبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا
تُكذِّبان ؟ هذه جهنمُ التي يُكذَّبُ بها المجرمون ، يطوفونَ بينها وبينَ
حميمٍ آن) (٣) . وفي سورة الواقعة نجد وصفا دقيقا لهذا الشراب المؤذي
الذي يلجأ إليه المجرمون بعد ان يحرق الزقوم بطونهم ، فيشربون من الحميم
فلا يرتوون ، بل يزيد اذاهم ، وعطشهم ، ويشبهون بذلك الابل الهيم :
(ثُمَّ لَإِنَّا لَنَكْتُمُ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ ، لَآ كَلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُومٍ
فإلثون منها البطونَ ، فشاربونَ عليه من الحميمِ ، فشاربونَ شَرِبَ
الْهَيْمِ ، هذا نُزِّلْنَاهُمْ يَوْمَ الدِّينِ) (٤) . ونجد في صفة هذا الشراب
ايضا انه يقطع الامعاء لشدة حرارته : (وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ
أَمْعَاءَهُمْ) (٥) .

لقد فسر بعض المفسرين الحميم في الآيات السابقة بانه الماء الحار

(١) سورة الدخان ٤٤ : ٤٣ - ٤٩ .

(٢) سورة الصافات ٣٧ : ٦٢ - ٦٨ .

(٣) سورة الرحمن ٥٥ : ٤١ - ٤٤ .

(٤) سورة الواقعة ٥٦ : ٥١ - ٥٦ .

(٥) سورة محمد ٤٧ : ١٥ .

المغلي الذي تنهى حره ، وبلغ اقصى الدرجات (١) : وقال اخرون ان الحميم دموع اعين المجرمين في النار ، تتجمع في خنادق فَيُسْتَقْوَنه (٢) . وكلا التفسيرين يعطي معنى واحداً هو أن ما يُسقى منه المجرمون شراب شديد الحرارة ، سواء كان مغلياً او كان دموع المجرمين الحارة . ومن الضروري تتبع دلالة الكلمة ، ومعانيها في اللفظ العربي لمعرفة الاجزاء الذي تثيره الآيات الكريمة .

فالحر في الصحراء العربية - وقد مرت بنا صورته - جعل العرب يكثر من وصف شدة القيظ والايام الحارة ، فسموا القيظ الحميم (٣) وقالوا حُمَّة الحر وشدته (٤) . وقد وردت بهذا المعنى الحسي في القرآن الكريم ايضاً حين ذُكرت اموال الباطل ، وكيف انها تُجْمى عليها في نار جهنم ، ويكوى بها اصحابها (٥) ، ووصفت النار بالحامية لشدة حرارتها (٦) وكذلك وردت في الحديث النبوي الشريف (٧) . ومن هنا اطلق الحميم على كل ما اشتدت حرارته ، فاطلق مثلاً

-
- (١) تنوير المقياس : ٨٩ ، مجاز القرآن ١ : ٢٧٤ ، جامع البيان ١٧ : ١٣٣ ، ٣٠ : ١٣ ، تفسير القمي : ٣٤٦ ، التبيان ٨ : ٥٠٣ ، الكشاف ١ : ٥١١ .
- (٢) جامع البيان ٣٠ : ١٣ .
- (٣) الازمنة لقطرب : ٤٥ ، النوادر ١ : ١٥ ، الصحاح ٥ : ١٩٠٥ ، لسان العرب ١٥ : ٤٣ .
- (٤) الصحاح ٥ : ١٩٠٤ ، لسان العرب ١٥ : ٤٢ .
- (٥) سورة التوبة ٩ : ٣٥ .
- (٦) سورة الغاشية ٨٨ : ٤ .
- (٧) مسند الامام احمد ١ : ٨٣ ، ٢٠٧ ، ٢٦٢ .

على العيون الحارة التي وجدت في بعض أنحاء الجزيرة العربية وسمّوها الحُمّة (١) .

ومن ثم اطلق الحميم على كل ماء حار (٢) . اما العرق الذي اطلق عليه الحميم (٣) فقد سمي بذلك على التشبيه ولانه لاينخرج من مسامات جسم الانسان الا عند اشتداد الحر اما الحميم الذي هو القريب او الصديق والذي ورد في القرآن الكريم ايضا (٤) فقد علل الراغب تسميته بانه يحتد لحماية ذويه (٥) .

وفي كل هذه المعاني المتعددة للكلمة نجد انها تعني شدة الحر وبلوغه اقصى الدرجات وهو المعنى الذي فسرت به الآيات الكريمة بان المجرمين حين تشويهم النار بلظاها فيتمنون ماء يطفئون به غليلهم ويخففون به شدة الحر وعذاب النار ، فاذا بهم يسقون ماء بلغ في غليه اقصى درجات الحرارة فيقطع امعاهم ، ويزيد عذابهم .

وورد الحميم في آيتين على انه وسيلة من وسائل التعذيب الجسدية بالاضافة الى اعتباره شرابا قاسيا (هذان خصمان اختصموا في ربهم

(١) صاحب العين عن المخصص ١٠ : ٢٣ ، جمهرة اللغة ١ : ٦٤ ، الصحاح ١٩٠٤ : ٥ .

(٢) ابو عبيدة وابن السكيت عن المخصص ١٠ : ٣٣ ، جمهرة اللغة ١ : ٦٤ ، الصحاح ١٩٠٤ : ٥ .

(٣) صاحب العين عن المخصص ٩ : ١٣٩ ، جمهرة اللغة ١ : ٦٤ ، المسلسل : ٢٨٧ ، المفردات : ١٢٩ وانظر الشعر في شرح ديوان لبيد : ١٣٢ ، ديوان النابغة الجعدي : ١١ ، ديوان المزدرد بن ضرار : ٤١ ، شعر المثنقب العبدي : ٢٥ .

(٤) انظر المعجم المفهرس : ٢١٢ .

(٥) المفردات : ١٣٩ .

والذين كَفَرُوا قَطَّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ، يُصْهِرُ بِهِ مَا فِي بَطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ، وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ (١) ففي هذه الآيات نجد تصويراً معجزاً رائعاً لشدة حرارة الحميم ، فهو إذا صب على رؤسهم صهر جلودهم ، وبطونهم ، ومع ذلك يعادون إلى خلقتهم الأولى ، ليعاد عذابهم ، وقوله تعالى ولهم مقامع من حديد يزيد تصوير شدة حرارة الحميم الذي يصب على رؤوس المجرمين ، وقد قنعوا بالحديد ، فيلهب بجمراته رؤسهم ، وينفذ الحميم إلى بطونهم فيذوبها ، فتتشكل الصورة الكاملة لعذاب الحريق مع الشراب الحار الذي يسقونه ، ويصب على رؤوسهم .

ب - الصديد :

أما الصديد فقد وصف به الماء الذي يغاث به الجرمون في النار حين يشتد عطشهم (واستفتحوا ، وخاب كل جبار عنيد ، من ورائه جهنم ، ويسقى من ماء صديد ، يتجرعه ، ولا يكاد يسيغه ، ويأتيه الموت من كل مكان ، وما هو بميت ، ومن ورائه عذاب غليظ) (٢) .

فقد فسر الصديد بأنه ما يخرج من اجساد المعذبين في النار من قيح ودم (٣) . وهكذا عرفه العرب في حياتهم ، وتعابيرهم

(١) سورة الحج ٢٢ : ٢٠ - ٢١ .

(٢) سورة إبراهيم ١٤ : ١٥ - ١٧ .

(٣) تنوير المقياس : ١٦١ ، مجاز القرآن ١ : ٣٣٨ ، جامع البيان ١٣ : ١٩٥ .

التيبان ٦ : ٢٨٣ ، الكشاف ٢ : ١٧٥ ، النهاية في غريب الحديث ٢ : ٢٥٤ .

اللغوية (١) ، وهذا المعنى الذي فسرت به الآية الكريمة يعطي ايجاء رهيبا
 اضافة الى ايجاء العطش ، والحرم من الماء ، لانه يوحي بالاذى والالم
 الشديد ، فهو يخرج من اجساد المعذبين ، وحروقهم في النار ، ومع ذلك
 لا يجدون شراباً غيره فيضطرون الى شربه وتجرعه ، ولكنهم لا يستطيعون
 احتماله ، لانه لا يشفي غليلهم اولا ، ولأنه يثير التقزز في النفوس ثانيا
 فيتمنون الموت ، ولكنهم لا يموتون ، لانهم قد كتب عليهم العذاب
 الأزلي الدائم .

ج - المهل :

ومثل الصديد فسر بعضهم المهل في قوله تعالى : (وُقِلَ الْحَقُّ مِنْ
 رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ ، ومن شاءَ فَلْيُكْفِرْ ، إنا اعتدنا للظالمين
 نارا احاطَ بهم سُرادِقُهَا ، وان يَسْتَسْعِفُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي
 الوجوه ، بِئْسَ الشَّرَابُ ، وساءتْ مُرْتَفَعًا) . (٢) الا ان في الآية
 الكريمة ايجاء آخر غير معنى الجروح والقروح ، وهو معنى المهل الذي
 فسره معظم المفسرين بالنحاس الذائب كما مر بنا سابقاً (٣) . فهذا المعنى
 يزيد الآية ايجاء آخر ، ذلك ان الماء الذي يُغاث به المجرمون يغلي كغليان
 النحاس والمعدن ، ولشدة غليانه يحرق الوجوه ، ويشويها ، فكيف بهم
 اذا أُجبروا على شربه وتجرعه ! ! وهو في هذه الحالة مقرز غير سائغ

(١) الغريب المصنف الورقة : (١١٢) ، جمهرة اللغة ٣ : ١٩٠ ، الصحاح

١ : ٤٩٣ ، مقاييس اللغة ٣ : ٢٨٢ ، المخصص باب الجراح والقروح ٥ : ٩١

(٢) سورة الكهف ١٨ : ٢٩

(٣) راجع : ص ٨٣

كالصديد والقيح ، ومثل هذا فسر بعضهم الغساق في قوله تعالى : (إنَّ
 جهنمَ كانتَ مرصداً ، للطاغينَ مآباً ، لا يثينَ فيها أحقاباً ، لا يذُوقونَ
 فيها برّداً ، ولا شراباً ، الا حميماً وَّغَسَّاقاً) (١) ، فقالوا انه ما يسيل
 من جلودهم من الصديد ، والقيح (٢) . وقالوا في تفسير البرد في الآية
 الكريمة بانه سبحانه وتعالى حرّم على الكافرين الشراب البارد الذي يبرد
 حر السعير (٣) ، فهم لا يسقون إلا الحميم والغساق . وقد اجتمعت
 في هذا الشراب شدة الحرارة ، وتنن الرائحة . وقال بعضهم البرد هنا
 النوم . ويبدو ان المعنى الأول اكثر انسجاماً مع سياق الآيات العام الذي
 يعرض شدة العطش والحرقان من الماء البارد الا الشراب الذي يزيد عطشهم
 ويحرق ابدانهم . هذه التعابير تجتمع كلها لتصور شراب أهل النار على
 انه وسيلة من وسائل التعذيب اضافة الى معاناتهم لهب النار ، ولظاها المحرق
 ومن الواضح ان اطلاق الشراب على هذا الضرب من العذاب انما صدر
 عن سخيرية لاذعة بالمجرمين ، حين تقطع اعاؤهم عطشاً ، فيغاثون بماء
 لا يروي غلتهم ، ولا يفيدهم فائدة الماء ، ولكنهم يشربون منه ، لأنهم
 لا يجدون شراباً غيره ، ولان الطعام الذي يتجرعونه يزيد عطشهم ويحرق

(١) سورة النبأ : ٧٨ - ٢١ - ٢٥

(٢) جامع البيان : ٣٠ : ١٣ ، الكشاف : ٣ : ١٨ ، وكذا قال اللغويون انظر

شواهد الشعر في المفضليات : ٢٩ ، الوحشيات : ٢٢٦

(٣) تنوير المقياس : ٣٧٩ ، جامع البيان : ٣٠ : ١٢ ، تنزيه القرآن : ٣٦١

الكشاف : ٣ : ٣٠٦

(٤) تنوير المقياس : ٣٧٩ ، جامع البيان : ٣٠ : ١٢ ، الكشاف : ٣ : ٣٠٦ ،

وانظر ايضاً المداخل : مجلة المجمع العلمي العربي ٩٢ : ٨ : ٤٦٠

بطونهم ، فيشربون من هذا الشراب دون ان يجدوا فيه لذة الشراب
ونعيم الماء :

وعذاب العطش والحرقان من الماء صور في آية أخرى بتعبير رائع
يجعل من صورة العطش لوعة دائمة التجدد ، تتجسد فيها صور في البيئة
العربية قال الله سبحانه وتعالى : (ثُمَّ اَنْكُمْ اِيهَا الضالون المكذبون لا ياكلون
من شجر من زقوم ، فالتون منها البطون ، فشاربون عليه من الحميم
فشاربون شرب الهيم ، هذا نُزْلُهُمْ يوم الدين) (١) .

ففي هذه الآيات الكريمة ترسم لنا صورة العطش الدائم ، والحرقان
الأزلي من الماء ، وشبه شربهم المتواصل الذي لا يجديهم بشرب الهيم .
وقد اختلف المفسرون في تفسير الهيم ، فقال بعضهم ان الهيم
(هي الابل الظماء اذا اخذها الداء الهيام لا تكاد ان تروى) (٢) :

وقال آخرون بان الهيم هي الابل العِطاش ، ولم يخصوها بالمرضى
قال ابن عباس : (وقيل كشرب الابل العطاشى اذا اكلت الحمض) (٣)
وكذا قال اللغويون (٤) . وقد اعتمد المفسرون في هذا التفسير على معنى
عرفوه في بيئتهم ، وكثر استعماله في لغتهم وتعابيرهم ، ذلك انهم اعتادوا

(١) سورة الواقعة ٥٦ : ٥١ - ٥٦

(٢) تنوير المقياس : ٣٣٩ ، جامع البيان ٢٧ : ١٩٥ ، التبيان ٩ : ٥٠٢

الكشاف ٣ : ١٩٥

(٣) تنوير المقياس ٣٣٩ ، وانظر ايضاً جامع البيان ٢٧ : ١٩٥ - ١٩٦

(٤) جمهرة اللغة ٣ : ١٨٢ ، الصحاح ٥ : ٢٠٦٣ ، اساس البلاغة : ١٠٧١

لسان العرب ١٦ : ١١٠ ، ديوان السماخ : ٨٥

ان يراقبوا ابلهم في حاله صحتها ، ومرضها ، فعرفوا فيها داء اسمه الهيام وهو (داء يصيب الابل من ماء تشربه مستنقعا) (١) . وقال ابن السكيت (الهيامُ داءٌ ياخذ الابل عن بعض المياه بتهامة) (٢) . وقد عرف الجغرافيون العرب هذا الضرب من الماء في وصفهم لانحاء الجزيرة العربية فذكره عرام في وصفه لواد شس في تهامة فقال وهو بلد مهيمه موباة ، لا تكون بها الابل ، ياخذها الهيام عن نقوع بها ساكرة لا تجري قال الشاعر :

كَأَنَّكَ مَرْدُوعٌ شَسَّ مَطَرْدٌ
يَفَارِقُهُ مِنْ عُقْدَةِ السَّبَقِ هَيْمَهَا (٣)

أي كأنك جمل مبعود عن وادي شس مصاب باوجاع مؤلمة ، يريد ان يفارقه ، وخصت هذه المنطقة بالذكر ، لانها موباة بمرض الهيام ، واذا كان هذا الماء الذي يسبب مرض الابل قد عرف بعينه في منطقة تهامة ، وعرفوا نتائجه الوخيمة على ابلهم فن الجائز ان نجد ماء راكدا مثله في مناطق أخرى من الجزيرة العربية يسبب مرض الهيام ايضاً ، ومن هنا نجد شيوع استعمال كلمة الهيام في اشعارهم ، ووصفهم لابلهم . قال الحادرة (٤) :

(١) الغريب المصنف : الورقة (٤٠٢)

(٢) عن الخخص ٥ : ٣٧ . وانظر ايضاً ٧ : ١٧٠

(٣) اسماء جبال تهامة : ٢٩ ، والبيت غير منسوب لقائله ، وانظر ايضاً

معجم البلدان ١ : ٦٧٢

(٤) الحادرة لقب غلب عليه ، والحويدرة ايضاً اسمه قطبة بن اوس بن محضن من

شعراء قيس ، شاعر جاهلي مقل ، وانما سمي الحادرة لقول زبان بن صبار الفزاري

كَأَنَّكَ حَادِرَةٌ الْمَنَكَيْنِ رِصْعَاءُ تَنْقُضُ فِي حَائِرِ

انظر ديوان المفضليات : ٤٨ - ٤٩ ، الآغاني ٣ : ٧٩

أودى السِّفَارُ برمها فتخالها هيماً مُقَطَّعةً حبال الأذرع (١)
 أي ذهبت كثرة الاسفار بلحوم هذه الابل ، وشحومها ، واصابها
 الهيام فنفسد عروقها وقطعها ، لانها تشرب من الماء فلا تروى . وقال لبيد :
 أجزتُ الى مغارِ فيها بُشَعْتُ واطلّاح من العيدي هيمٌ (٢)
 هذه الصورة للابل العطاشى المريضة قد علقت في اذهان العرب
 وشعرائهم ، فجعلوا منها مادة لا تنضب لتشبيهاتهم ، واخيلتهم . قال اعرابي :
 فما وَجَدَ ملواحٍ من الهيمِ حِلِيَّتْ عن الماءِ حتى جوفُها يَتَصَلِّصُ
 تحومٌ وتغشاها العصيُّ وحولها اقاطعُ أنعامٍ تُسَعْلُ وتسهلُ
 بأكثرِ مني عُلةً وتَعَطُّفًا الى الماءِ الا اننى أتَجَمَلُ (٣)
 فصورة الابل المصابة بمرض الهيام ، المتشوقة الى الماء الدائمة العطش
 الا انها محرومة يمنعها اصحابها عن الورد بالضرب والعصي ، ومع ذلك
 ترى امامها الأنعام ترد الماء وترتوى منه ، فيزيد وجدها وتشوقها الى الماء
 هذه الصورة شبه بها الاعرابي حاله في شدة عطشه الا انه اكثر صبراً
 وتحملاً من الابل الهيم ، والاعرابي في هذه التشبيهات انما استند على صورة
 اعتادها في الصحراء الواسعة .

ومن هنا جاء تفسير المفسرين لقوله تعالى : (ثم انكم ايها الضالون
 المكذبون ، لا تاكلون من شجر من زقوم ، فالتون منها البطون ،

(١) المفضليات : ٤٧ ، وانظر ايضاً قول ربيعة بن مقروم : ١١٨

(٢) شرح ديوان لبيد : ١٠٣

(٣) الحيوان ٣ : ١٠٤ ، وانظر شواهد شعرية أخرى في ديوان عامر بن

الطفيل : ٣٢ ، ديوان شعر ذى الرمة : ٥٨٨ ، تاريخ العرب للاصمعي : ١٠٣

الصحاح ٥ : ٦٠٣

فشاربونَ عليه من الحميمِ ، فشاربونَ شربِ الهيمِ (١) وذلك ان عطش اهل النار الشديد يجعلهم يشربون من الماء المغلي فلا يرتوون ، بل يزداد عطشهم ، وألمهم ، ومثلهم في هذا مثل الابل الهيم التي مرت بنا صورها ، والتي اعتادها الغرب في بيئتهم .

اما التفسير الثاني للاية الكريمة فقد ذهب به بعضهم بعيدا عن معنى الابل العطاشى فقالوا (الهيم هي الارض السهلة) (٢) . وقال الطبري (يقال ان الهيم الرمل ، بمعنى ان اهل النار يشربون الحميم شرب الرمل الماء) (٣) . وقد استمد المفسرون هذا المعنى من استعمال لغوي للكلمة عرفه العرب ، وشاع استعماله ايضا ، وهو اطلاقهم الهيام على نوع من الرمل . قال الاصمعي (الهيام الذي لا يتالك ان يسيل من اليد من لينه) (٤) ، قال لبيد :

تجتافُ أصلاً قاصاً مُتنبذاً بعُجوب أنقاءِ يميلُ هيامها (٥)
يقول ان هذه البقرة تدخل نفسها في جوف شجرة كبيرة ، بعيدة عن المسالك نابتة في اطراف كثبان تنهال رمالها بسرعة وقال ايضاً :

(١) سورة الواقعة ٥٦ : ٥١ - ٥٦

(٢) تنوير المقياس : ٣٣٩ .

(٣) جامع البيان ٢٧ : ١٩٥ ، الكشاف ٣ : ١٩٥ .

(٤) عن الغريب المصنف : الورقة ٢١٤ ، وانظر ايضاً مجالس ثعلب

٢ : ٤٦٨ ، جمهرة اللغة : ٣ : ١٨٢ ، الصحاح ٥ : ٢٠٦٣ ، اساس البلاغة : ١٠٧١

لسان العرب ١٦ ، ١١٢ .

(٥) شرح ديوان لبيد ٣٠٩ ، والشطر الثاني من شواهد الخليل في العين ١٤

والاصمعي في النخصص ١٠ : ١٤٥ .

يَزَعُ الهَيَامَ عن الثرى ويمدّه "بَطْح" تَهَائِلُهُ على الكَثْبَانِ (١)
 هذا الرمل الذي يتساقط بسرعة ، ويسيل منها لادنى حركة لايمسك
 الماء اذ سرعان ما تبطلعه ذراته ، وتغور به ، فلا يبقى له اثر ، وهي
 صورة تشبه صورة الابل الهيم التي لايجديها الماء شيئاً ، فمها شربت عادت
 الى حالها الاولى من لوعة العطش والتشوق الى الماء وفي كلا الصورتين
 نجد معنى ماديا وثيق الصلة بالبيئة العربية بحيث يصعب علينا تحديد دلالة
 الكلمة الاولى .

وهكذا يعرض لنا تعبير الهيم في الآيات الكريمة صورة العطش الدائم
 واللوعة المستمرة التي يعانها المجرمون يوم القيامة ، كما يعكس لنا صورة
 من البيئة العربية . صورة الابل المريضة بالهَيَام تشرب الماء فلا ترتوي ،
 وصورة الرمل المنهال الذي لا يمسك الماء ، ولا يحفظه ، وهي صورة
 تكمل ملامح عذاب المجرمين في النار حين يسقون الطعام المؤذي الذي يلهب
 بطونهم ، فيشربون فوقه شرابا حارا يزيد عطشهم ويلهب احشاءهم .

٦ - طعامهم :

اما طعام اهل النار فقد صور في القرآن الكريم بعدة تعابير تجتمع
 كلها لاثارة جو رهيب لصنف آخر من صنوف عذاب المجرمين في النار .

أ - الضريع

قال الله تعالى : (وجوهٌ يومئذٍ خاشعَةٌ ، عامِلةٌ ناصبةٌ ، تصلى

(١) شرح ديوان لبيد : ١٤٤ .

ناراً حاميةً ، تُسقى من عين آتيةٍ ، ليس لهم طعامٌ الا من ضريعٍ
لا يسمنُ ولا يُغني من جوعٍ (١) . فقد سمي طعام المجرمين بالضريع
ووصف بانه لا يسمن ولا يشبع كما هو معروف في طعام الناس . وقد
اختلف المفسرون في تفسيره ، فقال بعضهم : (لا ادري ما الضريع ، لم
اسمع عن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فيه شيئاً) (٢) ، وقال
آخرون ان الضريع شجر من نار (٣) .

وقرن فريق من المفسرين الضريع بنبات عهدوه في البيئة العربية ،
وعرفوا ميزاته وصفاته قال ابن عباس : (شوك يكون في البادية) (٤)
وقال ابن قتيبة مفسراً الضريع بانه (نبت يكون في الحجاز ، يقال لوطبه
الشبرق ، لا يسمن ، ولا يشبع ، قال امرؤ القيس :

فاتبعتهم طرْفِي وقد حالَ دونهم غواربُ رَمَلِ ذِي أَلَاءِ وشِبْرِقِ
والعرب تصفه بذلك) (٥) . وقال ابن قتيبة ايضاً ان (الضريع
من اقوات الانعام ، لا من اقوات الناس ، واذا وقعت فيه الابل لم تشبع
وهلكت هزلا قال الهذلي يذكر ابلا وسوء مرعاها :

وَحَبْسَنَ فِي هَزْمِ الضَّرِيْعِ فَكَلَّهَا حَدَبَاءُ دَامِيَةُ الْيَدَيْنِ حَرَوْدُ (٦)

(١) سورة الغاشية ٨٨ : ٢ - ٦ .

(٢) هو قول الحسن البصري في التبيان ١٠ : ٣٣٤ - ٣٣٥ .

(٣) تاويل مشكل القرآن : ٤٨ ، جامع البيان ٣٠ : ١٦٢ وانظر ايضاً

متشابهات القرآن ٢ : ١١٦ .

(٤) اللغات في القرآن : ٥٤ .

(٥) تاويل مشكل القرآن : ٤٨ ، والبيت في ديوان امرئ القيس ١٦٩ ،

وانظر ايضاً النهاية في غريب الحديث ٣ : ١٨ .

(٦) تاويل مشكل القرآن : ٤٩ ،

وهذا البيت لقيس بن خويلد بن العيزارة (١) في ابيات يرثي بها
اخاه وروايته في الديوان :
وَحَبِيسُنَ فِي هَزْمِ الضَّرِيْعِ فَكَلَّهَا حَدْبَاءُ دَامِيَةَ الْيَدَيْنِ جَدُودُ (٢)
وهي ارجح من رواية ابن قتيبة ، لأنها تبين صورة الابل التي شبه
بها الشاعر القوم الذين يقفانون مالا يشبعهم ، بانهم كالابل التي حبست ،
ومنعت الا من اكل الضريع - وهو الشبرق - فهزلت وبدت عظامها ،
وانقطع لبنها .

وقال آخرون ان الضريع هو الحجارة (٣) ، ولا يوجد في
استعمال الكلمة اللغوي ما يساعدنا على فهم الضريع بانه الحجارة . اما
الذين قالوا بان الضريع شجر من نار (٤) ، فانما ردوا بقولهم على من
اعترض على وجود طعام في النار التي تحرق كل شيء .

ويبدو ان اقرب هذه التفسير هو قول من قال ان الضريع نبت
معروف في الجزيرة العربية ، وليس المقصد من هذا اطعامهم ، ضربا من
الطعام ، انما المراد السخرية بالمجرمين ، ذلك لان الناس تاكل لتزيد قواها
وتشبع ، اما طعام اهل النار فانه لا يغني من جوع ولا يسمن ابداً ، وله
صورته الواضحة في البيئة العربية ، فقد اعتاد العرب النباتات المتوفرة في
بيئتهم ، وخبروا انواعها ، وما يفيد حيوانها ، وما يضره ، فكان من بينها

(١) شاعر جاهلي من بني هذيل ، والعيزارة امه ، وبها يعرف ، وهو قيس
ابن خويلد ، اسرته فهم فافلت منهم ، واخذ سلاحه تأبط شرا . انظر شرح
اشعار الهذليين ٢ : ٤٨٩ .

(٢) شرح ديوان الهذليين ٢ : ٥٩٨ ، وانظر ايضا الصحاح ١ : ١٠٨ ، ٤٦١ ،

(٣) جامع البيان ٣٠ : ١٦٢ .

(٤) انظر : ص ٢٤٧

ضرب خاص من النباتات اذارعت فيه حيواناتهم ساءت حالها وتدهورت صحتها ، وذلك هو الشبرق اليابس الذي اطلقوا عليه اسم الضريع (١) . ومن هنا فخرؤا بنحولهم القوية ، واعتنائهم بها ، وكيف انهم لا يطعمونها الا الطعام الجيد لا الضريع المؤذي :

أَلَا مَنْعَتُ نُثَالَةَ بَطْنِ وَجٍ بِجُرْدٍ لَمْ تُبَاحَتْ بِالضَّرِيعِ (٢)
ومن هذا النبت الذي يهزل الابل ويضعفها اطلقوا تعبير الضرع على الضعف والذل بصورة عامة (٣) : لان من يضعف ، ويهزل تذل نفسه ، وتسكن ومن هنا فسر بعضهم الضريع بقولهم : (الضريع بمعنى المُضْرَعُ أي يضرعهم) .

وهذا المعنى المتطور من الاصل المادي يساعدا على فهم الآية الكريمة وذلك انه ما دام طعام اهل النار لا يسمن ، ولا يغني من جوع ، وانه الضريع الذي اذا اكلته الابل هزلت قواها ، فان هذا الطعام يؤدي حتماً الى ضعف قواهم وهزلم ، وانما سمي طعاما (من حيث يستطيع) (٤)

(١) انظر الفاخر : ١٠٧ ، جمهرة اللغة ٢ : ٣٦٢ ، فقه اللغة : ٤٧

الحكم ١ : ٢٥٠

(٢) الفاخر : ١٠٧ ، والبيت منسوب للملك بن عوف الغامدي في اساس

البلاغة : ٣٢

(٣) جمهرة اللغة ٢ : ٣٦٢ ، الصحاح ٣ : ١٢٤٩ ، تمام فصيح

الكلام : الورقة ١٥ ، مقاييس اللغة : ٣٩٥ ، الحكم ١ : ٢٤٩ ، وانظر شواهد

الشعر في ديوان الاعشى ٣٩ : ١٠٩ ، المفضليات : ٢٠١ ، الوحشيات : ٢٣

١٢٢ الحماسة البصرية : الورقة (ب) . وكذا وردت في القرآن الكريم

انظر سورة المؤمنون ٢٣ : ٧٦

(٤) تنزيه القرآن : ٣٥٣

أو (أريد انه لا طعام لهم اصلاً ، لان الضريع ليس بطعام للبهائم فضلاً عن الانس ، لان الطعام ما اشبع ، او اسمن ، وهو منهما بمنزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس ، تريد نفي الظل على التوكيد) (١) :
وهذا الجوع المهزل الذي يعذب به المجرمون تضاف اليه شدة العطش ، والحرم من الماء ، فتكتمل صورة المعذبين في النار وما يلاقونه من صنوف العذاب والأذى :

ب - الزقوم :

وهناك تعبير آخر يخص طعام اهل النار ونجد فيه وصفاً للشجرة التي يأكل المعذبون منها . قال الله تعالى : (الاّ عبادَ الله المخلصين أولئك لهم رزقٌ معلومٌ ، فواكهٌ وهم مكرمون ، في جناتِ النعيمِ على سُرُرٍ متقابلينَ ، يُطافُ عليهم بكأسٍ من مَعِينٍ ... أذلك خيرٌ نُزُلًا أم شجرة الزقومِ ؟ انا جعلناها فتنَةً للظالمينَ ، انها شجرةٌ تخرجُ في اصلِ الجحيمِ ، طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ فانهم لا ياكلونَ منها فالتون منها البطونَ ، ثم انّ لهمُ عليها لشوبا من حميمٍ ، ثم إن مرجعهم ، لالى الجحيمِ) (٢) ، وقال تعالى ايضاً واصفاً ثواب أهل الجنة معددا نعمهم (واصحابُ اليمينِ ، ما اصحابُ اليمينِ ؟ في سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ وظل ممدود وماءٍ مسكوبٍ وفاكهةٍ كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة) (٣) . وقال سبحانه وتعالى واصفاً عذاب المجرمين وطعامهم : (ان شجرةَ الزقومِ طعامٌ الاثيمِ ، كالمُهْلِ يغلي في البطن

(١) الكشاف ٣ : ٣٣٢

(٢) سورة الصافات ٣٧ : ٤١ - ٦٨

(٣) سورة الواقعة ٥٦ : ٢٦ - ٣٤

كغلي الحميم ، أخذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم (١) ففي هذه الآيات الكريمة مقابلة رائعة بين شجرة الزقوم التي يأكل المجرمون منها فتملاً بطونهم ، وغلي فيها كغلي الحميم ، وبين صورة المؤمنين الآمنين في جناتهم حيث الفاكة المتنوعة ، ولحوم الطير ، وكل ما تشتهيهم أنفسهم .

وطعام المجرمين في هذه الآيات الكريمة عبر عنه بشجرة الزقوم ، الا ان المفسرين لم يفسروا لنا ماهية هذه الشجرة ، لأنهم لم يعرفوا شجرة بعينها في بيئتهم تسمى الزقوم ، ولكن في أذهانهم صورة لها ، ذلك لأنهم اعتادوا ان يسموا كل طعام ثقيل بالزقوم (٢) . وقد اعترض ناس على وجود شجرة في النار التي تحرق كل شيء ، وان هذه الشجرة لا يعرفها العرب فكيف خاطبهم الله سبحانه وتعالى بما يجهلون ؟ قال القاضي عبد الجبار بن احمد راداً على هؤلاء : (وجوابنا أنه اذا وصف حالها صح التخويف بها ، ولذلك قال الله تعالى (كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم) (٣) . وقال ايضاً (وربما قيل في قوله تعالى (ثم إنكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم) كيف يصح التوعد بما لا يعرف من جملة الأشجار ؟ وجوابنا ان لفظة الزقوم معروفة بأنها تستعمل في الكريه من الأشياء فجاز ان يتوعد الله تعالى بذكرها) (٤) . روي انه لما نزلت الآيات الكريمة بذكر الزقوم لم يعرفه العرب فقال ابو جهل : هذا شجر لا ينبت بأرضنا فن منكم يعرفه ؟ فقال رجل

(١) سورة الدخان ٤٤ : ٤٣ - ٤٨

(٢) لسان العرب ١٥ : ١٦١ ، النهاية في غريب الحديث ١ : ١٢٨

(٣) تنزيه القرآن : ٣٥١

(٤) ن . م

من افريقيا الزقوم بلغة افريقيا الزبد والتمر : فقال ابو جهل يا جارية
 هات نمرأ وزيداً نزد قمه ؟ فجعلوا يأكلون ويتزقمون ويقولون : ابهذا
 يخوفنا محمد في الآخرة ؟ فبين الله تعالى في آية أخرى الزقوم بقوله
 (انها شجرة تخرجُ في اصلِ الجحيمِ) . ومن هذه الرواية يتبين لنا
 ان العرب لم يعرفوا شجرة بعينها تسمى الزقوم . واذا كان هذا الأفريقي
 - ان صحت الرواية - قد ادعى انها عندهم التمر والزبد ، وان أبا جهل
 استغل قوله للسخرية من الرسول الكريم (ص) فقول الأفريقي هذا
 يؤكد لنا جهل العرب في بيئتهم بالزقوم ، أما دلالتها على الطعام الثقيل
 او المكروه فانما عرفت بعد نزول الآيات الكريمة :

وتأتي بشاعة الزقوم من الآيات التي تليها ، وتصفها وصفاً رهيباً تضع
 سخرية ابي جهل في صورة شاحبة سرعان ما تتلاشى لتحل محلها صورة
 الرهبة من هذه الشجرة (اذلك خيرٌ نُزُلًا ام شجرة الزقوم ، انا
 جعلناها فتنةً للظالمين . إنها شجرةٌ تخرجُ في أصل الجحيمِ ، طلعها
 كأنه رؤوسُ الشياطينِ ، فأنهم لآكلونَ منها فالثونَ منها البطونَ) (٢) .
 وتشبيه طلع شجرة (الزقوم برؤوس الشياطين اثار نقاشاً بين المفسرين
 فقال بعضهم الشياطين هنا الحيات وذكر هذا ابن قتبية حين قال :
 (والشياطين حيات خفيفات الأجسام قبيحات المناظر . قال الشاعر ذاكرأ ناقتة :

تُلاعِبُ مثنى حضرمي كأنه

تعمج شيطان بني خروغٍ قنفر (٤)

(١) تنزيه القرآن : ٣٢١ .

(٢) سورة الصافات ٣٧ : ٦٢ - ٦٨ .

(٣) تنوير المقياس : ٢٧٨ .

(٤) لم ينسبه ابن قتبية الى قائله ، وكذا قال الجوهري في الصحاح -

يعني زماما ، شبه تلويبه بتلوي الحية . وقال آخر :
 عُجِيزٌ تَحْلِفُ حِينَ أَحْلِفُ
 كمثل شيطان الحِمَاطِ أَعْرَفُ (١)
 والحِمَاطُ شجر ، والعرب تقول ذلك اذا رأت منظراً قبيحاً كأنه
 شيطان الحِمَاطِ ، يريدون حية تاوي في الحِمَاطِ (٢) :
 وتفسير المفسرين هذا صادر عن معرفتهم ضرباً خاصاً من الحيات
 اطلقوا عليه اسم الشيطان كما ورد في كتب اللغة (٣) .
 وقال آخرون : ان رؤس الشياطين شجر معروف في البيئة العربية ،
 وذكر الاصمعي انه يسمى الصوم (٤) ، واطلق عليه بعضهم اسم الاستن
 وقالوا عنه انه شجر بشع ، منكر الصورة ، يقال لشمره رؤس الشياطين ،
 وهو الذي ذكره النابغة ،
 تَحْيِدُ عَنْ اسْتِنٍ سَوْدٍ اسْفَانُهُ
 مثلُ الأَمَاءِ الغَوَادِي تَحْمِلُ الحِزْمَا (٥)

— ٥ : ٢١٤٤ ، وهو منسوب لطرفة بن العبد في الحيوان ٤ : ١٣٣ ، والبيت غير
 موجود في ديوانه .

(١) البيت غير منسوب وانظر ايضا التبيان ٨ : ٥٠٣ .

(٢) تاويل مشكل القرآن : ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، وانظر ايضا ادب الكاتب :

٢٢١ ، جامع البيان ٢٣ : ٦٤ ، التبيان ٨ : ٥٠٣ ، الكشف ٢ : ٦٠٣ .

(٣) الغريب المصنف : الورقة (١٧٩) ، الصحاح ٥ : ٢١٤٤ ، مقاييس

اللغة ٣ : ١٨٤ .

(٤) عن الكامل للمبرد ٣ : ٨٢١ ، وانظر ايضا جامع البيان ٢٣ : ١٦٤ ،

التبيان ٨ : ٥٠٣ .

(٥) الكامل للمبرد ٣ : ٨١٨ ، الحيوان ٤ : ٣٩ ، ٦ : ٢١١ ، الصناعتين ،

٨٥ : والبيت في ديوان النابغة ١٠٣ .

وهناك تفسير اخر يجمع التفسيرين السابقين ، وهو اقرب التفسير الى الناحية الادبية يرى بأن الله سبحانه وتعالى اراد ان يصور بشاعة شجرة الزقوم فشبه طلوعها برؤس الشياطين لان الناس رسموا في اذهانهم صورة منكورة لها ، واول من ذكر هذا التفسير - فيما قرأت من مصادر - هو ابو عبيدة حين سئل في مجلس الفضل بن الربيع عن قوله تعالى : (طلوعها كأنه رؤسُ الشياطينِ) (١) (بان الوعد والوعيد انما يقع بما عرف مثله وهذا لم يعرف قال فقلت انما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم اما سمعت قول امرىء القيس :

أَبَقَمْتُ لِنِي وَالْمَشْرِفِي مَضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرُقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ (٢)
 وهم لم يروا الغول قط ، ولكنهم لما كان امر الغول يهولهم أوعدوا به) (٣) :

وقال الجاحظ معللا هذا التشبيه ايضا بانه سبحانه وتعالى (قد جعل في طباع جميع الامم استقباح جميع صور الشياطين ، واستساجه ، وكرهيته واجرى على السنة جميعهم ضرب المثل في ذلك) (٤) . وقال ايضا رادا على من انكر هذا التشبيه لان الناس لم يروا الشيطان ، ولا وصفت لهم صورته فقال : (قلنا : وان كنا نحن لم نر شيطانا قط ، ولا صور رؤسها لنا صادق بيده ، ففي اجماعهم على ضرب المثل بقبح الشيطان ، حتى

(١) سورة الصافات ٣٨ : ٦٤ .

(٢) البيت في ديوان امرىء القيس : ٣٣ .

(٣) معجم الادباء ٧ : ١٦٧ ، وذكر انه بعد ان رأى استحسان الفضل لقوله واستحسان السائل ايضا عزم على ان يضع كتاباً في القرآن الكريم ثم وضع كتاب مجاز القرآن ، الا ان الملاحظ انه لم يذكر هذا التفسير في مجازه .

(٤) الحيوان ٤ : ٩٤ .

صاروا يضعون ذلك في مكانين احدهما ان يقال : هو اقبح من الشيطان،
والوجه الاخر ان يسمى الجميل شيطانا على جهة التطير . . . ففي اجماع
المسلمين العرب ، وكل من لقيناه على ضرب المثل بقبح الشيطان دليل على
انه في الحقيقة اقبح من كل قبيح والكتاب انما انزل على هؤلاء الذين قد
ثبت في طبائعهم بغاية التشبث (١) .

ويبدو هذا التفسير اقرب النفاسير الى الناحية الادبية ، ذلك لانهم
جروا في تشبيهاتهم على ما عهدته اذهانهم ، وتمثلته اخيلتهم ، وللشياطين
في اذهانهم صورة واضحة الملامح للبشاعة والقبح ، وتعكس لنا هذه الفكرة
نادرة يرويها الجاحظ عن امرأة اخجلته ، وذلك انها اتته يوما وهو على
باب داره فقالت له : (لي اليك حاجة ، واريد ان تمشي معي ، فقامت
معها الى ان اتت بي الى صائغ يهودي فقالت له : مثل هذا ، وانصرفت
فسألت الصائغ عن قولها فقال : انها اتت الي بفصّ وأمّرتني ان انقش
لها عليه صورة شيطان فقلت : ياستي ما رأيت الشيطان ، فانت بك ،
وقالت ما سمعت ! !) (٢) واذا كانت هذه النادرة تعكس لنا روح
النادرة والنكتة التي عرف بها الجاحظ ، والتي استدل بعضهم بها على بشاعة
خلقه ، فان فيها انعكاساً لصورة الشيطان كما تمثله الذهن العربي ، ومن
هنا شبهوا به كل شيء كرهه المنظر بشع الصورة (٣) . كما سموا كل خبيث
مهلك بالغول (٤) . ومن هنا ايضاً نفهم سبب تسميتهم ذلك الضرب من

(١) الحيوان ٦ : ٢١٣ وانظر ايضاً تاويل مشكل القرآن : ٣٠٢ ، الكامل

للمبرد ٣ : ٨١٨ - ٨٢١ ، جهرة اللغة ٢ : ١٥٠ .

(٢) سرح العيون ٢٥٠٠ :

(٣) الحيوان ١ : ٣٠٠ ثمار القلوب : ٦٠ .

(٤) الصحاح ٥ : ١٧٨٦ ، لسان العرب ١٤ : ٢١ .

الحيات بالشياطين ، لان رؤسها كرهية المنظر ، او لانها شديدة الاذى ، وكذلك القول في النبات الذي اسموا ثمره بالشياطين لبشاعة منظره فصدر تفسير القائلين في وصف شجرة الزقوم بان طلعتها كأنه رؤس الشياطين او رؤس الحيات .

اما التفسير الجامع لكل هذه الصور فهو الذي مر بنا سابقاً بان طلع شجرة الزقوم شبه في القرآن الكريم برؤس الشياطين الحقيقية . لان كفار قريش حينما استهزأوا واستهانوا بشجرة الزقوم نزلت الآيات بعدها لتصف صورة هذه الشجرة الملعونة بانها ليست كما تتصورها اذهانهم انما هي بشعة مؤذية كصورة الشياطين التي تخيلتها اذهانهم ، ومع ذلك فان التفسيرين الاولين يضيفان على شجرة الزقوم ايجاء اخر للبشاعة ، والرهبنة مقترنا برؤس الحيات المنكرة ، ورؤس ثمار الشجر البسع الصورة المسماة بالشياطين .

ومما مرّ بنا نجد ان طعام اهل النار وصف في كل الآيات الكريمة بانه ليس كالطعام الذي اعتاده الناس ، فهو لا يسمن ، ولا يشبع ويتجرعه المجرمون على مضض لانهم مجبرون على اكله (انّ لدينا أنكالا ، وجحيا وطعاماً ذا عُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً) (١) ، وهم في هذه الحالة كأنهم قد حرم عليهم الطعام ، اذ كيف تستطيع النفس ان تدنو من طعام هذه صفته واذاه ؟ ومن هنا جاء قوله تعالى (فليس له اليوم ههنا حميم ، ولا طعام الا من غسلين) (٢) في نفي وجود الطعام لاهل النار الا ما يخرج من جروحهم من الدّم ، والصدئد (٣) . وقال ابن عباس : أن الغسّلين

(١) سورة المزمل ٧٣ : ١٢ - ١٣ .

(٢) سورة الحاقة ٦٩ : ٣٦ .

(٣) مجاز القرآن ٢ : ٢٦٨ : تأويل مشكل القرآن : ٤٨ ، الكامل للمبرد

٢ ، ٤٥ ، تنزيه القرآن : ٣٥٣ الكشاف ٣ : ٢٦٦ .

هنا معناه الحار (١) وكذا قال اللغويون (٢) وطبيعي ان يكون الصديد الذي يخرج من ابدانهم حاراً ، لان كل ما يحيطهم هو اللهب ، واللظى المستعر بالاضافة الى ان شرابهم شديد الحرارة مغلي . ولا يمكن ان نفهم ان الغسلين ضرب آخر من الطعام ، وان المعذبين في النار على طبقات ، ومنهم من يأكل الزقوم ، ومنهم من يأكل الغسلين ، ومنهم من يأكل الضريع ، كما ذهب بعض المفسرين (٣) ، وذلك لان الغسلين ليس ضرباً من الطعام ، وانما اريد به نفي وجود الطعام الذي يسمن ، ويشبع كما هو مصور في الزقوم ، والضريع . فليس لهم طعام الا من الصديد الذي تفرزه اجسادهم ، وفي ذلك تبشيع لحالم .

ويلاحظ في كل التعابير التي تحدثت عن طعام اهل النار في القرآن الكريم انها اقتصرت على وصف بشاعة الطعام ، فلو قارنا هذه الآيات بالآيات التي تخص الشراب والتي ورد ذكرها سابقاً لوجدنا في الطائفة الاولى تصويراً لبشاعة الطعام الذي يُكره على استساغته المجرمون دون الحديث عن عناء الجوع ، والحرمات من الطعام ، على حين نرى الآيات التي تخص الشراب تحدثت عن العطش وما يلاقيه المعذبون من اذى حرمانه . ولعل خير ما يعلل به هذه الظاهرة القرآنية هو تخرج العربي ، وابطؤه الذي يحول دون وصف جوعه ، وما يلاقيه من حرمان الطعام ، او ما يسد ريقه . قال الاستاذ جميل سعيد في حديثه عن وصف الطعام عند العرب : (على اننا حين ننظر في الشعر العربي - ولا سيما الجاهلي منه - نجد الشعراء قد كتبتوا احساسهم بالجوع كبتاً ، وفخروا به وجعلوا التصريح بهذا الاحساس امرأ

(١) اللغات في القرآن : ٥٠ ، وانظر ايضاً متشابهات القرآن : ١٠٦ .

(٢) الصحاح ٥ : ١٧٨٢ ، لسان العرب ١٤ ، ٧ .

(٣) تأويل مشكل للقرآن : ٤٨ الكشاف ٣ : ٣٣٢ .

يخزي الانسان منه ، ويلام عليه . . والشعراء الاسلاميون تابعوا الشعراء الجاهليين في هذا ، وعدوا شكاة الجوع منقصة توجب اللوم (١) . على ان هذا القول لا يعني ان العرب لم يعانون من شدة الجوع ما عانوه من العطش ، ذلك لأننا نعرف ان الجزيرة العربية أرض جرد وفقر في معظم اجزائها وقد كثرت فيها المجاعات ، واشتدت فيها الحاجة الى الطعام في كثير من الاحيان ، ومن هنا ذكرت هذه المجاعات في اشعارهم في موضوع فخرهم (٢) حين يفضلون ضيفهم وجارهم على أنفسهم عند المسغبة ، وانهم لا يدنون الى الطعام ، وان كانت بهم حاجة اليه يؤثرون به غيرهم على أنفسهم (٣) ، كما هجوا اعداءهم بحبهم الطعام (٤) :

هذا الالباء النفسي يجعل العربي يأنف من ذكر جوعه ، وحاجته الى الطعام بل نراه يفخر بتحملة الجوع : قال الشنفرى في لاميته المشهورة :

(١) الوصف في شعر العراق : ٤٠٠

(٢) وهذا لا يعني انعدام ذكر الجوع في الشعر الجاهلي في غير موضوع الفخر ، فقد وجدت اشارات اليه ، الا انهم لم يقصدوا فيها اظهار ألمهم من الجوع ، والحاجة الى الطعام انظر في هذا أعجب العجيب : ٣٢ ، ٣٦ وشعر السليك في أمثال العرب : ١٤ .

(٣) انظر ديوان عروة بن الورد : ٦٢ ، منتهى الطلب : الورقة (٣٤٦) في شعر عروة بن الورد ايضاً ، ديوان علقمة الفحل : ٥٢ ، ٧٢ ، ديوان عدي ابن زيد : ١٤٧ ، وانظر ايضاً أعجب العجيب : ٢٠ ، مجالس ثعلب : ١ : ٦٨ ، ٦٩ ، امالي الزجاجي : ٢٠٤ ، أسماء المغتالين : ٢٤٢

(٤) انظر ديوان المزرد بن ضرار : ٥٠ - ٥١

أَدِيمُ مَطَالَ الْجُوعِ حَتَّى أَمِيَّتُهُ
واضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحًا فَأَذْهَلُ (١)

ومثل هذا قول أبي خراش الهذلي (٢) :

وإِنِّي لِأَثْوِي الْجُوعَ حَتَّى يَمَلَّنِي
فِيذْهَبُ لَمْ تَدْنَسْ ثِيَابِي ، وَلَا جَرَمِي (٣)
أَرْدُ شِجَاعَ الْمَوْتِ قَدْ تَعَلَّمِيْنَهُ

وَأَوْثَرُ عَبْدِي مِنْ عِيَالِكَ بِالطَّعْمِ

فهو هنا يفخر بأنه لا يبالي بالجوع الذي يؤذيه ، ويربأ بنفسه عن الحصول على الطعام الذي يدنس سيرته ، وابعاءه ، وإنما يتغلب على جوعه ويؤثر عبده ، وعياله بما لديه من الطعام ، هذا هو المثل الأعلى الذي رسمه العربي لنفسه حين ترتفع عن ذكر حاجته إلى الطعام ، أو وصف ألمه من شدة الجوع ، وهو يختلف عن وصفه لعطشه ، وشدة تشوقه إلى الماء كما مر بنا سابقاً (٤) . ومن هنا لم تتحدث الآيات الكريمة عن حرمان الجرمين من الطعام الذي يشبههم جرياً على عادة العرب في تخرجهم من الحديث في هذا الموضوع ، على حين نرى عكس ذلك في الحديث عن العطش الذي صورته الآيات الكريمة أروع تصوير ، وذلك جرياً على عادة

(١) اعجب العجب : ٣٢

(٢) هو خويلد بن مرة من بني هذيل من مضر . شاعر مخضرم وفارس " فاتك " مشهور " بالعدو فكان يسبق الخيل . اسلم وهو شيخ كبير توفي نحو ١٥ هـ . انظر الشعر والشعراء ٢ : ٥٥٤ ، الأغاني ٢١ : ٣٨ فما بعدها ، الاصابة ١ ، ٤٥٧ ، خزائن الادب ١ : ٢١٣ ، الاصابة ١ : ٤٥٧

(٣) الأشباه والنظائر : ١٥٧

(٤) انظر ص ٢٣٢

العرب في وصف شدة العطش الذي عانوه في أسفارهم ، و اوقات الهاجرة الحارة و سنجد هذه الفكرة ايضاً في الحديث عن شراب أهل الجنة و طعامهم (٥) .

٧ - صنوف اخرى من العذاب :

وبالاضافة الى وسائل التعذيب التي مرت بنا صورها نجد في القرآن الكريم صنوفاً أخرى تعرض جوانب جديدة لتعذيب المجرمين في النار و تنعكس فيها ايضاً بعض ملامح البيئة العربية .

أ - السلاسل والأغلال :

فالسلاسل والأغلال من الصور التي تؤكد الآيات الكريمة وجودها حيث يقيّد المعتدون : (إِنَّا اعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسلًا وَاغْلَالًا وِسَعِيرًا) (٢) . ووصفت الآيات الكريمة هذه القيود بانها تغل أعناق الكافرين فيسحبون بالنار على وجوههم : (الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَاِذَا أُرْسِلُوا بِهِ رُسُلُنَا بِهِ يُرْسِلُونَا فِى سُوْفٍ يَعْلمُونَ إِذْ الْاِغْلَالُ فِى اَعْنَاقِهِمْ وَاِلسِلاسلُ يُسْحَبُونَ فِى الْحَمِيمِ ، ثُمَّ فِى النَّارِ يُسْجَرُونَ ، ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ اَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ) (٣) . وقال تعالى ايضاً : (وَاِن تَعَجَّبَ فَعَجِّبْ قَوْلَهُمْ : اِذَا كُنَّا تُرَابًا اِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ؟ اُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ، وَاُولَئِكَ الْاِغْلَالُ فِى اَعْنَاقِهِمْ ، وَاُولَئِكَ

(١) انظر ص : ٣٠٧

(٢) سورة الانسان ٧٦ : ٤

(٣) سورة غافر ٤٠ : ٧٠ - ٧٣

أصحابُ النارِ هُمُ فيها خالدونَ (١) . والاعلالُ جمعُ عُغلٍ : وهي الحديدية التي تجمع يد الأسير الى عنقه (٢) . اما السلاسل فهي جمع سلسلة وهي حلقة منتظمة من جهة الطول مستمرة (٣) . وكذلك قولهم في الاصفاد (٤) . هذه القيود الرهيبة تثير في النفس تساؤلا ما اذا كان العرب يعرفون القيود ، والسلاسل ؟ . ام انهم بمجرد سماع الآيات الكريمة يستطيعون تخيلها من الجو الرهيب الذي يرسمه سياق الآيات العام . واذا بحثنا عن هذه الصورة في البيئة الجاهلية وجدناها واضحة كل الوضوح فقد فخر الشعراء بقبائلهم ، وبطولاتهم التي ينتصرون فيها على أعدائهم . ويكبلونهم بالاعلال ، وقد كررها الشعراء الفرسان في اشعارهم ، وكيف انهم يعرودون من الغارات ، وقد كبلوا أسراهم بالاصفاد ، والقيود .
قال عنتره :

تَرَكَنَا ضَرَارًا بَيْنَ عَانٍ مُكَبَّلِيٍّ وَبَيْنَ قَتِيلٍ غَابَ عَنْهُ السَّوَانِحُ (٥)
وقال أيضاً :

وعَدْنَا بِالسَّنْهَابِ وَبِالسَّبَايَا وَبِالْأَسْرَى تُكَبَّلُ بِالصِّفَادِ (٦)

(١) سورة الرعد ١٣ : ٥ وانظر ايضاً سورة سبأ ٣٤ : ٣٣

(٢) الصحاح ٥ : ١٧٣٢ ، لسان العرب ١٤ : ١٣

(٣) التبيان ٩ : ٩٥ ، وانظر اللغة في الصحاح ٥ : ١٧٣٢ ، لسان

العرب ١٣ : ٣٦٧

(٤) الفصيح : الورقة ١٧ ، الصحاح ١ : ٤٩٥ ، لسان العرب ٤ : ٢٤٣

(٥) ديوان عنتره : ٤٥

(٦) ن . م : ٥٥ وانظر ايضاً ٦٤ ، ٧١ ، ٩٧ ، ديوان سلامة

ابن جندل : ١٨ ، ٤٧ ، ٤٨ ، النقائض ، ١ ، ٧٦ ، ١٥٣ ، اسماء

المغتالين : ٢٢٧

وقال يزيد بن عمرو بن الصعق (١) في يوم المروت (٢) مفتخراً
 وَضَرَجْنَا عبيدة بالعوالي فأصبحَ مُوثقاً فينا أسيراً (٣)
 ونجد ذكر القيود مصورا في جانب شعري آخر ، حين وصفها
 الشعراء الذين عانوا ثقلها واحسوا بوطئها الشديد على أيديهم ، واقدامهم
 قال المهلهل بن ربيعة ذاكراً للقيود التي أوثق بها فحالت دون حراكه :
 واليك ابنةَ المُجَلَّلِ عني لا يُواتي العناقَ مَنْ في الوثاقِ (٤)
 وقال ابو محجن الثقفي ، وقد اوثق بالحديد والسلاسل التي حالت
 دون حركته وسيره قال :

إذا قُفمتُ عَنّاني الحديد وأغسلتُ مصارعُ دوني قد تُصمّ المنا ديا (٥)

(١) يزيد بن عمرو بن الصعق من وجوه قيس . ذكر انه كان يحضر
 مجلس ابن جفنة ، وهو الذي اسر رؤبة بن رومانس اخا المنذر لامة . انظر
 الأغاني ١ : ١٣٨ معجم الشعراء : ٢٣٧

(٢) هو يوم بين بني تميم وعامر بن صعصعة . وكان سببه انه التقى قعنب
 ابن عتاب الرياحي وبجير بن عبد الله العامري بعكاظ . فقال بجبر لقعنب :
 ما فعلت فرسك البيضاء ؟ قال هي عندي وما سؤالك عنها ؟ قال : لانها نجتك
 في يوم كذا وكذا . فانكر قعنب ذلك وتلاعنا وتداعيا ، فكانت بعدها غارات
 واسرى بين الطرفين . انظر الكامل لابن الاثير : ٢٦٤ . ٢٦٥
 (٣) النقائض ١ : ٧٢ .

(٤) اسماء المغتالين : ٢٠٨ . وانظر ايضاً شرح ديوان عنتره : ٩٧ ،
 ديوان عدي بن زيد : ٢٤٠ ديوان النابغة الجعدي : ١٠٣ : ديوان الخنساء :
 ١٢ . ٢٢ وانظر ايضاً الشعر والشعراء ٢ : ٥٨٣ ، امثال العرب : ٦٢ غريب
 الحديث ١ : ٣٢٢ - ٣٢٤

(٥) ديوان : أبي محجن ٦٧

فصورة القيود والسلاسل الواضحة الملامح في البيئة العربية تتمثل في
الذهن العربي حين يتلو الآيات الكريمة : (خذوه فغلوه ، ثم
الجحيم صلوه ، ثم في سلسلة ذرعتها سبعون ذراعاً فأسلكوه
إنه كان لا يؤمن بالله العظيم) (١) . ففي هذه الآيات الكريمة تتابع
مشاهد التعذيب ، والعقاب ، حيث يوثق المجرمون بالسلاسل ،
والأغلال تلف أجسادهم فلا يطيقون الحركة ، ثم تتلاشى هذه الصورة
لتحل محلها صورة اشد رهبة ، ورعباً ، وهي صورة الأصفاد التي يوثقون
بها : فتلفهم لفاً ، لان سياق الآيات العام يساعدنا على تصور هذه الرهبة
حين يوجه الخطاب الى الملائكة بأخذ المجرمين عنوة وقوة (٢) ، وتضييق
وثاقهم بالسلاسل والقيود .

اما تحديد طول السلسلة التي يقيد بها المجرمون في النار : والتي ذكرت
الآيات الكريمة انها سبعون ذراعاً ، فقد ذهب فريق من المفسرين الى
العدد الحقيقي فقالوا : (سبعين ذراعاً من ذراع الملك) (٣) . وروي
عن نوف البكالي (٤) انه قال : كل ذراع سبعون باعاً كل باع أبعد مما
بينك وبين مكة ، وهو يومئذ في مسجد الكوفة (٥) .

(١) سورة الحاقة ٦٩ : ٣٠ - ٣٤

(٢) ويؤكد معنى القوة في اخذ المجرمين قوله تعالى : (يُؤْخَذُ المجرمون

بالتواصي والاقدام) سورة الرحمن ٥٥ : ٤١

(٣) تنوير المقياس : ٣٦٦ ، جامع البيان ٢٩ : ٦٣

(٤) هو نوف بن فضالة البكالي . كان اماماً لأهل دمشق . ذكره ابن

حبان في الثقة وقال : كان راوية للقصص استشهد مع محمد بن مروان في الصائفة
وتوفي نحو سنة ٥٩٥ هـ انظر تهذيب التهذيب ١٠ : ٤٩٠

(٥) جامع البيان ٢٩ : ٦٣

هكذا فهم بعض المفسرين طول السلسلة وتحديدتها ، إلا ان الذي يتبع الاستعمال اللغوي للعدد سبعة ، والأسلوب القرآني الكريم يجد انه سبحانه وتعالى نهج في بيانه البلاغي منهج الغرب في أساليبهم ، وتعابيرهم فقد ذكرت السبعة والسبعون في التضعيف ، والتكثير . وهكذا وردت في القرآن الكريم (١) ، والحديث النبوي الشريف (٢) في مواضع عديدة لا يراد منها العدد حقيقة ، وإنما مجازاً على سبيل المثل والكثرة لا العدد والحصص .

ومن الذين اشاروا الى هذه الناحية الازهري بقوله : (وأرى قول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ان تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ، فلن يغفر الله لهم) (٣) ، في باب التكثير والتضعيف ، لا باب حصر العدد ، ولم يرد الله عز وجل ان زاد على السبعين غفر لهم ، ولكن المعنى ان استكثرت من الدعاء ، والاستغفار للمنافقين ، لم يغفر الله لهم) (٤). وقال الزمخشري مؤكدا هذه الفكرة : (وجعلها سبعين ذراعاً ارادة الوصف بالطول كما قال (ان تستغفر لهم سبعين مرة) (٥) : يريد مرات كثيرة ، لانها اذا طالت كان الارهاق اشد) (٦) .

(١) المعجم المفهرس : ٣٤٠ .

(٢) النهاية في غريب الحديث ٢ : ١٤٣ :

(٣) سورة التوبة ٩ : ٨٠ :

(٤) عن لسان العرب ٨ : ١٠ .

(٥) سورة التوبة ٩ : ٨٠ .

(٦) الكشف ٣ : ٣٦٤ .

ب - طلاء القطران :

قال الله تعالى : (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ
لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ وَتَرَى الْمَجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ سَرَابِيلُهُمْ
مِنْ قَطْرَانٍ ، وَتَعْشَىٰ وَجُوهُهُمْ النَّارُ ، لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ .
إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (١) :

ففي هذه الآيات نجد وصفاً للملابس أهل النار ، وكيف أنها تضيئي
صوراً رهيبة أخرى تزيد ملامح العذاب هولاً ورعباً .

فالسراويل هي القمص كما قال المفسرون (٢) واللغويون (٣) . أما
القطران ففيه ثلاث لغات قَطْرَان ، قِطْرَان ، قِطْرَان (٤) : وقد اختلف
المفسرون في تفسيره فقال بعضهم إنه الهناء الذي تنهأ به الأبل الجربى (٥) :
وقال بعضهم بل هو الصفر المذاب (٦) . وبمثل هذا التفسير الأخير

(١) سورة إبراهيم ١٤ : ٤٨ .

(٢) تنوير المقياس : ١٦٣ ، مجاز القرآن ١ : ٣٤٥ .

(٣) جمهرة اللغة ٣ : ٣٠٥ ، الصحاح ٥ : ١٧٢٩ ، لسان العرب ٦ : ٣٥٦ .

وانظر شواهد الشعر في ديوان عامر بن الطفيل : ١٤ ، شرح ديوان لبيد : ٣٥٨ ،
المفضليات : ١٤٥ ، الوحشيات : ٢٢٦ ، وانظر أيضاً الصناعتين : ٥٩ .

(٤) جامع البيان ١٣ : ٢٥٥ ، التبيان ٦ : ٣١٠ ، الكشاف ٢ : ١٨٥ .

(٥) جامع البيان ١٣ : ٢٥٥ ، التبيان ٦ : ٣١٠ .

(٦) تنوير المقياس : ١٦٣ ، جامع البيان ١٣ : ٢٥٦ .

قال من قرأ قَطْرًا (١) اي من صفر مذاب قد تناهى حره (٢) ومع ان القراءتين تقدم لنا معنى مشتركا واحدا وهو السائل المذاب الشديد الحر سواء كان من صفر مذاب ، او من الهناء الذي تنهأ به الابل فالذي يبدو ان القراءة الاولى واعتبار الكلمة اسما واحدا (القطران) هي الارجح ، لان اكثر القراء عليها (٣) . ولانها تقدم لنا صورة واضحة الملامح للبيئة العربية ، شديدة الصلة بحيوانها ، وذلك ان ابلهم كثيرا ما كانت تصاب بالجرب فاضطروا الى معرفة دواء يعالجونها به فكان الهناء او القطران . وقد قالوا عنه (انه عصارة الابل ، والارز ، ونحوها ، يطبخ فيتحلب منه ، ثم تنهأ به الابل) (٤) . وقال ابو حنيفة : (زعم من ينظر في كلام العرب ان القطران هو عصير الصنوبر ، وان الصنوبر هو اسم لوزة ذاك ، وان شجرتة به سميت صنوبرا) (٥) . ولا يهمننا في هذا الباب اختلافهم في استخراج مادة القطران (٦) . وانما المهم معرفة صفة القطران ، ثم دلالاته على البيئة العربية ، ومعرفة العرب له قال علقمة الفحل واصفا ناقة :

(١) وهذا المعنى ورد القطر في قوله تعالى : (حتى اذا جمعه نارا وقال اتوني افرغ عليه قَطْرًا) سورة الكهف ١٨ : ٩٦ .

(٢) تنوير المقياس : ١٦٣ ، جامع البيان ١٣ : ٢٥٧ . وانظر ايضا ادب الكاتب : ٢٢١ لسان العرب ٦ : ٤١٧ .

(٣) التبيين ٦ : ٣١٠ .

(٤) لسان العرب ٦ : ٤١٦ ، الابهل حمل شجر العرعر ، انظر الصحاح

٤ : ١٦٤٣ .

(٥) لسان العرب ٦ : ٤١٧ ،

(٦) قد يكون هذا الاختلاف صادرا عن اختلافهم في استخراجة ، فيصنعه =

قَدْ أَدْبَرَ الْعُرْثُ عَنْهَا وَهِيَ شَامِلُهَا

من ناصع القطران الصريف سيم (١)

يقول قد ذهب الجرب عن هذه الناقة ، ولكن بقايا القطران مازال مطليا على جسدها ، ومع اننا لا نستخلص من هذا البيت صفة من صفات القطران ، الا انه يعكس لنا دلالاته في الذهن العربي ، ومعرفة العرب له قال الزمخشري مفسراً القطران ، ذاكراً صفاته بانه : (ما يتحلب من شجر يسمى الابل فيطبخ فتُهنا به الابل الجربي ، فيحرق الجرب بحرقه وحدته ، ومن شأنه انه يسرع في اشتعال النار ، وقد يستسرج به ، وهو اسود اللون ، نتن الريح ، فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه كالسراويل وهي القمص اتُجمع عليهم الاربعة : لذع القطران ، وحرقة ، واسراع النار في جلودهم ، واللون الوحش وثن الريح) (٢) . فالزمخشري هنا يجمع كل الایحاءات التي تدل عليها كلمة القطران ، فهو شديد الحر تطلى به اجساد الكافرين ، فتسرع النار اليها وتحيطهم من كل مكان . وقول الزمخشري بانه اسود اللون منسجم مع صفة المجرمين يوم القيامة ، وانهم يكونون سود الوجوه (٣) ومن هنا يبدو ان قوله تعالى : (وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد ، سراويلهم من قطران ، وتغشى وجوههم النار ، ليجزي الله كل نفس ما كسبت ، ان

= بعضهم من مادة ، ويصنعه اخرون من مادة اخرى .

(١) ديوان علقمة الفحل : ٦ ، وانظر ايضا شرح ديوان كعب : ١٦٠ ،

وانظر ص ٨٤ .

(٢) الكشف ٢ : ١٨٥ .

(٣) انظر ص ١٣٩ فما بعدها .

الله سَرِيعُ الْحِسَابِ (١) لا يراد به وصف لباس حقيقي لاهل النار (٢) وإنما رسم صورة رهيبة لعذاب النار ، حيث تظلي اجسادهم بمادة يسرع فيها لهيب النار ، وتحرق جلودهم حتى يصل اللهب الى داخل ابدانهم . وقد عبر عن هذه الصورة بتعبير القطران الذي ينقلنا الى صور اعتادها العرب في بيئتهم . واطلاق اسم السراويل على هذه المادة يزيد من هول الوصف ، ذلك لان الناس قد عهدوا الملابس تقيهم اذى الحر ، والبرد (٣) ، فاذا بالمجرمين في النار يُسَرَّ بِكُونِ مادة لا تمنع عنهم الاذى ، بل تزيد في سرعة اشتعال اجسادهم ، واذا هم . هذه المادة اعتادها العربي في بيئته ، وألف ان يطلي بها ابله الجربى ، فعرف صفتها ، وخبر شدة حرارتها ، فكيف به اذا قيل له انها ستكون بمثابة السربال للمجرم يوم القيامة !!

وبمثل هذا التعبير جاء قوله تعالى : (هَذَانِ خَصْمَانِ أَخْتَصَمَا فِي رَبِّهِمْ ، فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ، يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ ، يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ ، وَالْجُلُودُ ، وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ، كُلَّمَا ارَادُوا ان يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ، وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) (٤) فكان شمول النار واحاطتها باجساد الكافرين تشكل لباسا لهم .

انها صورة رهيبة تكمل جوانب العذاب حين تجتمع مع لظى النيران ، والقيود والأصفاد التي تشل حركتهم ، فلا يستطيعون الهرب ، أو التخلص

(١) سورة ابراهيم ١٤ : ٤٨ .

(٢) تلخيص البيان : ٢٣٨ .

(٣) وبهذا المعنى ورد اللباس في قوله تعالى (وَجَعَلْ لَكُمْ سَرَاوِيلَ تَقِيكُمْ

الحرَّ ، وَسَرَاوِيلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ . . .) سورة النحل ١٦ : ٨١ .

(٤) سورة الحج ٢٢ : ١٩ - ٢٢ .

من العقاب ، لأنهم قد كتب عليهم العذاب الدائم . (إنَّ الذينَ كَفَرُوا
بآياتِنَا سوفَ نُصَلِّيهِمْ نَاراً كَالمَا نَصَبَجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلَنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا
ليَسْذُوقُوا العذابَ ، إنَّ اللهَ كانَ عزيزاً حَكِيماً) (١) .

الفصل السادس

الثواب بالجنة

١ - وصف طبيعتها

٢ - اعتدال جوها

٣ - أنهارها وشرابها

أ - أنهار الماء

ب - أنهار اللبن

ج - أنهار الخمر

٤ - صنوف أخرى من النعيم

أ - لباسهم

ب - أساور الذهب والفضة

١ - وصف طبيعتها

لقد مرّت بنا سابقاً صور العذاب في النار . ودلالاتها على البيئة العربية ولتقارنها الآن بصور النعيم التي يثاب بها المؤمنون . فالنار الحامية التي يعذب بها المجرمون ، ويسقون من شرابها الحار المحرق ، تقابلها صورة الجنة العالية والعيون والأنهار الجارية ، والفرش الجميلة المنصوبة . قال الله تعالى :

(وجوه يومئذٍ خاشعَةٌ ، عاملةٌ ناصبةٌ ، تَصَلِّي نَاراً حَامِيَةً . تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ ، لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ، لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ وجوهٌ يومئذٍ ناعِمَةٌ ، لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ، لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاحِظَةً ، فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ، فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ) (١)

وفي سورة التكويد نجد العرض السريع لمشاهد القيامة المتتالية من اضطراب السماوات والأرض ، ثم موقف الحساب ، والقضاء حيث يصدر بعدها قرار الحكم في النار أو الجنة : (إذا الشمسُ سُكِّرَتْ ، وإذا النجومُ انكدرتْ ، وإذا الجبالُ سُيِّرَتْ ، وإذا العرشُ عُطِّلَتْ . . . وإذا المؤودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ؟ وإذا الصحفُ نُشِرَتْ ، وإذا السماءُ كُشِطَتْ وإذا الجحيمُ سُعِّرَتْ ، وإذا الجنةُ أُزْلِفَتْ . . .) (٢) وقد ورد ذكر الجنة في (١٢١) آية (٣) على انها المثوى الأخير للمؤمنين ، وتقابلها النار قرار المجرمين الأبدي .

(١) سورة الغاشية ٨٨ : ٢ - ١٤ .

(٢) سورة التكويد ٨١ : ١ - ١٣ .

(٣) انظر للمعجم المفهرس ١٨٠ - ١٨١ .

وقد فسرت الجنة بأنها البستان المحفوف بالشجر ، المتكاثف بالنخيل (١) وكذلك قال اللغويون (٢) . وقد وردت في الشعر الجاهلي دالة على هذا المعنى . قال امرؤ القيس :

تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ
سِوَالِكِ نَقَبًا بَيْنَ حَزْمِي شَعْبَعِبِ
عَلَوْنَ بَانِطَاكِيَّةِ فَوْقَ عَقْمَةِ
كَجِرْمَةِ نَخْلٍ أَوْ كَجِنَّةِ يَثْرِبِ (٣)

فمجموعة الظعائن في سيرها ، وارتفاعها ، تشبه عند الشاعر مجموعة النخيل ، اوجنة يثرب بنخيلها واشجارها العالية ، مما يعطينا صورة واضحة لدلالة الجنة في الذهن العربي ، واطلاقها على البستان المتكاثف الأشجار . وكذلك فسروا الفردوس بالجنة (٤) ، الا انهم اختلفوا في اصلها (٥) .

(١) معاني القرآن الورقة ١٨ (ب) تفسير الخمسمائة آية : الورقة ٥٠

الينابيع : ١٣٧ التبيان ٦ : ٢٤٦ : حقائق التأويل ٥ : ٢٤٦ : الكشف ١ : ١٩٨

(٢) الصحاح ٥ : ٢٠٩٣ ، لسان العرب ٦ : ٢٥٣

(٣) ديوان امرئ القيس : ٤٣ ، ٥٨ ، ١١٥ ، شرح ديوان عنتره

٨٠ : المفضليات : ١٠٦

(٤) جامع البيان ١٦ : ٣٦ : التبيان ٧ : ٩٨

(٥) قال بعضهم انها عربية مأخوذة من الفردسة وهي السعة . الفراء عن

لسان العرب ٨ : ٤٣ - ٤٤ ، جمهرة اللغة ٣ : ٣٣٣ ، المغرب : ٢٤١ ،

وقال بعضهم بل هي رومية - جامع البيان ١٦ : ٣٦ : التبيان ٧ : ٩٨ ،

الاتقان ٢ : ١٣٩ ، شفاء الغليل : ١٩٩ ، وذهب آخرون - وهو الأرجح -

انها كلمة توافقت فيها اللغات القديمة السامية والشرقية بصورة عامة انظر ذيل =

واذا قارنا صورة الجنة كما وصفها القرآن الكريم بالبيشة العربية استطعنا ان نتصور الياحيات الجميلة التي توحىها الآيات الكريمة في الذهن العربي ذلك لاننا نجد للزرع ، والأشجار بصورة عامة أهمية عظيمة في حياة العرب وتعابيرهم وتفكيرهم . ونظراً لتعلقهم بصور النخيل فقد أداروها في اشعارهم وتشبيهاتهم فكثيرا ما وصفوا الضعائن في ارتفاع هواج جهن ، واختلاف الوانهن ، وشبهوها بالنخيل ، وطلعه المختلف الألوان . قال امرؤ القيس :

فَشَبَّهْتُهُمْ فِي الْآلِ لَمَّا تَكَمَّشُوا
 حَدائقَ دَوْمٍ او سَفِينا مُقَيَّرا
 او المِكرعاتِ مِنْ نَخِيلِ ابْنِ يامِنِ
 دَوْنِ الصِّفا اللّائِي يَلِينِ المُشَقَّرا
 سَوا مَقِّ جَبارِ ائِثِ مُرُوعِهِ
 وعالَمينَ قَنوانا مِنَ البُسْرِ أَحْمَرا

فسرعة الاطعان ، وسيرها في الصحراء الواسعة تشبه عند الشاعر النخيل التي تتعالى سامقة في السماء . وتغنّوا بوصف الناقة وشبهوها بالنخلة في امتداد صلبها . (١) كل هذه التشبيهات تعطينا صورة لأهمية الشجر ، والنخيل في الذهن العربي (٢) ، وكيف انها وجدت في بيئتهم واحبوها كل الحب ، الا ان وجودها كان محدود النطاق اذ افتقرت اليه

= الالفاظ السريانية ، مجلة المجمع العلمي العربي م ٢٦ ج ٣ ص ٣٣٦ ، النخيل في اللغة العربية ، مجلة كلية الآداب جامعة فواد الأول م ١١ ج ٢

(١) راجع في هذا تشبيه شرر النار بالجمالات ص ٢٢٨

(٢) لقد بلغ تعلقهم بالأشجار ان بعضهم قدسها وعبدها . انظر الميثولوجيا

عند العرب : ١٠٩ فما بعدها

كثير من المناطق ، نظراً للبيئة الصحراوية التي تفتقر في كثير من اماكنها الى العشب اضافة الى الشجر والنخيل .

هذه الصورة تعكس في الذهن العربي نعيم الجنة ، وجمالها الطبيعي الرائع الذي طالما تاقت اليه نفوسهم فمجدد في وصف الجنة النخيل ، والأشجار المتدانية القطوف الوفيرة الأثمار ، والاعناب : (وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ، فَبأَيِّ آءٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان ؟ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ، فَبأَيِّ آءٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان ؟ . فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيانِ ، فَبأَيِّ آءٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان ؟ فِيهِمَا زُوجَانِ ، فَبأَيِّ آءٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان ؟ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ فَبأَيِّ آءٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان ؟ . مُدْهَمَتَانِ ، فَبأَيِّ آءٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان ؟ . فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ ، فَبأَيِّ آءٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان ؟ . فِيهِمَا فَاكِهَةٌ ، وَنَخْلٌ ، وَرُمانٌ . .) (١) وقال تعالى معددا نعم الجنة الكثيرة ، والفاكهة المتنوعة ، والطعام اللذيذ ، والظل الوارف الجميل مع وفرة المياه ، والنخل ، والأشجار : (واصحابُ السِّمِينِ ، ما اصحابُ اليمينِ ، في سِدْرٍ مَخضُودٍ ، وَطَلْحٍ مَنضُودٍ وَماءٍ مَسْكُوبٍ ، وفاكهةٍ كثيرةٍ لا مَقْطُوعَةٍ ، ولا مَمْنُوعَةٍ) (٢) . لقد احب العرب العشب الذي ترعاه ما شيتهم ، واحبوا المطر ، وترقبوه لأن في انعدامه افتقاراً للعشب وموتاً لحيوانهم ، وماشيتهم . ولما كان لون العشب اخضر فقد تعلقوا بهذا اللون ، واعتبروه احب الألوان الى نفوسهم ، فهو لون الشباب المحب ولذلك قيل اذا توفي الرجل شاباً قد اخضر (٣) ، ذلك لأنه توفي في ريعان شبابه كالغصن حين يكون

(١) سورة الرحمن ٥٥ : ٤٦ - ٥٣ ، ٦٢ - ٦٨

(٢) سورة الواقعة ٥٦ : ٢٧ - ٣٣

(٣) الصحاح ٢ : ٦٤٧ ، لسان العرب ٥ : ٣٢٧ .

على أحسن حال ، واجمله ، ايام خضرته ، ونضارته .
اما اذا ارادوا الدعاء على قوم ، فانهم يدعون عليهم بالجدب ،
والحرمان من الخصب فيقولون : اباد الله خضراءهم (١) . لان الخضرة
مقترنة بالخير والنعيم ، واذا ارادوا التعبير عن دوام المحبة قالوا : (الامر
بيننا اخضر اي جديد لم تخلق المودة بيننا) (٢) . ومن هنا قال ذوالرمة
واصفا الوصال بالخضرة :

أترابٌ مميٌّ والوِصالُ أخْضَرُ ولمَ يغيِّرُ وصلاتها المغيِّرُ (٣)
فايام الوصال وصفها بالخضرة لجمالها ، واقترانها بالجمدة والسهبجة
اما وصف الاشخاص بالخضرة ، فقد ذهب بعضهم الى ان المراد به الفخر
وانهم اذا ارادوا مدح الرجل نعتوه بالاخضر (٤) كقول اللهبي (٥) .
وأنا الأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُنِي أَخْضَرُ الْجَلْدَةِ فِي بَيْتِ الْعَرَبِ (٦)
ويبدو ان هذا النعت لا يراد به الفخر من حيث دلالة اللون على

(١) الفراء عن لسان العرب ٥ : ٣٢٩ ، ادب الكاتب : ٥٠ ، مجمع الامثال

١ : ١٠٩ .

(٢) اساس البلاغة : ٢٣٦ .

(٣) ديوان شعر ذي الرمة : ٢٠٢ ، اراجيز العرب : ١٠ .

(٤) احساس الشعراء العرب بالالوان والاصوات ، مجلة كلية الاداب

العدد الاول لسنة ١٩٥٦ ص ٨ ، الوصف في شعر العراق : ٩٧ .

(٥) هو الفضل بن عباس بن عتبة بن ابي لُهب احد شعراء بني هاشم وكان

ممن قدم على عبد الملك بن مروان انظر المعارف : ١٢٦ ، الاغاني ١٥ : ٨ - ١٠

المؤتلف والمختلف : ٤١ .

(٦) الحيوان ٣ : ٢٤٨ ، المؤتلف والمختلف : ٤١ ، اساس البلاغة : ٢٣٦

لسان العرب ٥ : ٢٨ ، فخر السودان : رسائل الجاحظ ١ : ٢٠٧ .

النعمة ، والخير ، وإنما اريد به لون البشرة . قال ابن قتيبة معلقا على البيت : (الخضره السواد اراد الأدمه) (١) .

وروى ابن منظور تعقيبا على البيت (يقول ان لون العرب السمرة) (٢) وقال المبرد شارحا ابياتا لحسان ، ورد فيها ذكر خضر بني خلف قال : (يريد سواد جلودهم كما قال الفضل بن العباس) (٣) (البيت) . وقال (فهذا على القول الاول . وقال اخرون شبههم في جودهم بالبحار ، لما يرى من لون الخضره في مياهها) (٤) . وكون الشاعر مدحهم لانه شبههم بالبحار التي وصفت بالخضره غير واضح المعنى ، الا اذا اريد به اللون القاتم الذي يرى في مياه البحر حين تبرد ، وتضطرب بشده . ومن هنا يبدو لنا ان الشاعر اراد الفخر بكونه من العرب الخالص الذين لم تشبههم حمرة الاعاجم (٥) . وهذه التسمية هي التي تفسر لنا وصفه جل من قائل الجنة بالدهمة : (ومن دونها جنتان ، فباي الاء ربكما تكذبان ؟ مُدَّهَا مَتَّان) (٦) . وذلك وصف لخضرتها بانها لشده ريبها ، ونضرتها-

(١) المعارف : ١٢٦ .

(٢) لسان العرب ٥ : ٣٢٥ .

(٣) الكامل للمبرد ١ : ٢١٧ .

(٤) ن . م .

(٥) واطلاق الخضره على السمرة او السواد ناتج عن طبيعه الالوان ، وصعوبة تحديدها وقد مر بنا سابقا ان الذوق العربي اعتبر البياض المشوب بالصفرة اجمل الالوان واحلاها انظر ص ١٤١ :

(٦) فخر السودان : رسائل الجاحظ ١ : ٢٠٤ .

تبدو زاهية ، وتقرب الى لون السواد . قال الجاحظ . (واحسن الخضرة ما ضارع السواد . قال الله عز وجل ومن دونها حبتان ، ثم قال لما وصفها وشوق اليها مدهامتان) .

هذا اللون المحبب الى نفس العربي هو الذي يتمثل في الدهن عند قراءة الآيات الكريمة التي تخص ثواب الجنة ، واشجارها ورياضها . وهناك آيات اخرى تجسد صورة الخضرة المحببة الى نفس العربي ، وذلك ان لون ثياب اهل الجنة وصفت بالخضرة دون الالوان الباقية لما لهذا اللون من ايجاء جميل في نفوس العرب ، وذوقهم العام . قال الله تعالى (اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار ، يُحَلَّوْنَ فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق ، متكئين فيها على الارائك نعيم الثواب ، وحسنت مرتقفا) (١) . وقال تعالى . (متكئين على رفرف خضر) (٢) . هذا اللون الجميل المحبب نجده في وصف ملابس الملوك ، وذلك انهم كانوا يوشونها باللون الاخضر (٣) . كما نجد في وصف الملابس ان بعضها لا تكون الا خضراء اللون (٤) . مما يعكس لنا اهمية هذا اللون ، وحب النوق العربي له (٥) .

(١) سورة الكهف ١٨ : ٣١ .

(٢) سورة الرحمن ٥٥ : ٧٦ ، وانظر الكشاف ٣ : ١٩١ .

(٣) أنظر ديوان النابغة الذبياني : ١٢ .

(٤) انظر في هذا مقال الأنسجة في مجلة الأبحاث ج ٤ كانون الأول السنة ١٤

١٩٦١ ص ٥٦٦ ، ٥٧١ .

(٥) انظر في هذا مقال البيئة العربية في القرآن الكريم مجلة البيئنة السنة الأولى

العدد ١٠ - ١٩٦٣ - ١٣٨٢ هـ .

ومن هنا يتضح لنا ان الحضرة في القرآن الكريم تجسيد للذوق العربي الذي احبها وشغف بها ، لأنها تمثل في نظره الخير ، والرفاهية ، والحياة الدائمة . وكل هذه الصور ترسم في الذهن عند قراءة وصف الجنة ، وطبيعتها المشرقة الزاهية .

٢ - اعتدال جوها

ان لظى النار ، وحرها الشديد تقابله في الجنة صورة معاكسة إذ وصف جوها بالاعتدال ، وطيب الهواء : (لا يرون فيها شمساً ، ولا زمهريرا) (١) أي انهم في الجنة في جو معتدل لا يعانون الحر الشديد الذي يعانیه أهل النار ، ولا البرد القارص المؤذي . وفي هذا رد لاعتراض الزرادشتية الذي مر بنا ذكره (٢) . فكما نفي عن الجنة الحر الشديد الذي عاناه العرب ، فكذلك نفي عنها البرد الشديد القارص ، وهو أيضاً مما عاناه العربي في بيئته لأن بلاد العرب لم تكن أرض سموم وحر فقط ، إنما عانت البرد والحر على اختلاف فصول السنة ، وان كانت صور الحر أوضح ملامح في الشعر الجاهلي من صور البرد ولعل مرد ذلك الى ان الحر يصحبه عطش مضمن يؤلم العربي ويؤذيه . أما في البرد فقد اكتفوا بوصف شدة البرد ، وحاجتهم الى الدفء .

ومعرفة العرب للبرد هو الذي أوحى لبعض المفسرين تفسير الغساق في قوله تعالى : (لا يذوقون فيها برّ دأ ، ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً) (٣)

(١) سورة الانسان ٧٦ : ١٣ .

(٢) أنظر ص ٢٠٥ .

(٣) سورة النبأ ٧٨ : ٢٥ .

وذلك لأنهم قالوا بأن مايسقاه أهل النار إنما هو شراب لا يستطيعون ذوقه لشدة برده (١) . مما يدلنا على ان العرب عانوا من أذى البرد ، مثلما عانوا الحر ولظاه حتى فهموا ان البرد يمكن ان يكون وسيلة من وسائل التعذيب يوم القيامة .

لقد عرفت الطائف باعتدال هوائها ، وطيب جوها ، ومع ذلك فقد ذكر أن درجة البرودة تصل فيها أحياناً الى درجة يجمد فيها الماء (٢) ، وكذلك الحال مع باقي جبال الجزيرة العربية . قال المقدسي : (وأما ماكان من ناحية الجبال فهي باردة) (٣) ، وسميت آكام بلاد الازد (آل قراس لكثرة ثلجها) (٤) .

وكما وجدنا صورة الحر واضحة الملامح في الشعر الجاهلي ، فكذلك نستطيع ان نجد فيه وصفاً لشدة البرد ، ورياحه القارصة . قال حاتم الطائي :
أوقد فانَّ الليلَ ليلٌ قرٌّ والريحُ ياموقدُ ريحٌ صرٌّ (٥)
وقال آخر (٦) :

إذا كانَ الشتاءُ فأدْفِئوني فانَّ الشيخَ يهدمهُ الشتاءُ (٧)
ومن هنا كثر وصفهم لنار الاصطلاء ، وقربهم منها ، وحبهم لدفتها

-
- (١) جامع البيان ٣٠ : ١٣ - ١٤ ، الكشاف ٣ : ١٨ .
 - (٢) صورة الأرض : ٣٢ ، احسن التقاسيم : ٧٩ ، آثار البلاد : ٩٨ ، قطعة من كتاب في الجغرافية : الورقة ٦٦ (ب) .
 - (٣) أحسن التقاسيم : ٧٠ .
 - (٤) معجم البلدان ٤ : ٤٦ ، معجم ما استعجم ١ : ٩٢ .
 - (٥) ديوان حاتم الطائي : ٥٩ .
 - (٦) حقائق التأويل ٥ : ٢١٧ ، ولم أعر على نسبة البيت .
 - (٧) ثمار القلوب : ٤٦٠ .

ومما يحكى في هذا الباب ان اعرابياً اشتد عليه البرد ، فأصاب ناراً ، فدنا منها ليصطي وهو يقول : (اللهم لا تحرمنيها في الدنيا والآخرة) (١) . ومع ان الطابع الاسلامي واضح في هذه الحكاية الطريفة ، فان لها دلالتها على البيئة العربية وقت الشتاء وكيف ان البرد يشتد فيها الى درجة يتمنى فيها المصطي النار في دنياه وآخرته ! ومن هنا وصفوا أذى البرد الذي تعانيه حيواناتهم (٢) .

ومع ذكرهم لصور البرد ، ومعاناتهم له في البيئة العربية إلا انه لا يبلغ مبلغ تصويره الحر الشديد ، ومعاناتهم العطش فيه ، ومن هنا كان تخويف القرآن الكريم بالحر اضعاف ما خوف بالبرد .
ومن هنا يستطيع الغربي ان يتمثل الصورة المشرقة للجنة في انعدام الحر ، والبرد الشديدين ، ويستطيع ان يتصور السعادة المتناهية التي يثاب بها المؤمنون في الجنة .

٣ - انهارها وشرابها :

أ - انهار الماء .

والى جانب الخضرة المحببة ، والأشجار الجميلة نجد في وصف الجنة صورة أخرى تزيد المشهد روعة وجمالاً ، الا وهي صورة الأنهار الجارية

(١) ثمار القلوب : ٤٦٠

(٢) ديوان جران العود : ٧ شرح اشعار الهذليين ١ : ٦٨ ، المفضليات :

١٢٦ ، ١٧٧ اسماء المغتالين : ٢٤٢ ، الحيوان ٥ : ٧٥ ، الأزمنة والأمكنة

٢ : ٢٤٢ ، اراجيز العرب : ١٠٩

الوفيرة المياه . وقد وردت في (٣٨) آية (١) : كلها تصف الجنة التي تجري من تحتها الانهار (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ قَالُوا : هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ، وَاتَّوَابَهُ مُتَشَابِهًا ، وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (٢) . وقال تعالى ايضاً : (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا : تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا ، وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ) (٣) وفي سورة محمد (ص) نجد صورتين متعاقتين احدهما صورة الجنة التي تجري فيها الأنهار وقد عدد الله سبحانه وتعالى انواع هذه الأنهار فبعضها من ماء صاف وبعضها من لبن ، او نحر ، او عسل كلها اعدت لينعم بها المؤمنون . هذه الصورة تقارن بأخرى تليها ، وهي صورة العذاب وما يلاقه المجرمون في النار حين يسقون الماء الحميم الشديد الحرارة ، فَتُقَطَّعُ أَعْيُنُهُمْ (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ، وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ، وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ ، وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا (٤)) .

واذا بحثنا الماء في القرآن الكريم في غير الآيات التي تخص القيامة

(١) انظر المعجم المفهرس ٧١٩ - ٧٢٠

(٢) سورة البقرة ٢ : ٢٥

(٣) سورة الرعد ١٣ : ٣٥

(٤) سورة محمد ٤٧ : ١٥

نجد له اهمية كبيرة ، فقد ورد في (٣٤) آية (١) تصور الماء على انه من النعم العظيمة التي اسبغها الله سبحانه وتعالى على البشر ، فهو أساس الحياة : (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا) (٢) ومع ذلك نجد شح الماء ، وقلته في البيئـة العربية ، وحيثما نقرأ نجد ذكر الماء ، والعطش ذلك ان الصحراء العربية لا توجد فيها انهار دائمة الجريان ، وانما وديان تسير فيها المياه وقت الامطار ، وسرعان ما تتلاشى ، وتغور (٣) . فلا يوجد في مكة مثلاً ماء جار اهدأ (٤) ، الا ما يحتفرونه من الآبار والعيون (٥) : فالمدينة حياتها على السيول وقت الامطار ، وعلى الآبار سائر السنة (٦) . اما جدة فان اهلها في تعب دائم ، من الماء كما يقول المقدسي (٧) . اما سائر الجزيرة العربية فان اعتمادها الكلي على الأمطار التي قد تشح احياناً فتركهم في يأس من الحياة والمراعي (٨) . وقد

(١) المعجم المفهرس : ٦٨٤

(٢) سورة الأنبياء ٢١ : ٣٠

(٣) صورة الأرض : ٢٧ ، وانظر ايضاً هذا العالم : ٣٣٣ . اما ما يذكر عن سد مأرب والمياه التي تجري في انهاره ، فانما احتقر العرب هذه الانهار ليوجهوا انبها السيول التي تسيل من الجبال . انظر الاعلاق النفيسة :

١١٢ ، احسن التقاسيم : ٩٥

(٤) اسماء جبال تهامة : ٤٤

(٥) البلدان : ٣١٦ ، صورة الأرض : ٢٩ المسالك والممالك : ١٣٤ ،

معجم ما استعجم ١ : ٢٦٩ ، معجم البلدان ٤ : ٦٢٢

(٦) البلدان : ٣١٢

(٧) احسن التقاسيم : ٧٩

(٨) هذا العالم : ٣٣٣

تخلو بعض المناطق من الآبار ، والعيون ، فتنعدم فيها الحياة (١) . وحول الماء وحفر الآبار دارت الأساطير العربية ، وكلها تصور التقديس الذي احيط به الماء (٢) .

وقلة المياه ، والحرمات منها عرضت العرب في كثير من أسفارهم الى الخطر المحدق حيث يعانون من أذى العطش والظمأ ما يعرضهم الى الهلاك . ومن هنا أوجدوا طريقة يقتسمون بها الماء ، وذلك انهم يضعون حصاة في اناء ، ثم يصب فيه من الماء قدر ما يغمر الحصاة ، فيعطاها كل رجل منهم ، واسموا هذه الحصاة بالملقة (٣) . وهذه الطريقة تطلعنا على شح الماء في بيئتهم الى درجة يقتسمونه فيها ، بقدر ما يغمر الحصاة . واذا كانت البيئة العربية قد حرمت الأنهار ، وشحت فيها المياه فن الطبيعي ان يكون اعتمادهم الكلي على الأمطار ، ومن هنا صارت لهم خبرة عظيمة في تتبع مواقع المطر ومعرفة السحاب الممطر ، أو الخادع (٤) . فاذا انقطع عنهم المطر واحتبس فان هناك فروضاً

(١) صورة الأرض : ٣٤ ، جزيرة العرب لبيبري : ٢١

(٢) المثالب : الورقة ٣٠ - ٣١ ، المنطق : ٤١٣ فما بعدها ، المحاسن

والأضداد : ٧٨ ، المحاسن : ٤١٥ ، ثمار القلوب : ٤٤٤ . وقد خص العرب

القدماء الماء بأحاديث طويلة ، فمدحوا الماء البارد ، وذكروا منافع الماء وميزوا

بين العذب والرديء كل ذلك نتيجة خبرتهم به . انظر الدلائل والاعتبار : ٦١

المحاسن : ٤٧٠ مختصر البلدان : ٢٢٠ أحسن التقاسيم : ١٠١

(٣) امشال العرب : ٦١ ، الغريب المصنف : الورقة (٢٤٨)

مجالس العلماء : ٢١٦ ، ٢١٧

(٤) انظر الأشباه والنظائر ١ : ٥٥ ، امالي القالي ١ : ٨٤

عديدة يقدمونها لاستئزال المطر ، ومنها صلاة الاستسقاء (١) ، أو النيران التي يوقدونها (٢) ومن هنا عبد بعضهم الكواكب التي لا يمتطرون عندها رهبة منها ، وخوفاً (٣) . كما عبد آخرون النجوم التي اذا طلعت عليهم توقعوا نزول الأمطار ، وكثرة الخيرات (٤) .

ومن هنا نرى أي صورة جميلة ، تلك التي يتقلها لنا الاعرابي حين يشبه صوت حبيبته بالقطر الذي يسمعه الراعي بعد سنين طويلة مجدبة وقد أصاخ سمعه ، وملأت الفرحة قلبه في انتظار المطر :

وَحَدِيثُهَا كَالْقَطْرِ يَسْمَعُهُ رَاعِي سِنِينَ تَسْتَابَعَتْ جَدْبًا
فَأَصَاحَ بِرُجُو أَنْ يَكُونَ حَيًّا وَ يَقُولُ مِنْ فَرَحٍ هِيَ رُبَا (٥)
ومن هنا كان دعاؤهم للميت ان يسقي قبره المطر (٦) : كما نجد

(١) انظر صحيح مسلم ٣ : ١٢١٢ : الأزمنة والانواء : ١٣٦ ،
بلوغ الأرب ٢ : ٣٠١

Ency of Religion . Art Religion of the Semitic (2)
1 : 669

(٣) من ذلك عبادتهم للدبران انظر بلوغ الارب ٣ : ٢٣٩ : الميثولوجيا
عند العرب : ٧٨

(٤) من ذلك عبادتهم للثريا انظر بلوغ الارب ٢ : ٢٤٠ ، الميثولوجيا
عند العرب : ٨٤ ، ١٠٠

(٥) الأشباه والنظائر ١ : ٥٥ ، الامالي للقالي ١ : ٨٤ . وانظر
ايضاً المنازل والديار : الورقة ٣٧ ، اسرار البلاغة : ١٢٤

(٦) ديوان الخنساء : ١٥ ، امالي اليزيدي : ٢٢ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٤
الاشباه والنظائر : ٦

في ذكر ايمانهم انهم كانوا يقسمون بالمطر ، وبمتمزِل المطر (١) . وقال الجاحظ : والماء قد يكون القسم كقول الشاعر :

غَضَبِي وَلَا وَاللَّهِ يَا أَهْلَهَا لَا أَشْرَبُ الْبَارِدَ أَوْ تَرْضَى
ويقولون لو علم فلان إنَّ شربَ البارد يضع من مروءته لما ذاقه (٢)
وقال طفيل مقسماً بالماء .

وَلَا أَقُولُ وَجَمَّ الْمَاءِ ذُو تَنْفَسٍ مِنْ الْحَرَارَةِ إِنَّ الْمَاءَ مَشْغُولٌ
ولأهمية الماء في نفوسهم سموا بعض الأشخاص باسم ماء السماء (٣) .
ونجد أهمية الماء في البيئة العربية متمثلاً في الشعر العربي في كافة أغراضه ،
فنجده في الفخر والمديح والغزل وغيرها من فنون الشعر ، فاذا أراد شاعرهم
الفخر ، فاعلم يفخر بشرب قومه الماء الصافي على حين يشرب غيرهم الكدر
قال الحارث بن حلزة اليشكري :

وَأَنَا الشَّارِبُونَ الْمَاءَ صَفَوًّا وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدْرًا وَطِينًا (٤)
يفخر شاعرهم بأنه يمنع نفسه لذة الشراب ، لأنه يؤثر رقيقه

-
- (١) من ذلك قولهم لا ومقطع القطر ، أنظر الأمالي للقبلي ١ : ٥٠ ، إيمان
العرب : ٢٠ ، وتروى لا ومقطع القطرة . أنظر المخصص ١٣ : ١١٨ ، المزهري ٢ : ٢٦٢
(٢) الحيوان ٥ : ١٤٨ ، وقد علق محقق الكتاب على قول الجاحظ بقوله :
(والحق ان الماء مقسم عليه لامقسم به ، وأما المقسم به فهو لفظ الجلالة) ويبدو
انه حتى في حالة كون الماء مقسم عليه فان له دلالة على أهميته في البيئة العربية .
والبيت غير منسوب ، وانظر أيضاً مختصر البلدان : ٢٢٢ .
(٣) الحيوان : ١٤١ ، وانظر أيضاً شرح القصائد السبع : ٤٧٥ .
(٤) شرح القصائد السبع : ٤١٩ .

بالشراب قبله ، مما يظهر لنا قلة الماء ، وحاجتهم اليه ، قال أبو دؤاد (١) :
لا يَخَافُ النَّدِيمُ جَهْلِيَّ عَلَى الكَأْسِ ولا يَحْذَرُ الصَّدِيقُ عَقَوقِي
أَمْنَعُ النَفْسَ لِنَدَةِ المَاءِ ظَمَانًا إذا لَمْ يَنْتَهُ قَبْلَ رَفِيقِي (٢)
أما في الهجاء الذي تنعكس فيه مثل الفخر والمدح ، فنجدهم إذا
أرادوا هجاء شخص شبهوه بالماء الكدر المالح .

لو كنتَ ماءً كنتَ لا عذبَ المَدَاقِ ولا مَسَوساً (٣)
ومن اتيان الماء ووروده صدرت عن العرب أمثال عديدة تعكس
كلها أهمية الماء (٤) . وأثره العظيم في نفوسهم ولغتهم ، ومن هنا لوّن
الماء تعابيرهم ، واكتست به ألفاظهم فقالوا : (صبغ له ماء ، وفلان ليس
في وجهه ماء) (٥) .

هذه الصورة المحببة للماء ، والأهمية العظيمة التي نجدها في حياة العربي
هي التي تجسد لنا الصورة الرائعة للجنة التي أعدها الله للمؤمنين ، وأجرى

(١) هو أبو دؤاد الأيادي اختلفوا في اسمه فقال بعضهم هو جارية بن
الحجاج ، وقال غيرهم هو حنظلة بن الشرقي . شاعر جاهلي كان من وصاف الخليل
وكان في عصر كعب بن امامة الأيادي الذي آثر بنصيبه من الماء رفيقه النمري
فبات عطشاً . أنظر الشعر والشعراء ١ : ١٦١ ، الأغاني ١٥ : ٩١ ، خزانة الأدب
٤ : ١٩٠ .

(٢) الحماسة البصرية : الورقة ١٧٢ (ب) .

(٣) ديوان السمؤال : ٩٣ ، ديوان النابغة الجعدي : ٧ شرح القصائد السبع :
٢٧٣ ، الأمالي للوالي ١ : ٣ ، ثمار القلوب : ٤٤٥ ، الجبال والأمكنة : ٦٦ .

(٤) أمثال العرب : ٢٢ .

(٥) ثمار القلوب : ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، وانظر في هذا ، الماعني الأدب العربي : ٧ .

فيها الأنهار الواسعة ، والمياه الوفيرة . وكما استطعنا من قبل ان نتصور مدى التصوير المعجز الذي رسمته الآيات الكريمة للعطش : (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء ، أو مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ ، قالوا ان الله حرّمهُمَا على الكافرين) (١) . فمع ان الآيات الكريمة تصور لنا العطش المؤلم الذي يعانیه أهل النار ، فيتمنون قليلا من الماء ، فانها من الناحية الأخرى تعكس لنا نعيم الجنة ، فتجتمع الصورتان لتكمل الاعجاز الرائع في تصوير عذاب النار ، ونعيم الجنة . فصورة الجنة الوارفة الظلال المتنوعة الأشجار مع الأنهار الوفيرة والعيون المتفجرة ، تقابلها صورة النار ولظاها ، والحرمات من الماء .

وصورة الأنهار الجارية هي التي تكمل صورة الطبيعة الرائعة في القرآن الكريم وقد ذكر هذا الزمخشري بقوله : (ولولا ان الماء الجاري من النعمة واللذة الكبرى ، وان الجنان والرياض وإن كانت آتق شيء وأحسنه لاتروق النواظر ، ولا تبهج الأنفس ، ولا تجلب الأريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء . والا كان الأنس الأعظم فائتاً والسرور الأوفر مفقوداً . وكانت كتماثيل لاروح فيها ، وصور لاحياة لها لما جاء الله بذكر الجنات مشفوعاً بذكر الأنهار الجارية من تحتها مسوقين على قران واحد كالشيثيين لا بد لأحدهما من صاحبه) (٢) .

وفي الآيات التي وردت فيها الجنة غير مقترنة بالأنهار نجدها مقرونة بالعيون المتفجرة بالمياه والى جانبها صورة أخرى هي صورة المجرمين مع الماء الحار قال الله تعالى : (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون ، يطوفون بينها ،

(١) سورة الأعراف ٧ : ٥٠ .

(٢) الكشاف ١ : ١٩٩ - ٢٠٠ .

وبينَ حَمِيمٍ انِ ، فبأيِّ آلاءِ ربكما تكذبان ؟ وَلَمِنَ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ، فبأيِّ آلاءِ ربكما تكذبان ؟ (١) . وقال أيضاً : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ، وَجوهٌ يُومئذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ، تَصَلِي نَاراً حَامِيَةً تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ، لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَلِمَةٌ وَلَا يَغْنَى مِنْ جُوعٍ ، وَجوهٌ يُومئذٍ نَاعِمَةٌ ، لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَلِمَةٌ وَلَا يَغْنَى ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ، لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاجِيَةً ، فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ) (٢) .

وإذا كانت عيون وآبار الحياة الدنيا معرضة للجفاف والنفاذ ، فإن عيون الجنة وفيرة المياه دائمة التفجير (عيناً يشربُ بها عباد الله يفجرونها تفجيراً) (٣) . فاقتران عين الجنة بالمصدر (تفجيراً) تبين ميزتها ، وجمالها بأنها دائمة التفجير غير مقترنة بزمن معين .

وفي كل هذه الآيات ترسم في الذهن الصورة المحببة للماء ، والجمال الذي تثيره الآيات الكريمة في تصوير أنهار الجنة ووفرة المياه فيها (٤) . وقد وصفت كؤوس شراب أهل الجنة بأنها ممزوجة بطعم الزنجبيل فال الله تعالى : (ويُطافُ عليهم بآنيةٍ من فضةٍ وأكوابٍ كانت قواريرا قواريرا من فضةٍ قدروها تقديرا ، ويسقونَ فيها كأساً كانَ مزاجها زنجبيلاً عيناً فيها تسمى سلسبيلاً) (٥) فالزنجبيل مما ينبت في بلاد العرب بأرض عمان ، وهو عروق تسري في الأرض .. وأجوده ما يؤتى به من الزنج

(١) سورة الرحمن ٥٥ : ٤٤ - ٤٥ .

(٢) سورة الغاشية ٨٨ : ٢ - ١٢ .

(٣) سورة الانسان ٧٦ : ٦ .

(٤) أنظر في هذا مقال البيئمة العربية في القرآن الكريم مجلة البيئمة السنة الأولى

العدد العاشر ١٩٦٣ ص ٣٣ فما بعده .

(٥) سورة الانسان ٧٦ : ١٤ .

او بلاد الصين (١) . وكانت العرب تستلذ طعمه ، وتستطيبه . قال الطوسي (الزنجيل ضرب من القرفة طيب الطعم ، يلذع اللسان ، يربي بالعسل ، يستدفع به المضار اذا مزج به الشراب فاق في الالذاذ . والعرب تستطيب الزنجيل جداً قال الشاعر :

كَأَنَّ الْقَرْنَفَلَ وَالزَّنْجِيْلَ بَاتَا بَقِيْهَا وَأَرِيَا مَشُوْرَا (٢)
فالزنجيل مما استلذته العرب ، واستطابته ، وقد شبهوا به ريق المرأة في تغزطم بها ، قال امرؤ القيس :

كَأَنَّ الْمُدَامَ بِأَنْبِيَا بِهَا وَصَوْبَ الْعَمَامِ بِمَاءِ غَلِيْلٍ
وَطَعْمَ السَّفْرِجْلِ وَالزَّنْجِيْلِ عَلَّ بِهِ ، وَبِصَافِي الْعَسَلِ (٣)
وقال الأعشى متغزلاً :

كَأَنَّ طَعْمَ الزَّنْجِيْلِ وَتَمَّ حَا عَلَى أَرِي الدَّبُوْرِ نَزَلَ (٤)
اما رائحة الشراب فانه معطر بالكافور قال الله تعالى : (انا اعتدنا للكافرين سلاسلًا وأغلالًا وسعيرا ، ان الأبرار يشربون من كأسٍ كان مزاجها كافورًا ، عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) (٥) . قال الطوسي : (كان مزاجها كافورًا قيل ما يُشَمُّ من

(١) لسان العرب ١٣ : ٢٣٢ . وقيل ان الكلمة اعجمية . انظر شفاء الغليل : ١٤٠ وقد قال فؤاد حسنين الزنجيل (بقلة يقال لها فلفل الماء الدخيل . في العربية مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول ما يو ١٩٤٩

(٢) التبيان ١٠ : ٢١٤ . والبيت للأعشى في ديوانه : ٩٣ مع اختلاف في الرواية ، وانظر ايضاً الكشف ٣ : ٢٩٨

(٣) ديوان امرئ القيس : ٢٩٨

(٤) ديوان الأعشى ص ٢٧٧

(٥) سورة الانسان ٧٦ : ٤ - ٦

ريحها لا من جهة طعمها ، والكافور في اللغة ضرب من الطيب (١) .
 وقد ذكر ابن دريد انه ليس بعربي محض مستدلاً بقولهم الكافور
 والقافور (٢) . وليس في هذا القول دليل قاطع على اعجمية الكلمة
 ذلك لان هناك نباتاً معروفاً بعينه يسمى الكافور قال الليث : (الكافور :
 نبات له نورٌ ابيض كَنَوْرِ الاقحوان) (٣) . فمن الجائز ان يكون
 الكافور مستخرجاً منه .

ومن هنا نرى ان القرآن الكريم بعد ان وصف وفرة المياه ، وتنوع
 الشراب اللذيذ الذي ينعم به المؤمنون في الجنة ، وصف لنا طعمه بانه
 مخلوط بطعم الزنجبيل الذي احبه العرب واستطابته نفوسهم ، ثم ان رايحه
 طيبة كطعم الكافور الذي اعجبوا به واستلذوا رائحته .

ب - أنهار اللبن :

ولى جانب انهار المياه التي تجري في الجنة نجد وصفاً آخر لانهار
 من اللبن والخمر ، قال الله تعالى : (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ
 فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ
 وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًى) (٤) .
 وذكر اللبن ضمن انهار الجنة يثير صورة في الذهن العربي ، صورة

(١) جمهرة اللغة ٢ : ٤٠١ ، الصحاح ٢ : ٨٠٨ ، لسان العرب

٤٦٦ : ٦

(٢) جمهرة اللغة ٢ : ٤٠١ ، وانظر ايضاً المعرب : ٢٨٤ ، ٢٨٦

(٣) لسان العرب ٦ : ٤٦٦

(٤) سورة محمد ٤٧ : ١٤ - ١٥

البيئة التي عاشها العربي : فاللبن من منتوجات حيوانهم ، وهو شرابهم
المفضل الا ان شح البيئة العربية بالكأ ، والزرع في اكثر ايام السنة
كان يؤدي الى قلة الخيرات ، وانعدام اللبن في ائدائها ، ومن هنا نجد
ندرة اللبن - وخاصة في الشتاء - فتنبعث من ندرته نغبات جديدة
يبعثها الشاعر في فخره وحماسته ، فقد خصوا بشرب اللبن اعز من في
منازلهم : الضيف والفرس .

اما الضيف فقد عرفنا عادة العرب ، وما حتمته البيئة العربية
الشحيحة من تعود الكرم وبذل المال ، والنفس له ، فكانوا يُؤثرون
الضيف باللبن وتلك سمة من سمات الكرم : قال الحارث بن حلزة مخاطبا
صاحبه ليقدم اللبن الخالص للاضياف :

لَا تَكْسَعِ الشولَ باغبارِها انّك لا تدري من الناتِجِ
وأصِيب لاضيفِك من رَسَلِها فانَّ شَرَّ اللَّبَنِ الوالِجِ (١)
وقال الخطيئة :

قَرَوُا جاركَ العميانَ لما جَفَوْتَهُ
وَقَلَّصَ عن بَرَدِ الشَّرابِ مشافره
سناما ومَحَضَّصا أنبتَ اللحمَ فاكتستُ

عظامُ امرئٍ ما كانَ يَشْبَعُ طائرُهُ (٢)
يقول لقد قلصت مشافر جارك عن برد الماء ، فلم يقدر على شربه
لشهوة اللبن ، وانه لشدة هزاله اذا وقع عليه طائر وهو ميت لم يشبع من
(١) المعاني الكبير ١ : ٤٠ ، وانظر ايضاً ١ : ٣٩٨ ، والكسع ان ينضح
الضرع بالماء البارد ثم يضرها بالكف صعدا . اراد فشر اللبن ما حقن في الضرع .
(٢) ن . م : ١ : ٤٠٤ - ٤٠٥ ، والبيت الاول غير موجود في ديوان
الخطيئة : ١٧٧ .

قلة لحمه ، وهزله ، فكونه مشوقا الى اللبن بدرجة عافت نفسه الماء ، مما يدلنا على تعلق نفس العربي باللبن ، واهميته في حياته .

اما في الهجاء فانهم كانوا يعكسون هذه الناحية التي اعتبروها من اهم صفات المديح فقالوا عن المهجو انه يخص نفسه باللبن ، ولا يسقيه اهله وجيرانه . قال الشاعر :

وَيَشْرَبُهُ مُحَضًّا وَيَسْقِي ابْنَ عَمِّهِ

سجاحاً كأقرب الثعالبِ أَوْ رَقَا (١)

والسجاح الذي مذاق حتى تغير طعمه .

اما سقي الفرس اللبن ، فاننا نجد صداه واضحا عند شعراء الفروسية الذين اولوا الفرس حياتهم ، ونزل في نفوسهم منزل العزيز الكريم وذلك لكونها الاساس الذي يعتمد عليه العربي في الدفاع عن شرفه ، وقبيلته حين يغار عليه ، ومن هنا اعتنوا بالخيول اعتناءهم باولادهم ، ونسائهم بل جاوزوا ذلك الى تفضيله على عيالهم جميعاً . قال عنزة بن شداد : (٢)

فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَإِنِّي وَجْرَةٌ لَا تَرَوُدُ وَلَا تُعَارُ

مُقَرَّبَةٌ الشِّتَاءِ وَلَا تَرَاهَا وَرَاءَ الْحَيِّ يَتَّبِعُهَا الْمِهَارُ (٣)

لَهَا بِالصَّيْفِ أَصْبِرَةٌ وَجِلٌّ وَنَيْبٌ مِنْ كَرَامَتِهَا غِزَارُ (٤)

(١) المعاني الكبير ١ : ٤٠ .

(٢) شرح ديوان عنزة : ٧٨ والشعر منسوب الى شداد بن معاوية العبسي

انظر امثال العرب : ٣٦ .

(٣) لقد خص الشتاء هنا لانه زمن المحل ، والجذب ، فالكرم فيه امده

اي انها للركوب لا للنسل .

(٤) الاصبرة من الغنم والابل التي تروح وتغدو على اهلها لا تعزب عنهم

والجل بالكسر البعير ، والنيب المسنة من الابل ، وانظر ايضاً شرح اشعار =

وفي الشتاء حين تهزل الماشية وتجف البانها يخصون الفرس باللبن
المحض ويعيرون غيرهم بسوء صيانتهم الخيل ، واذلالهم لها (١) . يقول
مالك بن نويرة :

أَعْلِلُ أَهْلِي عَنْ قَلِيلِ مَتَاعِهِمْ

وَأَسْتَقِيهِ مَحْتَضِ الشَّوْلِ وَالْحِيَّ هَاتِفُ (٢)

فهو هنا يقول بانه يحرم اهله شرب اللبن ، ويعللهم ، ويلهيمهم ،
ليسقي فرسه اللبن الشول الخالص ويخصها به . وتبلغ ندرة اللبن احيانا
الى درجة لا يسقي الرجل عياله الا ما فضل من شرب الفرس قال متمم
ابن نويرة :

فَلَهُ ضَرِيبُ الشَّوْلِ الْاَسْوَاءِ رَهُ وَالْجَلُّ فَهُوَ مَرَبٌّ لَا يُخْلَعُ (٣)

يريد بانه يسقي فرسه اللبن المحض ، وما بقى سؤره لا يرده عليه
بل يشربه هو واهله .

ومن هنا نجد في اخبار الشعراء ، واشعارهم اشارات الى ان النساء
كانوا يلومون ازواجهم بحرمانهم اللبن ، وخصهم الفرس به ، وهم في
اشد الحاجة اليه ايام الحبل ، والجدب . فيذكر عنبرة زوجته ، ولومها
له ، مظهرا قلة اكرائه بانينها ، وتوجعها ، وينذرها بالهجران ان استمرت
على لومه :

= الهدليين ١ : ١١٣ ، الشعر والشعراء ١ : ٢٢٧ .

(١) انظر الخيل : ١٢ نخبة عقد الجياد : ٢٢٣ ، وانظر هذا في اخبار عنبرة

الاغاني ٨ : ٤٤٣ ط دار الكتب .

(٢) الخيل : ١٢ ، حلية الفرسان : ١٨٢ ، والشول من الابل ما اتى عليها

من حملها سبعة اشهر فخفف لبنها .

(٣) المفضليات ٥٢ .

لا تَذْكُرِي مُهْرِي وَمَا أَطْعَمْتُهُ
فَيَكُونُ جِلْدُكَ مِثْلَ جِلْدِ الْأَجْرَبِ

ان الغَبُوقَ لَهُ ، وَأَنْتِ مَسُوءَةٌ

فَتَأْوِيهِ مَا شِئْتَ ثُمَّ تَحْوِيهِ (١)

ويقول الأعرج المعنّي (٢) ذاكراً زوجته ولومها لا يثارة الفرس عليها

بشرب اللبن :

أَرَى أُمَّ سَهْلٍ مَا تَنَزَّالُ تُتَفَجَّعُ
تَلُومٌ وَمَا تَنَدَّرِي عَمَلَامَ تَنَوَّجَعُ
تَلُومٌ عَلَى أَنْ أُعْطِيَ الْوَرْدَ لِقْمَةً
وَمَا تَسْتَوِي وَالْوَرْدُ سَاعَةً تُتَفَزَّعُ (٣)

ونجد أهمية اللبن في الحديث النبوي الشريف ، وذلك انه كان (ص)

يحب اللبن (٤) وانه أوصى بالدعاء عند شرب اللبن . قال : (إذا أكل

أحدكم طعاماً فليقل اللهم بارك لنا فيه ، وأطعمنا خيراً منه ، وإذا سقي لبناً

فليقل ، اللهم بارك لنا فيه ، وزدنا منه ، فانه ليس شيء يجزيء من

الطعام والشراب إلا اللبن) (٥) . فالرسول (ص) أوصى هنا أن يدعو الانسان

ربه اذا أكل الطعام بأن يرزقه خيراً منه ، على حين انه إذا شرب اللبن

لم يطلب خيراً منه ، وانما يدعو الله ان يزيده منه ، لأنه لا يوجد طعام ولا

شراب يكفي الانسان ، أو يغنيه مثل اللبن .

ومن الطبيعي أن يكون اهتمامهم باللبن صادراً عن كونه من أهم

(١) ديوان عنتره : ١٩ .

(٢) هو عددي بن سويد بن ريان الأعرج الطائي المعنى وقيل اسمه سويد بن

عددي وهو مخضرم . أنظر معجم الشعراء : ٢٥١ .

(٣) شرح ديوان الحماسة ١ : ٣٤٩ .

(٤) المحاسن : ٤٠٩ ، الطب النبوي : ٨٠ .

(٥) سنن أبي داود ٢ : ٣٠٤ ، سنن ابن ماجه ٢ : ١١٠٣ ، الطب النبوي : ٨٠ .

منتجات حيوانهم . ويبدو ان هناك سبباً آخر لهذا الاهتمام ، ذلك لأن اللبن عندهم يمثل الفطرة ، فهو أول ما يسقى منه رضيعهم ، وحيوانهم بالفطرة فاذا رضع رضيعان من ثدي واحد ربطتهما اللبن بالاخوة الطبيعية . وان اختلف نسبهما وأصلهما .

فالبُلبن هو الخير الطبيعي الذي يلزم الانسانية في وجودها . وقد دار الفكر العربي حول هذه الفكرة يحب اللبن ويقدهه ، حتى تبلورت في ذهنه فكرة الخير المطلق ، وارتبط اللبن باليمن والبركة فقوالوا ايمن من اللبن (١) ، لهذه الدلالة المقترنة بالخير الدائم . ومما يروى ان رسول الله (ص) قال عن عمار بن ياسر : (أبو اليقظان على الفطرة لن يدعها حتى يموت ، أو يفسيه الهرم) (٢) . وعنه (ص) انه قال عن عمار أيضاً بأن آخر شربة يشربها من الدنيا شربة لبن ، وانه قد شرب اللبن قبل مقتله فصدق قول الرسول الكريم (٣) . ويمكن أن نقرن بين الروايتين بأن عمار بن ياسر عاش حياته على الطبيعة والسليقة ، فكان اللبن قوام طعامه وشرابه ، حتى ختم حياته الفطرية باللبن الذي يمثل شراب الفطرة ، وفارقه الى الجنة حيث يلقي هناك شراب الخير الطبيعي الدائم .

ومن هنا تتضح لنا الصورة الجميلة لأنهار اللبن في الجنة بالاضافة الى كونها توفر لهم الشراب المفضل اللذيذ ، لأنها تؤكد لهم فكرة الخير المطلق والبركة الدائمة التي تظلل المؤمنين ، لأن اللبن شراب الفطرة ، الشراب الميمون المبارك الذي يجدونه في الجنة متوفراً ، بل يمتعون أنظارهم بمشهد جريه في أنهار جميلة رائعة .

(١) أساس البلاغة : ٨٤٤ .

(٢) الطبقات الكبرى ج ٣ ق ١ : ١٨٨ .

(٣) ن . م : ١٨٤ ، مسند الامام أحمد ٤ : ٣١٩ .

ج - أنهار الخمر

أما أنهار الخمر التي ذكرتها الآيات الكريمة : (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي
وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ
يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ) (١) . فانها تعطينا
صنفاً آخر من أصناف شراب أهل الجنة ، واذا عدنا الى البيئة العربية وجدنا
للخمرة صدى عميقا في نفوس العرب وحياتهم (٢) .

فقد ذكرت الخمرة في الشعر العربي ، ذكرها الشاعر ليغمر في كأسه
أحزانه ، ويدفن فيها قلقه . وقد تغنى الشعراء بشربها ، ووصفوا تأثيرها
السحري على نفوسهم . قال عمرو بن كلثوم :

الَاهْبِي بِصَحْنِكَ فَاصْبِحِينَا وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا
مُشَعَّشَعَةً كَأَنَّ الْحَصَى فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَحِينَا
تَجُورُ بِنْدِي اللَّبَانَةَ عَنِّ هَوَاهُ إِذَا مَا ذَاقَهَا حَتَّى يَسِينَا (٣)

وقد فخرُوا بشربها . قال طرفة بن العبد :

وإن تبغيني في حلقمة القوم تلتقي

وإن تقننصني في الحوانيت تصطد

(١) سورة محمد ٤٧ : ١٥ .

(٢) أنظر في هذا تطور الخمريات : ٢٨ فما بعدها .

(٣) جمهرة أشعار العرب : ١١٧ ، وانظر أيضاً ديوان ابن مقبل ٢٨٧ ،

٢٩٢ ، ديوان حميد بن ثور : ٥٩ ، شرح أشعار الهذليين ١ : ٤٨ ، ٤٩ :

متى تسانني أصبحك كأساً رويّة

ولأن كنت عنها غانياً فاغنِ وازدَدِ (١)
ووصفوا أواني الشراب وكؤوسه . قال عنتره بن شداد واصفاً زجاجة
الخمير :

ولقد شربنت من المدامة بعد ما

ركد المواجير بالمشوف المعلوم

بزجاجة صفراء ذات أسيرة

قُرنت بأزهر في الشمال مُقدّم (٢)

وقد شبهوا ريق المرأة بالخمرة (٣) . ولم يكنهوا بوصف مجالس الخمير
بل نجد عندهم نظرات تأملية يعللون بها شربهم الخمير ، وانغارهم في الملذات .
يقول طرفة بن العبد مخاطباً الذين يلومونه على كثرة شربه ، ولهو ، بأنه
مادام لا يستطيع دفع منيته فان عليه أن يبادر الى اشباع رغبات نفسه ،
تلك المنية التي تهدده في كل لحظة في بيئته الحربية المتطاحنة :

الا أيهدا اللاتي احضرو الوغى

وإن أشهد اللذات هل انت مخلصني

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي

فدعني أبادرها بما ملكت يدي

فدّرني أروها متى في حياتها تخافة شرب في الحياة مُصرّد

(١) ديوان طرفة : ٤٧ ، جمهرة اشعار العرب : ١٣٨ ، وانظر ايضاً ديوان

النابعة الجعدي : ٨٦ .

(٢) شرح ديوان عنتره : ١٤٨ ، ديوان علقمة الفحل : ٦٩ .

(٣) ديوان جران العود : ١٥ ، ٤٥ ديوان سلامة بن جندل : ١٤ ، شرح

اشعار الهذليين ١ : ١٤١ ، جمهرة اشعار العرب : ٨٥ ، ١٤١ .

كريمٌ يُروي نَفْسَهُ في حَيَاتِهِ

سَتَعْلَمُ إِنَّ مَتَنَا غَدًا أَيُّنَا الصَّادِي (١)

إنها البيئة التي حَتَمَت على العربي هذا الضرب من العيش حين اعوزته الاستقرار ، والامان . فكان العربي فيها مهددا في كل لحظة بعبارة مفاجئة تشكله بأعز الناس اليه ، أو تقتله . ومن هنا عكفوا على شربها وقضوا لياليهم وأيامهم ينهلون منها قبل أن تصيدهم يد الظروف القاسية . يقول الاستاذ جميل سعيد (فالقبيلة تصبح وكل شيء فيها هادىء ثم تسمي ، فاذا هي قد اغير عليها ، وفقدت نعمها ورجالها ، فلا يبقى أمامها إلا أن تبحث عن الخمر تغرق فيها احزانها) (٢) .

وجاء الاسلام ومعه نظام دقيق لاصلاح البشرية ، ودفع دفعة الحياة بالعمل ، والتفكير ، دون الانغماس بالملذات والكبائر ، ولم يشأ الله سبحانه وتعالى ان يجرّم الخمر على المسلمين فجأة ، بل كانت مشيئته الربانية في معاملة النفوس البشرية بالرفقة ، واللطف ، فكان تحريم الخمر على مراحل بدأت بذكر اثم الخمر ، وانه أكثر من نفعها (٣) ، وانه لا تجوز الصلاة في حالة السكر (٤) ، وأخيراً كان التحريم المطلق لشرب الخمر ، وحدث

(١) ديوان طرفة : ٥ ، جمهرة أشعار العرب : ١٤١ .

(٢) الوصف في شعر العراق : ٦٢ ، وانظر أيضاً تطور الخمريات : ٢٩ ،

فما بعدها .

(٣) قال الله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْمِرِ ، قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ

كبيرٌ ، ومنافعٌ للناسِ :) سورة البقرة ٢ : ٢١٩ .

(٤) قال الله تعالى : (وَلَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ، حَتَّى تَعْلَمُوا

مَا تَقُولُونَ) سورة النساء ٤ : ٤٣ .

شاربها (١) . ومع ذلك نجد في وصف أنهار الجنة ان فيها أنهاراً من الخمر وان هذه الخمرة تقدم بكأس بيضاء جميلة ، ووصفت بأنها ليست كخمر الدنيا : (أولئك لهم رزقٌ معلومٌ فواكهٌ وهم مُكرّمونَ ، في جناتِ النعيمِ على سُرُرٍ مُتقابلينَ ، يُطافُ عليهمُ بكأسٍ مِن مَعِينٍ ، بيضاء لذةٍ للشاربين ، لافيهَا غولٌ ولاهمُ منها ينزفون) (٢) . قال ابن عباس مفسراً الغول بأنه (وجع البطن ، وذهاب العقل والأذى) (٣) . ونقل الطبري عن ابن عباس أيضاً بأنه فسر الغول هنا بالصداع (٤) . أما أبو عبيدة فقد خص الغول بأنه ما يغتال العقل ، ولم يعمه على وجع البطن ، والاثم قال : (ليس فيها غول) والغول ان تغتال عقولهم قال الشاعر :

وما زالت الكأسُ تَغْتالُنَا وتذهبُ الأولَ بالاولِ (٥)

وقال الزمخشري : (الغول ماغاله يغولُه اذا أهلكه وأفسده ، ومنه الغول الذي في تكاذيب العرب ، وفي أمثالهم الغضب غول الحليم) (٦) . وفي الاستعمال اللغوي ما يؤكد هذا المعنى فالغول (المهلكة ، وكل

(١) قال الله تعالى : (انما الخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ رجسٌ

من عملِ الشيطانِ فاجتنبوه) سورة المائدة ٥ : ٩٠ .

(٢) سورة الصافات ٣٧ : ٤٧ .

(٣) تنوير المقياس : ٢٢٧ .

(٤) جامع البيان ٢٣ : ٥٣ ، وكذلك قول الخليل كما نقله ابن سيده في

الخصص ٥ : ٧٤ ، وانظر أيضاً التبيان ٨ : ٤٩٦ ، وهو معنى أكدته آيات أخرى بقوله تعالى (لا يصدعون عنها ولا ينزفون) سورة الواقعة ٥٦ : ١٩ ، ف قيل ان معنى يصدعون يصيبهم الصداع انظر مجاز القرآن ٢ : ٢٤٩ ، الكشاف ٣ : ١٩٤ .

(٥) مجاز القرآن ٢ : ١٦٩ ، جامع البيان ٢٣ : ٥٣ .

(٦) الكشاف ٢ : ٦٠١ .

ما أهلك الانسان فهو غول (١) . قال طفيل الغنوي :

ولا أخاليفٌ جاري في حـايـلـتـيـهـِ
 ولا ابن عمي غـالـتـني إذا غـولُ (٢)

أي أصابني داهية أهلكني ، ومنه سميت الصحراء البعيدة المرامي بالغول (٣) . لأنها تغتال الانسان بمجاهلها ، وبهذا تكون الآية الكريمة قد نقت بتعبير واحد معظم عيوب الخمر ، وذلك ان المنعمين في الجنة لا يصيبهم صداع ، ولا ألم في بطونهم ، إذ لا تؤذيهم الخمر ، ولا تهلكهم ، إنما هي خمر من ضرب آخر أعدت للمؤمنين في الجنة .

ويتبع هذا النعت وصف آخر لخمير الجنة ، وهو انها لا تنزف اذا شربوها ، (لا فيها غولٌ ، ولا هم عنها يتزفون) (٤) . قال ابن عباس مفسراً هذا التعبير بقوله : (ينزفون ينفذون ويقال ولا هم يسكرون ولا تصدع رؤسهم) (٥) . وقال ابو عبيدة (لا يسكرون) (٦) . وقد ذكر الطبري ان سبب الاختلاف في تفسير النزف هو اختلافهم في قراءة الكلمة قال : (والصواب في ذلك ان أهل الجنة لا ينفذ شرابهم ولا يسكرهم شرابهم اياه فيذهب عقولهم) (٧) .

فالخمير حين حرمت في الحياة الدنيا على المسلمين ، إنما حرمت

- (١) فقه اللغة : ١٩ ، المخصص ٦ : ١٢٨ ، لسان العرب ١٤ : ٢٠ .
- (٢) ديوان طفيل : ٣١ ، وانظر أيضاً المفضليات : ٥٩ .
- (٣) المخصص ١٠ : ١١٥ ، وانظر شاهد الشعر في مجالس ثعلب ١ : ٨ ، ١٠ ، ١١٨ .

(٤) سورة الصافات ٣٧ : ٤٧

(٥) تنوير المقياس : ٢٧٧

(٦) مجاز القرآن ٢ : ٢٤٩

(٧) جامع البيان ٢٣ : ٥٥

لعيوبها ، ومضارها . وقد عرف العرب عيوبها من قبل ، ونجد ذكرها في الحديث عن أيام لهُوهم ، ووصف مجالس شرايهم . قال عدي بن زيد :
إِذْ غَبَبَتْهُ حَمْرَاءُ صَافِيَةٌ وَالْحَمْرَ وَهَلْ يَهِيمُ شَارِبَهَا (١)
أي ان الخمر تذهب بلب شاربيها فيهم ، ولا يستطيع التفكير الصحيح .
قال ابو ذؤيب واصفاً مجلس الندامى ، بانهم اكثر شربهم بيدون ، وكان رؤسهم جراحاً :

تَرَى شَرِبَهَا حُمْرَ الْعَيُونِ كَأَنَّهِنَّ أَسَاوَى إِذَا مَا سَارَ فِيهِنَّ سَوَارَهَا
وَالْأَسَاوَى جَمْعُ آسٍ وَأَسِيَانٍ . يريد كأن شربها بهم جراح في رؤسهم قد دُوِيَتْ . شبه السكرى بذلك لانكسار اعينهم ، (٢)
وقد تفقد الخمر لب الانسان ، وتفكيره ، مما يؤدي به الى مشاكل عديدة (٣) . ومن هنا نفى الشعراء في اشعارهم ان تذهب الخمر عقولهم
قال عنتر بن شداد :

فَإِذَا سَكِرْتُ فَاَنْتَنِي مُسْتَهْلِكٌ مَالِي ، وَعِرْضِي وَإِفْرٌ لَمْ يَكْلَمْ
وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرُ عَنْ تَدْنِي

وَكَمَا عَلِمْتَ تَشْمَائِلِي وَتَكَرُّمِي (٤)

ومن هنا نرى أي اعجاز عظيم ذلك الذي نجد في الآيات الكريمة حين تصف نحر الجنة ، وانهارها الجارية ، بان نحرها خالص المتعة قد نفيت عنه كل عيوب نحر الحياة الدنيا . فهي لا تسكر ، ولا يصيب شاربيها الصداق ، أو أي ألم كان ، ثم ان نحر الجنة مخلوط بالمسك قال الله تعالى :

(١) ديوان عدي بن زيد : ٤٨

(٢) المعاني الكبير ١ : ٤٢٢ .

(٣) انظر ديوان أبي محجن : ٦٧

(٤) شرح ديوان عنتر : ١٤٩

(إنَّ الإبرارَ لفي نعيمٍ ، على الأرائكِ يَنتظرونَ ، تَعْرِفُ في وجوهِهِم نَضْرَةَ النعيمِ ، يُسْتَقُونَ من رَحِيقِ مَخْضُومٍ ، خَتَامُهُ مُنْسَكٌ وفي ذلك فليستأنفسِ المنافسونَ) (١) . فخمير الجنة صافية مخلوطة بالمسك ، وهو طيب الرائحة (٢) . وكان العرب يتطيّبون به (٤) . ويحفظ عادة في قوارير ، وهو من الطيب الثمين الذي يباع بأثمان عالية كما يقول الأستاذ جواد علي (٤) .

ج - انهار للعسل :

واخيراً فهناك انهار من عسل تجري الى جانب انهار المياه والخمر واللبن ، واذا كان العسل شراباً متوفراً في كثير من البيئات ، فان معرفة نظرة العرب اليه تشكل لنا صورة لاهميته في بيئتهم ، ونفوسهم ، فقد ذكر وجود العسل في بعض انحاء الجزيرة العربية حتى صار من أهم مواد تجارتهم ، قال ابن المجاور : (كان لبني سليم في الجاهلية نحل عظيم يشتره الحجاج ، وأهل الحجاز ، وبعض أهل اليمن) (٥) . اما في باقي

(١) سورة المطففين ٨٣ : ٢٢ - ٢٦

(٢) وقد قال الجوهري انه فارسي معرب . انظر الصحاح ٤ : ١٦٠٨ ،

المعرب : ٣٢٥ ، لسان العرب ١٢ : ٣٧٧ . وصيغة الكلمة لا توحى بكونها اعجمية ، الا انهم ذكروا انها مادة متوفرة في الصين ، والتبت ، موجودة في

قرون ظبائها انظر آثار البلاد : ٧٩

(٣) ديوان الاعشى : ٥٥

(٤) تاريخ العرب لجواد علي ٨ : ٩٣ ، ١٣٥

(٥) صفة بلاد اليمن : ١٥

انحاء الجزيرة العربية ، فقد ذكر العسل في اشعار الشعراء ، فوصفوا
الاماكن التي يكثر فيها ، ووصفوا معاناة المشتار في اشتهاره العسل (١) .
وَمُ يَحِبُّ الْعَرَبُ الْعَسْلَ لِأَنَّهُ شَرَابٌ حَلْوٌ فَحَسَبَ ، بَلْ لَأَنَّهُمْ اعْتَقَدُوا
فِيهِ مَا لَا يَعْتَقِدُونَ بغيره من انواع الشراب ، وذلك أنهم اعتبروه من
الادوية التي يعالجون بها امراضهم ، بالاضافة الى كونه شرابا لذيذا حلوا
وقد اكد القرآن الكريم هذه الناحية بذكر نَعَمَ اللَّهُ الْوَفِيَّةَ الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيَّ
عِبَادَهُ وَمِنْهَا الْعَسْلُ (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ
يَبُوتًا ، وَمِنَ الشَّجَرِ ، وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ، ثُمَّ كَلَّيْ مِنْ كَلِّ الثَّمَرَاتِ
فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ، يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ
الْوَانُ ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ . انَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (٢)
كما اوصى به الرسول الكريم (ص) بقوله : (عليكم بالشفائين العسل
والقرآن) (٣) . وقد طبق الرسول (ص) قوله هذا في حياته ، فقد
روي انه كان يشرب كل يوم قدح عسل ممزوج بالماء على الريق (٤) .
وروي عن عائشة انها قالت : (كان احب الشراب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم العسل) (٥) . وقالت ايضا (ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يحب الحلوى والعسل) (٦) .
وهذا الاهتمام بالعسل مرده الى الفكرة التي رسخت في اذهانهم ،

(١) شرح اشعار الهدلين ١ : ١٤١ .

(٢) سورة النحل ١٦ : ٦٩ - ٧٠ .

(٣) سنن ابن ماجه ٢ : ١١٤٢ ، الطب النبوي : ٦٩ .

(٤) الطب النبوي : ٧٠ .

(٥) ن . م : ٦٩ .

(٦) المحاسن : ٤١٥ ، سنن الدارمي ٢ : ١٠٧ ، الطب النبوي : ٦٩ .

وجربوها في حياتهم ، باعتبار العسل شفاء لكثير من الامراض . هذا من ناحية ومن الناحية الاخرى ، فان طعمه الحلو يجعل الشارب يستزيد منه ، ويستلذه ، ومن هنا تغزلوا بالمرأة وشبهوا ريقها بالعسل . قال النابغة الذبياني :
 كأنَّ مَشْمُولَةً بِصِرْفَاءِ بَرِيقَتِهَا مِنْ بَعْدِ رَقَدَتِهَا أَوْ شُهْدَ مَشْتَارِ (١)
 وقالوا في مديح الرجل ، وورثائه بأنه كالعسل الخالص في لينه ، وعموم نفعه . (٢) وكان شاعرهم اذا ذكر العسل استنطرد الى وصف النحل الذي يجمعه ، والى وصف ما يعاينه المشتار حين يجمع العسل ، مغرضاً نفسه الى اذى النحل ، لاجل الحصول على هذا الشراب اللذيذ (٣) .

ومن هاتين الناحيتين جاء اهتمام القرآن الكريم بالعسل ، فذكرت انهار العسل الجارية في الجنة لتزيد متعة المؤمنين بعد الحساب ، تلك المتعة التي تشترك فيها الناحيتان النفسية في كون للعسل شفاء ، وعافية ، والمادية بكونه شراباً لذيذاً يتمتع به المؤمنون الى جانب النعم الاخرى التي يوفرها الله سبحانه وتعالى في الجنة .

هذه هي صورة الانهار المتعددة التي تجري في الجنة ، فيتمتع بشربها ومنظرها المؤمنون ، واذا قارنا هذه الصورة بصورة التعذيب بالعطش وجدنا فرقا شاسعا بين الصورتين ، فرقا بين من يتوسل ، ويتمنى شربة ماء صاف ، وبين المؤمن الذي يجد امامه نعيماً متوفراً من خمر ولبن وعسل . وقد اورد القرآن الكريم هاتين الصورتين معا ليزيد ملامح كل صورة وضوحاً ، وبيانا : (وَجَوْهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ، عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ، تَصَلِّيُ

(١) ديوان النابغة : ٥٠ ، جمهرة اشعار العرب : ٧٩ ، وانظر ايضا الغريب المصنف : الورقة (٩٨) .

(٢) جمهرة اشعار العرب : ٢٧٥ ، الشجر والشعراء ١ : ١٠٧ .

(٣) اشعار الهذليين ١ : ٤٨ - ٤٩ .

ناراً حاميةً ، تُسقى مِنْ عَيْنِ آتِيَةٍ ، لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ
لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ، وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ، لَسَعَهَا
رَاضِيَةٌ ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ، لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاحِيَةٌ ، فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ
فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَآكَوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١) . وقال تعالى ايضاً :
(مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ، فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ،
وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ،
وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ، وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ، وَمَغْفِرَةٌ
مَنْ رَبِّهِمْ ، كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ
أَمْعَاءَهُمْ) (٢) . وتكرار لفظة الانهار مرة بعد مرة يزيد جمال الآية
ويرسخ الصورة الرائعة للانهار ، والشراب المتوفر في الجنة ، حتى اذا
اكتملت هذه الصورة جاءت صورة المجرمين الخالدين في النار الذين
لا يسقون الا الحميم الحار الذي يقطعُ امعاءهم ويحرق بطونهم .
وتحيط الانهار المتوفرة في الجنة الاشجار والنخيل بظلالها الوارفة ،
وجوها المعتدل الطيب . اما العطش والحرقان من الماء ، فتحيطه صورة
النار ، ولظاها المحرق وصنوف عذابها . وبهذا تتجلى صورتان فتغمر
الراحة ، والسعادة نفس المؤمن حين يقرأ وصف الجنة ، على حين يقشعر
جسده ، وتملكه الرهبة حين يقرأ وصف عذاب النار (٣) .

(١) سورة الغاشية ٨٨ : ٢ - ١٤ .

(٢) سورة محمد ٤٧ : ١٥ - ١٦ .

(٣) من حديث الماء في الادب العربي : ٨ ، وقد اهلكت الحديث عن طعام
اهل الجنة ، لان دلالاته على البيئة العربية غير واضحة كما مر بنا في الحديث عن طعام
اهل النار انظر ص ٢٥٧ اما ذكر اشجار الفاكهة المتنوعة فانها تدخل ضمن الحديث
عن وصف الجنة واشجارها الوارفة . انظر ص ٢١٤ .

٤ - صنوف اخرى من النعيم :

أ - لباسهم :

لقد مر بنا وصف الوان لباس المؤمنين في الجنة ، وكيف انها اقترنت بالخضرة احب الالوان الى نفوسهم . اما نسيجها فهو من الحرير الناعم الخالص (ان الله يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ . . . يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ، وَلَوْلُؤَا ، وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ) (١) . وقال تعالى (وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ، مُتَكَئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ، لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا ، وَلَا زَمَهْرِيرًا) (٢) .

وإذا عدنا الى البيئة العربية وجدنا الحرير قد شاع استعماله في العصر الجاهلي خاصة عند الاعنياء منهم . اما النساء فقد كثر وصف ملابسهن المصنوعة من الحرير (٣) . ولبسه الرجال ايضا الى درجة بالغوا فيه ، حتى جاء الاسلام فاراد ان يحذ من هذا الترف فحرم لبسه على الرجال دون النساء (٤) . ومن هنا اباحه الله سبحانه وتعالى للمؤمنين في الجنة ، فالحرير محرم على الرجال في الدنيا ، لانه يمثل الترف المبالغ فيه ، اما في الجنة فان الله سبحانه وتعالى لا يحرم عباده هذه النعمة .

(١) سورة الحج ٢٢ : ١٤ - ٢٣ .

(٢) سورة الانسان ٧٦ : ١٢ .

(٣) المفضليات : ٤١١ : للشعر والشعراء ١ : ٣١٧ .

(٤) سنن ابي داود ٢ : ٣٦٩ ، ٣٧٢ .

ب - أساور المذهب والفضة

وهناك صورة أخرى تعرضها الآيات الكريمة للترف الذي ينعم به المؤمنون في الجنة تلك هي صورة تزيينهم بأساور الذهب والفضة (يُحَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ، وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا) (١) وقال تعالى أيضاً : (عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَاسْتَبْرَقٌ ، وَحَلَّلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ ، وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا) (٢) . وللقارىء ان يلاحظ ان الآية الكريمة لاتحدد لبس الأساور بالنساء دون الرجال ، وانما قد يفهم منها ان الرجال يخلون بها أيضاً . ومن هنا نتساءل ما اذا كان الرجال في الجاهلية يتحلون بالحلى والأساور؟ ان ماوصل الينا من المصادر لايعيننا على فهم هذه الصورة إلا اننا نجد في الحديث النبوي مايعكس لنا ذلك فالرسول عليه الصلاة والسلام قد نهى الرجال ، وشدد في منع لبس الذهب والتختم به (٣) وأباح لهم الفضة لأنها أقل ترفاً من الذهب . وهناك حديث شريف يقول : (من أراد ان يسوّرَ حبيبه بسوار من نار ، فليسوره بسوار من ذهب) (٤) . ولايمكن ان يوجه هذا الحديث الى منع لبس المرأة الذهب والأساور لأن حكم الاسلام معروف فيه ، وقد أحل لها لبس الذهب على أن تؤدي

(١) سورة الكهف ١٨ : ٣١ .

(٢) سورة الانسان ٧٦ : ٢١ .

(٣) سنن أبي داود ٢ : ٤٠٦ ، مسند الامام أحمد ١ : ١٦٩ ، ٢ : ٣٣٤ ،

. ٣٧٨

(٤) مسند الامام أحمد ٢ : ٣٣٤ ، ٣٧٨ ، ٤ : ٤١٤ .

زكاته (٥) . إلا اننا يمكن أن نفهم ان بعضهم كان يتسور في الاسلام فشدد
الرسول (ص) بمنع هذه الحلية ، لأنها تجعل لابسها في ترف مبالغ فيه ،
قد يبلغه عن العمل الجدي .

(٥) سنن الترمذي ٣ : ٢٩ ، سنن ابن ماجة ٢ : ١٢١ ، مسند الامام أحمد

١ : ٢٠٨ ، ٢٠٤ :

الخاتمة

واخيرا وبعد ان مرت بنا فصول الرسالة تبين لنا ان صور الحساب التي وردت في مواضع متفرقة من القرآن الكريم قد تجلت لنا بصورة واضحة في هذا البحث ، ويتبين لنا انه سبحانه وتعالى عرض لنا يوم الحساب في مشاهد متتابعة ما ان يكتمل مشهد حتى يليه اخر يكمل صورته ويقدم ساعة الحساب مرحلة جديدة ابتداء من ساعة النفير حتى ساعة القضاء ثم الثواب ، والعقاب ، وفي كل مشهد من هذه المشاهد وجدنا صوراً عديدة متحركة تجتمع كلها لتكمل لنا ملامح الموقف وفي كل تعبير نجد جانباً من البيئة العربية .

وإذا استعرضنا هذه التعابير نستشف منها أهمية البيئة العربية في وفرة بعض الالفاظ دون غيرها نجد ان الامور التي كانت لها علاقة وثيقة بحياة العربي قد دارت حولها الالفاظ في مفرداتها اكثر من غيرها .

فالجزيرة العربية صحراء مترامية الاطراف في معظم اجزائها ، كادت تحرم من المياه في كثير من المناطق . ومن هنا نجد ان القرآن الكريم اولى هذه الناحية اهميتها العظيمة ووجدناها واضحة تمام الوضوح في مشاهد القيامة : فالجرمون يساقون الى النار عطاشى محرومين من الماء (ص ٢٣٠) وهي اول وسيلة من وسائل التعذيب بالنار . وتتجلى هذه الصورة اكثر في التعابير التي تصور شراب أهل النار (ص ٢٣٠ فما بعدها) والايات التي تعرض وصف الجنة ووفرة المياه فيها ، والانهار الجارية فيها ٢٨٢ فما بعدها . هذه الالهية العظيمة للماء تأثر بها المفسرون ايضا ففسروا بعض التعابير التي تبدو بعيدة عن معنى الماء في سياقها العام كقوله تعالى (نحشر الجرمين يومئذ زرقا) سورة طه ٢٠ : ١٠٣ (وانظر ص ١٤٩) . وهناك

تعابير لها علاقة بالماء ، وصفاته كالكدرة (ص ٩٢) والقصر (ص ٢٢٧)
 ولما كانت الانهار الجارية قليلة تكاد تنعدم في البيئة العربية لذا وجدنا قلة
 التعابير التي تخص السفينة الا تعبيراً واحداً يخص حبالها (ص ٢٢٩)
 وهناك تعابير عكست لنا صوراً من الصحراء العربية كالسراب
 (ص ٦٧) والكثيب المهيل (ص ٧٨) وتداعي الكثيب (ص ٢٩) ثم
 مور التراب (٨٦) والرمال الهيم السهلة (٢٤٩) . اما النبات فقد اولاه
 القرآن الكريم اهمية كبيرة في تعابير عديدة كالنضرة (١٥٩) والفطر وهو
 شق النبات وخروجه من الارض (٨٩) واخيراً في اوضح مشهد يعرض
 لنا صفة الجنة وخضرتها المحببة واشجارها المتنوعة (ص ٢٧٣) فما بعدها .
 أما التعابير التي تخص الحيوانات فوجدنا ان مجموع الالفاظ التي مر
 بحثها قد وفرت حول الحيوانات التي لها علاقة كبيرة في حياة العربي .
 فالبعير حيوان الصحراء المعتاد احبه العربي ولازمه في اسفاره ، ورحلاته ،
 وناجاه مناجاة الصديق . هذا البعير وفرت حوله التعابير سواء كان في خلقه
 او صفاته ، او ما يعرض له من عوارض من ذلك تعبير الفارقة : الداهية
 التي قال بعضهم انها مشتقة من فقر انف البعير حين يحز (ص ١٢٢) وكذلك
 تعبير الفطر في قوله تعالى (اذا السماء انفطرت) سورة الانفطار ٨٢ : ١
 التي نفهم منها فطر ناب البعير اذا شق (٨٩) . لو قوله تعالى (انها ترمي
 بشرر كالقصر) سورة المرسلات ٧٧ : ٣٢ الذي فسره بعضهم بانه اعناق
 الابل (٢٢٧) او قوله تعالى (كانها جمالات صفر) سورة المرسلات
 ٧٧ : ٣٢ ، بأن شرر النار يشبه الجمالة وهي الناقة الضخمة (٢٢٩)
 وفي صفة الناس يوم القيامة (مهطعين مقنعي رؤسهم) (سورة القمر ٥٤
 ٨) بان الاهطاع مشتق من اهطاع البعير اذا كان في رأسه ميل خلقلة
 (١٢٩) او المور في قوله تعالى (يوم تمور السماء مورا) (سورة

الطور ٥٢ : ٩) بان المور هو الاضطراب من مارت الناقاة اذا سارت ونثر التراب على جانبها (٨٦) أو قوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) (سورة الروم ٣٠ : ١٢) من ابلاس الناقاة اذا اصابها عارض فتألمت ويئست (ص ١١٦) وفي صفة المجرمين حين يشربون فلا يرتون (فشاربون شرب الهيم) (سورة الواقعة ٥٦ : ٥٦) بان الهيم الابل العطاش المريضة اما ما يطلى به البعير حين يصاب بالجرب او ايام الشتاء الباردة فقد ورد في تعبيرين هما المهمل (ص ٢٤١) والقطران (ص ٢٦٥) هذه هي التعابير التي خصت الابل اكثر من غيرها من الحيوانات على حين نجد بعض الحيوانات لم يرد حولها الا تعبير واحد او تعبيران كالذئب (١٠٤) والحيات (١٠٥) والكلاب (١٠٥) وغيرها من الحيوانات التي قلت اهميتها عن البعير كما وجدنا تعابير خصت بها الدابة بصورة عامه كالعدل (ص ١٧٩) والبس (ص ٧٢) والصور الذي فسر بالقرن (ص ١٨) والناقور المقترن بنقر الخيل (ص ٢٣) .

اما الناحية الاجتماعية فقد وفرت حولها تعابير عديدة عكست لنا جوانب من الحياة العربية فالغارات مثلا كانت سائدة في المجتمع العربي يفاجيء بها الحي فيعلو الصريخ ، ويبدأ القتال ومن هنا وجدنا في التعابير للقرآنية الفاظا لها دلالتها على هذه الناحية كالداعي (ص ٣١) والمنادي (ص ٤١) والهمس الذي فيه ايجاء صفة ليلة الهمس التي يخشى فيها السير من هولها (ص ١٣٨) والرجة التي قرنت برجة السهم (ص ٦٢) و (ابلاس وجوه القوم عند الحروب وبأسها (ص ١١٧) ثم المور في مور الدماء بعد القتال (ص ٨٧) والسلاسل والقيود التي تعكس لنا جوانب الاسر (ص ٢٦٠) واخيرا ما يتبع القتال من اسر وفداء ودية (ص ١٧٨) وعدل (ص ١٨٢) .

وهناك تعابير خصت طعامهم وشرابهم كالبس الذي يذكرنا بالبسيسة (ص ٧٢) واللبن (ص ٢٩٢) ، والعسل (ص ٢٧٨) ، وغيرها مما ذكرناه في فصول الرسالة .

أما الذوق العربي فقد وجدناه في عدة تعابير واضحة غاية الوضوح وذلك في تصوير الآيات الكريمة لصفة وجوه المؤمنين يوم القيامة وكيف انها تكون على اللون الذي احبه الذوق العربي وهو البياض (ص ١٣٩) على حين تكون وجوه الكافرين على اللون الاسود الذي كرهه العرب وتشاءوا منه (ص ١٤٢) وكذلك وجدنا في صفة المحرمين حين يحشرون زرقا بما يحمله تعبير الزرقة من ايجاءات دالة على الذوق العربي ، وكرهه للزرقة وتشاؤمه منها اذا كانت في العيون (ص ١٥٠) ثم فكرة التشاؤم والتفاؤل التي وجدناها واضحة تمام الوضوح في تصوير نتيجة القضاء باستلام للنتائج باليمن وما تحمله من معاني التفاؤل والبركة ، أو بالشمال بما تحمله من معاني الشر والتشاؤم (ص ١٩٢) ،

ومما مر بنا تتضح لنا اهمية البيئة العربية في توجيه تفكير العربي وفي وفرة بغض التعابير دون الاخرى تبعا لاهميتها في شؤون حياته ومن هنا ايضا تبينت لنا اهمية هذا البحث في تعميق الدراسات اللغوية لانه يعطينا من المعاني والايحاءات الرائعة عند قراءة الآيات الكريمة مالا نفهمها حين قراءتنا لها قبل تطبيق هذا المنهج فيتجلى لنا اسلوب القرآن الكريم المعجز مما يقرب النفوس الى النص القرآني فنفهم منه معاني عميقة رائعة .

ومن دراستنا لهذه التعابير ودلالاتها على البيئة العربية ، وما تعكسه الايات الكريمة من ايجاءات رائعة مقترنة بالحياة العربية ، من هذه التعابير نستخلص حقيقة واضحة اخرى وهي ان المشاهد التي عرضها الله سبحانه وتعالى انما صورها بكلام العرب واساليبهم البلاغية وفنونهم في التعبير ويؤكد

هذا قوله تعالى (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) . سورة ابراهيم ١٤ : ٤ . وقال تعالى ايضا (انه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين) سورة الشعراء ٢٦ : ١٩١ - ١٩٥ فصور القيامة التي اراد الله سبحانه وتعالى ان يرسمها لنا وصفها بتعابير لها دلالتها على البيئة العربية ، ليستطيع الذهن تخيلها ، وإلا فان الترهيب والترغيب يكون حينئذ بامور لا يفهمها العرب حيث نزل فيهم القرآن الكريم ، فلا يرهبون النار ، ولا يتشوقون الى الجنة .
واخيراً اقول ان بحثي هذا ماهو الا بداية لدراسات اخرى ارجو ان اوفق بالقيام بها ، او تلفت هذه الدراسة غيرى فيقوم ببحث فى مجال آخر من مجالات القرآن الكريم التي لم تبحث من قبل .

والله الموفق والمعين

المراجع والمصادر

- أ - المخطوطات
- ب - المطبوعات
- ج - المقالات
- د - الكتب الاجنبية

أ - المخطوطات :

- ١ - تفسير ابن ابي حاتم الرازي - ابو محمد عبد الرحمن بن حاتم محمد ابن ادريس الرازي المتوفى سنة ٢٢٧ هـ دمشق المكتبة الظاهرية برقم ٧٣١٢ .
- ٢ - تفسير الحسمائة آية من القرآن - مقاتل بن سليمان الخراساني ١٥٠ هـ المتحف البريطاني برقم Or.8033 .
- ٣ - تمام فصيح الكلام - ابن فارس ابو الحسين احمد بن فارس ابن زكريا ٣٩٥ هـ . بغداد مكتبة المتحف العراقي برقم ٢١٩٤ .
- ٤ - التهذيب في اللغة ج ١ - الأزهرى ، ابو منصور . بغداد معهد الدراسات الاسلامية العليا برقم ١٨٣ .
- ٥ - المحاسة البصرية . صدر الدين علي بن ابي الفرج بن الحسن البصري . اسطنبول . راغب باشا : برقم ١٠٩١ (نشر هذا الكتاب في حيدر آباد الدكن في الوقت الذي تم فيه طبع هذه الرسالة فلم يتسن لي مقابلته مع المخطوط) .
- ٦ - الزينة - محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن بهران الرازي . بغداد . مكتبة المتحف العراقي برقم ١٣٠٦ .
- ٧ - العين - القسم الثاني - الحليل بن احمد الفراهيدي . بغداد مكتبة المتحف العراقي برقم ٥٠٩ .
- ٨ - الغريب المصنف - ابو عبيد القاسم بن سلام . بغداد مكتبة المتحف العراقي برقم ٦٢٨ .
- ٩ - الفصيح - ثعلب ، ابو العباس احمد بن يحيى ٢٩١ هـ بغداد

- معهد الدراسات الاسلامية العليا برقم ١٧٣ .
- ١٠ - قطعة من كتاب في الجغرافية - مجهول (من اهل القرن السادس للهجرة) . بغداد . مكتبة معهد الدراسات الاسلامية العليا برقم ٣٢٤ .
- ١١ - المثالب - ابن الكلبي ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب ٢٠٤ هـ بغداد مكتبة معهد الدراسات الاسلامية العليا برقم ١٢٤ .
- ١٢ - مسائل منشورة - القاسم بن ابراهيم الرسي - ٢٤٦ هـ . نسخة مصورة عن مخطوطة المتحف البريطاني 203 .
- ١٣ - مسائل نافع بن الازرق - (سألمها عبد الله بن عباس عن معاني كلمات من القرآن الكريم) . دمشق ، المكتبة الظاهرية برقم ٢٨٤٩ (١١٣ الجامع) .
- ١٤ - معاني القرآن - الزجاج ، ابراهيم بن السري - ٣١١ هـ . نسخة مصورة عن مخطوطة جامعة الدول العربية برقم ٢٤٧ ، ٢٤٨ تفسير .
- ١٥ - منتهى الطلب في اشعار العرب - محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون . القاهرة . دار الكتب المصرية برقم ٥٣ س .
- ١٦ - نزهة العيون والنواظر في الاشياء والنظائر . ج ٢ - ابن الجوزي جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن علي - ٥٩٧ هـ مكتبة الأوقاف ببغداد مجموع برقم ٦٥٧٦ .

ب - المطبوعات :

١٧ - آثار البلاد واخبار العباد - القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود - ١٢٨٣ م . دار صادر . دار بيروت . بيروت ١٣٨٠ هـ . ١٩٦٠ م .

١٨ - ادب الكتاب - ابن قتيبة ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ٢٧٦ هـ تحقيق ماكس غريونت . لندن . مطبعة بريل ١٩٠٠ .

١٩ - الاتقان في علوم القرآن - السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن ٩١١ هـ . مطبعة مصطفى الباني الحلبي واولاده بمصر ١٣٧٠ هـ | ١٩٥١ م .

٢٠ - احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم - المقدسي محمد بن احمد بن ابي بكر ٣٧٥ هـ ديغويه مطبعة بريل ١٩٠٦ .

٢١ - اخبار الزمان - المسعودي : ابو الحسن علي بن الحسين بن علي - ٣٤٦ هـ . مطبعة عبد الحميد احمد حنفي بمصر ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .

٢٢ - اراجيز العرب - البكري محمد توفيق الصديق . القاهرة ١٣١٣ .

٢٣ - ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب : المعروف بمعجم الأديب او طبقات الأديب - ياقوت الحموي . شهاب الدين ابو عبد الله الرومي

البغدادي - ٦٢٦ هـ . تحقيق د . س . مرجليوث ، مطبعة هندية بالموسكي بمصر ١٩٢٣ - ١٩٢٥ .

٢٤ - ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري - القسطلاني ، احمد بن محمد بن ابي عبد الملك - ٩٢٣ هـ .

٢٥ - الازمنة - قطرب ، ابو علي محمد بن المستنير - ٢٠٦ هـ . نشر

في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ١ كانون الثاني المجلد
الثاني سنة ١٩٢٢ م .

٢٦ - الأزمنة والأمكنة - المرزوقي ، ابو علي الأصفهاني - ٤٥٣ هـ

مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ١٣٣٢ هـ .

٢٧ - الأزمنة والأنواء - ابن الاجداني ، ابو اسحاق إبراهيم بن اسماعيل

٦٥٠ هـ ، تحقيق الدكتور عزة حسن . دمشق . وزارة الثقافة

والارشاد ١٩٦٤ م .

٢٨ - اساس البلاغة - الزمخشري ، ابو القاسم جارية بن عمر - ٥٣٨ هـ

دار ومطابع الشعب بالقاهرة .

٢٩ - اسد الغابة في معرفة الصحابة - ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن

علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري - ٦٣٠ هـ ، تصحيح مطبعة

مصطفى وهبي . طهران ، المطبعة الاسلامية ١٢٨٠ هـ .

٣٠ - اسرار البلاغة - الجرجاني ، عبد القاهر - ٤٧١ او - ٤٧٤ هـ ،

تحقيق احمد مصطفى المراغي . القاهرة . مطبعة الاستقامة

١٣٥٢ هـ | ١٩٣٢ م .

٣١ - اسماء جبال تهامة وسكانها - عرام بن الاصبغ السلمي (القرن

الثالث الهجري) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون . القاهرة .

مطبعة امين عبد الرحمن ١٣٧٣ هـ .

٣٢ - اسماء المعتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام - ابن حبيب ،

محمد بن حبيب البغدادي - ٢٤٥ هـ ، تحقيق عبد السلام هارون

سلسلة نواذر المخطوطات المجموعة السادسة والسابعة . القاهرة مطبعة

لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٣ | ١٩٥٤ م .

٣٣ - الاشياء والنظائر من اشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين -
الخالديان ، ابو بكر محمد بن هشام ٣٨٠ هـ ، وابو عثمان سعيد
ابن هشام ٣٩٠ - ٣٩١ هـ ، ج ١ تحقيق الدكتور السيد محمد يوسف ،
القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٨ م .

٣٤ - الاشتقاق - ابن دريد ، ابو بكر محمد بن الحسن ٣٢١ هـ ،
تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون . نشر مؤسسة الخانجي
١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .

٣٥ - الاشتقاق - الاصمعي ، ابو سعيد عبد الملك بن قريب ٢١٦ هـ ،
تحقيق سليمان ظاهر . نشر مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق .
م ٢٨ ج ٤ ، ٣ سنة ١٩٥٣ م ، م ٢٩ ج ٢ ، ١ سنة ١٩٥٤ م .

٣٦ - الاصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي
ابن محمد - ٨٥٢ هـ المكتبة التجارية الكبرى ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م .

٣٧ - الأصمعيات - الاصمعي ، ابو سعيد عبد الملك بن قريب - ٢١٦ هـ .
تحقيق احمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون . دار المعارف
١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م .

٣٨ - الاضنام - ابن الكلبي ، ابو المنذر هشام بن السائب ، ٢٠٤ هـ ،
تحقيق احمد زكي . القاهرة المطبعة الأميرية ٩١٤ م .

٣٩ - اعجب العجب في شرح لامية العرب - الزخشمري ، ابو القاسم
محمود بن عمر ٥٣٨ هـ . قسطنطينيه . مطبعة الجوائب ١٣٠٠ هـ .

٤٠ - الاعلاق النفيسة - ابن رسته ، ابو علي احمد بن عمر (كان حياً
عام ٢٩٠ هـ) باعتناء ديغويه . ليدن مطبعة بريل ١٨٩١ م .

٤١ - اغائة الأمة بكشف الغمة - المقرئزي ، احمد بن علي بن عبد

- القادر - ٨٤٥ هـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٧ .
- ٤٢ - الاغانى - الاصفهاني : ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي
٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م . مطبعة التقدم ١٣٢٣ هـ .
- ٤٣ - الافعال - ابن القوطية ، ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز -
٣٦٧ هـ ، تحقيق علي فودة . مطبعة مصر ١٩٥٢ م .
- ٤٤ - الامالي - الزجاجي ، ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق -
٣٤٠ هـ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون بالقاهرة . المؤسسة
العربية الحديثة ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م .
- ٤٥ - الامالي - ابو علي القالي ، اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي -
٣٥٦ هـ ط ٢ . مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٦ م .
- ٤٦ - امالي المرتضى - الشريف المرتضى ، علي بن الحسين الموسوي
العلوي - ٤٣٦ هـ ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . دار احياء
الكتب العربية ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م .
- ٤٧ - امالي اليزيدي - اليزيدي ، ابو عبد الله محمد بن العباس - ٣١٠ هـ
مطبعة دائرة المعارف العثمانية بمحيدر آباد الدكن ١٣٦٧ هـ .
- ٤٨ - امثال العرب - المفضل الضبي - توفي نحو ١٦٨ هـ . قسطنطينية ،
مطبعة الجوائب ١٣٠٠ هـ .
- ٤٩ - انباه الرواة على انباه النحاة - القفطي ، جمال الدين ابو الحسن
علي بن يوسف ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . القاهرة دار
الكتب المصرية ١٣٦٩ - ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٠ م - ١٩٥٥ م .
- ٥٠ - انساب الاشراف - البلاذري ، احمد بن يحيى ٢٧٦ هـ تحقيق
محمد حميد الله . دار المعارف بمصر ١٩٥٩ .

- ٥١ - انيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء ، تحقيق لويس شيخو
اليسوعي . بيروت المطبعة الكاثوليكية ١٨٩٦ م .
- ٥٢ - ايمان العرب في الجاهلية - النجيري ، ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الله
الكتاب : تحقيق محب الدين الخطيب ط ٢ . المطبعة السلفية بمصر
١٣٨٢ هـ .
- ٥٣ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - السيوطي ، جلال الدين
عبد الرحمن ابن ابى بكر - ٩١١ هـ . القاهرة ١٣٢٦ هـ .
- ٥٤ - البلدان - اليعقوبي ، احمد بن ابى يعقوب - ٢٨٤ هـ نشر ديفويه
ليدن مطبعة بريل ١٨٩١ م .
- ٥٥ - بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب - الألو سي ، محمودشكري ، تحقيق
محمد بهجة الاثري ط ٣ . دار الكتاب العربي بمصر ١٣٤٢ هـ .
- ٥٦ - البيان والتبيين - الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر - ٢٥٥ هـ
تحقيق عبد السلام هارون . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٨٠ هـ - ١٣٨١ / ١٩٣٥ م - ١٩٣٦ م .
- ٥٧ - تاج العروس من جواهر القاموس - الزبيدي ، محب الدين ابو
الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي - ١٢٠٥ هـ . المطبعة
الخيرية المنشأة بمجالية مصر ٣٠٦ هـ .
- ٥٨ - تاريخ بغداد او مدينة السلام - الخطيب البغدادي ، احمد بن
ابي بكر - ٤٦٣ هـ ، تصحيح محمد حامد الفقي . القاهرة مطبعة
السعادة ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م .
- ٥٩ - التاريخ الجغرافي في القرآن الكريم - السيد مظفر الدين نادفي .
القاهرة .

- ٦٠ - تاريخ العرب قبل الاسلام - الاصمعي ، عبد الملك بن قريب
٢١٦ هـ تحقيق محمد حسن آل ياسين . بغداد مطبعة المعارف ١٣٧٩ هـ /
١٩٥٩ م .
- ٦١ - تاريخ العرب قبل الاسلام - جواد علي . مطبعة المجمع العلمي
العراقي ١٩٥٣ | ١٩٥٩ م .
- ٦٢ - تاريخ الموسيقى العربية - فارمر ، هـ : ج ، ترجمة حسين نصار
ومراجعة عبد العزيز الاهداني . مكتبة مصر بالفجالة .
- ٦٣ - تاريخ اليعقوبي - اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب - ٢٨٤ . ليدن
مطبعة بريل ١٨٨٣ م .
- ٦٤ - تأويل مشكل القرآن - ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم -
٢٧٦ هـ ، تحقيق احمد صقر . القاهرة ، دار احياء الكتب العربية
١٣٧٣ هـ | ١٩٥٤ م .
- ٦٥ - التبيان في تفسير القرآن - الطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن
٤٦٠ هـ . تحقيق اغا بزرك الطهراني النجفي . المطبعة العلمية
١٣٧٦ هـ | ١٩٥٧ م .
- ٦٦ - تطور الحُمرات في الشعر العربي - جميل سميد . القاهرة ١٩٤٥ م .
- ٦٧ - التفسير البياني للقرآن الكريم - بنت الشاطيء ، عائشة عبد الرحمن .
دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م .
- ٦٨ - تفسير فرات الكوفي - الكوفي ، فرات بن ابراهيم (عاش في القرن
الثالث) . النجف المطبعة الحيدرية .
- ٦٩ - تفسير القرآن الكريم - التستري ، ابو محمد سهل بن عبد الله -
٢٨٣ هـ . تصحيح لجنة ، دار الكتب العربية الكبرى بمصر ١٣٢٩ هـ .

- ٧٠ - تلخيص البيان في مجازات القرآن - الشريف الرضي نحو ٤٠٦ هـ ،
تحقيق محمد عبد الغني حسن . القاهرة . دار احياء الكتب العربية
١٩٥٥ م .
- ٧١ - تهذيب التهذيب - ابن حجر العسقلاني ، ابو الفضل احمد بن
علي - ٨٥٢ هـ . حيدر آباد الدكن : مطبعة دائرة المعارف العثمانية
١٣٢٥ هـ - ١٣٢٧ هـ .
- ٧٢ - التنبية والرد - الملطبي ، ابو الحسين محمد بن احمد بن عبد الرحمن
القاهرة ١٩٤٩ م .
- ٧٣ - تنزيه القرآن عن المطاعن - عماد الدين ابو الحسن عبد الجبار
ابن احمد ٤١٠ هـ المطبعة الجمالية بمصر ١٣٢٩ هـ .
- ٧٤ - تنوير المقياس من تفسير ابن عباس - الفيروزابادي : ابو طاهر
محمد بن يعقوب ٨١٧ هـ . القاهرة ، مطبعة الاستقامة ١٩٦٠ م .
- ٧٥ - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب - الثعالبي ، ابو منصور عبد
الملك بن محمد ٤٢٩ هـ . القاهرة ١٩٠٨ م .
- ٧٦ - جامع البيان عن تأويل القرآن - الطبري ، ابو جعفر محمد بن
جرير ٣١٠ هـ مطبعة مصطفى الباوي الحلبي ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م .
- ٧٧ - الجامع الصحيح او سنن الترمذي - الترمذي ، ابو عيسى محمد بن
عيسى ٢٧٩ هـ ، تحقيق احمد محمد شاكر . القاهرة : مطبعة مصطفى
الباوي الحلبي ١٩٣٧ م .
- ٧٨ - الجبال والأمكنة والمياه - الزمخشري ، ابو القاسم محمود بن عمر
٥٣٨ هـ تحقيق محمد صادق آل بحر العلوم . النجف ، المطبعة
الحيدرية .

- ٧٩ - جزيرة العرب - يبريني ، جان جاك ، ترجمة نجدة هاجر ، وسعيد الغز . بيروت ، المكتب التجاري ١٩٦٠ .
- ٨٠ - جزيرة العرب في القرن العشرين - حافظ وهبة ، ط ٤ ، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦١ م .
- ٨١ - جغرافية العالم ج ١ - الدكتورة دولت احمد صادق ، الدكتور محمد السيد غلاب ، الدكتور جمال الدين الدناصري ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٩ م .
- ٨٢ - جهرة اشعار العرب - القرشي ، ابو زيد محمد بن ابي الخطاب المكتبة التجارية الكبرى ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م .
- ٨٣ - جهرة اللغة - ابن دريد ، ابو بكر محمد بن الحسن الازدي - ٣٢١ هـ . مطبعة دائرة المعارف العثمانية بمحيدر آباد الدكن ١٣٥١ هـ .
- ٨٤ - الحاوي في الطب ج ٢ - الرازي ، ابو بكر محمد بن زكريا - ٣١٣ هـ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بمحيدر اباد الدكن .
- ٨٥ - حقائق التأويل - الشريف الرضي . النجف ١٩٣٦ .
- ٨٦ - الحماسة - البحتري ، ابو عبادة ، تحقيق كمال مصطفى . المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٩٢٩ م .
- ٨٧ - حلية الفرسان وشعار الشجعان - ابن هذيل الأندلسي ، علي بن عبد الرحمن ، تحقيق عبد الغني حسن . دار المعارف بمصر ١٣٦٩ هـ ١٩٤٩ م .
- ٨٨ - الحيوان - الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر - ٢٥٥ هـ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى الباني الحلبي واولاده ١٩٣٨ م - ١٩٤٥ م .

- ٨٩ - خزائن الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية -
البغدادي عبد القادر بن عمر ١٠٩٣ هـ ، بولاق المطبعة الأميرية
١٣٩٩ هـ .
- ٩٠ - الخصائص - ابن جني ابو الفتح عثمان بن جني - ٣٩٢ هـ ، تحقيق
علي النجار . القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧١ -
١٣٧٦ هـ / ١٩٥٢ - ١٩٥٦ م .
- ٩١ - الخيل - ابو عبيدة ، معمر بن المثنى نحو - ٢١٠ هـ . مطبعة
دائرة المعارف العثمانية . حيدر اباد الدكن ١٣٥٨ هـ .
- ٩٢ - دائرة المعارف الاسلامية - (المترجمة) . مادة جهنم ، وحررة . ترجمة
احمد الشنتناوي وآخرون .
- ٩٣ - درة التنزيل وغرة التأويل - الخطيب الاسكافي ، ابو عبد الله
محمد بن عبد الله - ٤٢١ هـ ، تحقيق عبد المعطي السقا . مطبعة
السعادة بمصر ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م .
- ٩٤ - دروس في البلاغة وتطورها - جميل سعيد . بغداد ، مطبعة المعارف
١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م .
- ٩٥ - الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير - الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن
بجر - ٢٥٥ هـ ، تصحيح محمد راغب الطباخ . مطبعة حلب
١٣٤٦ هـ / ١٩٢٨ م .
- ٩٦ - ديوان ابن الدمينية ، عبد الله بن عبيد الله ، تحقيق احمد راتب
النفاح . القاهرة مطبعة المدني ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م .
- ٩٧ - ديوان ابن مقبل - ابن مقبل تحقيق الدكتور عزة حسن . دمشق ،
وزارة الثقافة والارشاد القومي ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م .

- ٩٨ - ديوان ابي محجن الثقفي وشرحه - العسكري ، ابو هلال الحسن
ابن عبد الله بن سهل ، تحقيق عمر السويدي ، ليدن ، مطبعة
بريل ١٣٠٣ هـ / ١٩١٦ م .
- ٩٩ - ديوان الاعشى الكبير - الاعشى الكبير ، ميمون بن قيس ، شرح
وتعليق محمد محمد حسين ، المطبعة النموذجية .
- ١٠٠ - ديوان امرىء القيس - امرؤ القيس ، تحقيق محمد ابو الفضل
إبراهيم . دار المعارف بمصر ١٩٥٨ م .
- ١٠١ - ديوان بشار بن برد - بشار بن برد تحقيق محمد الطاهر بن عاشور .
القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٩ - ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٠ -
١٩٥٧ م .
- ١٠٢ - ديوان بشر بن ابي خازم - بشر بن ابي خازم ، تحقيق الدكتور
عزة حسن . دمشق ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .
- ١٠٣ - ديوان جران العود النيمرى - القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية
١٣٥٠ / ١٩٣١ م .
- ١٠٤ - ديوان جرير - تحقيق كرم البستاني . دار صادر ، دار بيروت
١٩٦٠ م .
- ١٠٥ - ديوان حاتم الطائي - دار صادر ، دار بيروت ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م .
- ١٠٦ - ديوان حسان بن ثابت الأنصاري - دار صادر . دار بيروت
١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .
- ١٠٧ - ديوان الخطيئة - شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني ،
تحقيق نعمان امين طه . القاهرة . مصطفى البابي الحلبي واولاده
١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .

- ١٠٨ - ديوان حميد بن ثور الهلالي - تحقيق عبد العزيز الميمني القاهرة
 مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م .
- ١٠٩ - ديوان سحيم عبد بني الحسحاس - تحقيق عبد العزيز الميمني .
 القاهرة . دار الكتب المصرية ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م .
- ١١٠ - ديوان سلامة بن جندل - تحقيق الأب لويس شيخو اليسوعي .
 المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين بيروت ١٩١٠ .
- ١١١ - ديوان السمؤال (مع ديوان عروة بن الورد) - دار صادر ،
 دار بيروت . بيروت ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .
- ١١٢ - ديوان شعر ذو الرمة - ذو الرمة ، غيلان بن عقبة العدوي ،
 عني بتصحيحه وتنقيحه كارليل هنري هيس مكارثي ، مطبعة كلية
 كمبرج ١٣٣٧ هـ / ١٩١٩ م .
- ١١٣ - ديوان الشماخ - الشماخ بن ضرار الصحابي الغطفاني ، تحقيق
 احمد الشنقيطي - مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٧ هـ .
- ١١٤ - ديوان طرفة بن العبد - تحقيق الدكتور علي الجندي ، مكتبة
 الأنجلو المصرية ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .
- ١١٥ - ديوان الطرماح - الطرماح ، بن حكيم بن نضر الطائي (طبع
 مع شعر طفيل الغنوي) تحقيق كرنكو : لندن ١٩٤٧ م .
- ١١٦ - ديوان عامر بن الطفيل - تحقيق كرم البستاني ، دار صادر .
 دار بيروت . بيروت ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م .
- ١١٧ - ديوان عبيد بن الأبرص - تحقيق كرم البستاني . دار صادر .
 دار بيروت ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م .
- ١١٨ - ديوان عدي بن زيد العبادي - تحقيق محمد جبار المعبيد . بغداد

وزارة الثقافة والارشاد ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

١١٩ - ديوان عروة بن الورد - تصحيح الشيخ ابن ابي شنب . طبع

بالجزائر ١٩٢٦ م .

١٢٠ - ديوان الفرزدق - تحقيق كرم البستاني . دار صادر ، دار بيروت

١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .

١٢١ - ديوان القطامي - تحقيق ابراهيم السامرائي ، واحمد مطلوب بيروت

دار الثقافة ١٩٦٠ م .

٢٢١ - ديوان قيس بن الخطيم - تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد .

القاهرة مطبعة المدني ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م .

١٢٣ - ديوان المزرد بن ضرار العطفاني . تحقيق خليل ابراهيم العطية

بغداد ، مطبعة اسعد ١٩٦٢ م .

١٢٤ - ديوان المفضليات - الانباري ، ابو محمد القاسم بن محمد بن بشار

٣٠٤ هـ ، تحقيق كارلوس يعقوب لايل . بيروت : مطبعة الآباء

اليسوعيين ١٩٢٠ م .

١٢٥ - ديوان النابغة الذبياني - تحقيق وشرح البستاني . دار صادر ،

دار بيروت . بيروت ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .

١٢٦ - ذيل الأماي والنوادر - البغدادي ، ابو علي اسماعيل بن القاسم -

٣٥٦ هـ . القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٦ م .

١٢٧ - رسالة في بيان اعجاز القرآن - الخطابي ، ابو سليمان احمد بن

محمد بن ابراهيم ٣٨٨ هـ - ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن -

تحقيق محمد خلف الله ، محمد زغلول سلام . دار المعارف بمصر .

١٢٨ - رسالة في المعاد - ضمن رسائل الجاحظ ج ١ ، تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون . القاهرة . مكتبة الخانجي ١٣٨٤ هـ
١٩٦٤ م .

١٢٩ - زهر الآداب وثمر الالباب - الحصري القيرواني ، ابو اسحاق
ابراهيم بن علي ٤٥٣ هـ . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .
وشرح زكي مبارك . مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٢ هـ / ١٩٠٣ م .
١٣٠ - الزينة في الكلمات الاسلامية العربية - الرازي ، ابو حاتم احمد
ابن حمدان ٣٢٢ هـ . تحقيق حسين بن فيض الله الهمداني .
القاهرة ١٩٥٧ م .

١٣١ - شرح العيون شرح رسالة ابن زيدون - ابن نباتة ، جمال الدين
محمد بن محمد - ٧٦٨ هـ . المطبعة الأميرية المصرية ١٢٧٨ هـ .
١٣٢ - سنن ابن ماجه - ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني - ٢٧٥ هـ .
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . دار احياء الكتب العربية ١٩٥٢ .
١٣٣ - سنن ابي داود - ابو داود سليمان بن الاشعث بن اسحاق الازدي -
٢٧٥ هـ ، تحقيق احمد سعد علي . مطبعة البابي الحلبي واولاده
بمصر ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .

١٣٤ - سنن الدارمي - الدارمي ، ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن
ابن الفضل بن بهرام ٢٥٥ هـ . غني بطبعه محمد احمد الدهان .
دمشق . مطبعة الاعتدال ١٣٤٩ هـ .

١٣٥ - سنن النسائي - ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي - ٣٠٣ هـ .
المطبعة العصرية بالأزهر .

١٣٦ - سيرة النبي - ابن هشام ، ابو محمد عبد الملك ٢١٣ او ٢١٨ هـ
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . مطبعة حجازي .

- ١٣٧ - شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة - ابو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي ٣٥١ هـ . تحقيق محمد عبد الجواد دار المعارف بمصر ١٩٥٧ م .
- ١٣٨ - شرح ابن عقيل على الفية لابن مالك - تحقيق محي الدين عبد الحميد . القاهرة المكتبة التجارية الكبرى ١٩٦١ م .
- ١٣٩ - شرح اشعار الهذليين - تحقيق عبد الستار احمد فراج . القاهرة مطبعة المدني .
- ١٤٠ - شرح ديوان الحماسة - المرزوقي ، ابو علي احمد بن الحسن ٤٢١ هـ . باعثناء احمد امين وعبد السلام هارون . القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م .
- ١٤١ - شرح ديوان زهير بن ابى سلمى - شرح ثعلب : ابى العباس احمد بن يحيى بن يزيد الشيباني ٢٩١ هـ . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٤ م .
- ١٤٢ - شرح ديوان علقمة الفحل تحقيق احمد صقر . القاهرة ، المطبعة المحمودية ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٥ م .
- ١٤٣ - شرح ديوان عنتر بن شداد - تحقيق عبد المنعم عبد الرؤوف شامي . القاهرة المكتبة التجارية الكبرى .
- ١٤٤ - شرح ديوان كعب بن زهير - القاهرة . الدار القومية للطباعة والنشر ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .
- ١٤٥ - شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري - تحقيق احسان عباس . الكويت ١٩٦٢ م .
- ١٤٦ - شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات - ابن الأنباري ، ابو بكر

محمد بن القاسم ٣٢٨ هـ ، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون بدار
المعارف ١٩٦٣ م .

١٤٧ - شعر طفيل بن عوف الغنوي - تحقيق ف . كرنكو ، لندن ١٩٢٧ م
١٤٨ - شعر المثقب العبدى - تحقيق محمد حسن آل ياسين . مطبعة المعارف
١٩٥٦ م .

١٤٩ - شعر النابغة الجعدي . تحقيق عبد العزيز رباح . دمشق ، المكتب
الاسلامي ١٩٦٤ م - ١٣٨٤ هـ .

١٥٠ - الشعر والشعراء - ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم بيروت
دار الثقافة ١٩٦٤ .

١٥١ - شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل - الخفاجي ، شهاب
الدين احمد بن محمد ١٠٦٩ هـ . القاهرة ، مطبعة السعادة ١٣٢٥ هـ .

١٥٢ - الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها - ابن فارس ،
ابو الحسين احمد - ٣٩٥ . القاهرة ، مطبعة المؤيد ١٣٢٨ هـ /
١٩٠٠ م .

١٥٣ - الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) - الجوهري ؛ اسماعيل بن
حماد ٣٩٣ هـ ، تحقيق احمد عبد الغفور عطار . دار الكتاب العربي
بمصر ١٣٧٦ - ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٦ - ١٩٥٧ م .

١٥٤ - صحيح مسلم - مسلم ، ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ٢٦١ هـ
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . دار احياء الكتب العربية ١٣٧٤ -
١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ - ١٩٥٦ م .

١٥٥ - صفة بلاد اليمن ، ومكة وبعض الحجاز (او تاريخ المستبصر) -
ابن الجاور تحقيق اوسكر لوفغرين . لندن مطبعة بريل ١٩٥٤ .

- ١٥٦ - صفة جزيرة العرب - الهمداني ، ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب - ٣٣٤ هـ ، تحقيق محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي . مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٣ م .
- ١٥٧ - الصناعتين - العسكري ، ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل - ٣٩٦ هـ ، تحقيق علي محمد البجاوي ، محمد ابو الفضل ابراهيم دار احياء الكتب العربية ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م .
- ١٥٨ - صورة الارض - ابن حوقل ، ابو القاسم ابن حوقل النصيبي - ٣٦٧ هـ . ط ٢ ليدن ، مطبعة بريل ١٩٣٨ م .
- ١٥٩ - طبقات فحول الشعراء - ابن سلام ، ابو عبد الله محمد الجمحي البصري . دار المعارف للطباعة والنشر .
- ١٦٠ - الطبقات الكبرى - ابن سعد ، محمد ، ٢٣٠ هـ . تحقيق ادوارد سخو ليدن ، مطبعة بريل ١٣٢١ هـ .
- ١٦١ - الطب النبوي - الذهبي ، ابو عبد الله محمد بن احمد - ٧٤٨ هـ . القاهرة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م .
- ١٦٢ - الطرائف الادبية (مجموعة من الشعر تشتمل على ديوان الأفوه الأودي وديوان الشنفرى وقصائد ودواوين اخرى) - نشر عبد العزيز الميمنى . القاهرة . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧ .
- ١٦٣ - العشر مقالات في العين - منسوب لحنين بن اسحاق - ٢٦٤ هـ تحقيق ماكس مايرهوف ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ١٩٢٨ م
- ١٦٤ - العمدة - ابن رشيق القيروانى ، ابو علي الحسن - ٤٦٣ هـ . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . مطبعة حجازي ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٤ م .

١٦٥ - العين - الخليل بن احمد الفراهيدي ١٧٥ هـ . ونسب الى الليث
ابن المظفر بن نصر بن سيار الخراساني . تحقيق الأب انستاس
ماري الكرملي . بغداد ، مطبعة دار الأيام ١٩١٤ م .

١٦٦ - عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير - ابن سيد الناس -
٧٣٤ هـ القاهرة مكتبة القدسي ١٣٥٦ .

١٦٧ - عيون الأخبار - ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم
الدينوري ٢٧٦ هـ القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٣٤٣ - ١٣٤٩ هـ /
١٩٢٥ - ١٩٣٠ م .

١٦٨ - غريب الحديث - ابو عبيد القاسم بن سلام - ٢٢٤ هـ تحقيق
محمد عبد المعيد خان . دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن
١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .

١٦٩ - غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب - السجستاني ، ابو بكر محمد
ابن عزيز ٣٣٠ هـ . مطبعة محمد علي صبيح بمصر ١٣٧٢ هـ /
١٩٥٢ م .

١٧٠ - الفاخر - ابو طالب الفضل بن سلمة بن عاصم ٢٧١ هـ . تحقيق
عبد العليم الطحاوي . القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد
١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .

١٧١ - الفاضل - المبرد ، ابو العباس محمد بن يزيد - ٢٨٥ هـ تحقيق
عبد العزيز الميمني . القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٥ هـ /
١٩٥٦ م .

١٧٢ - فخر السودان - الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر ٢٥٥ هـ .
نشر ضمن رسائل الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون مكتبة

الخانجي ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .

١٧٣ - فقه اللغة وسر العربية - الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري ٤٢٩ هـ . تحقيق مصطفى السقا . وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلي . مطبعة مصطفى البابي الحلبي

١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م .

١٧٤ - الفهرست : ابن النديم ، محمد بن اسحاق - نحو ٣٨٧ هـ .
القاهرة مطبعة الاستقامة .

١٧٥ - في طريق الميثولوجيا عند العرب - الحوت ، محمود سليم - بيروت
١٩٥٥ .

١٧٦ - قاموس الكتاب المقدس - ترجمة وتأليف الدكتور جورج بوست
بيروت المطبعة الامريكية . ١٩٠١ .

١٧٧ - القرآن الكريم .

١٧٨ - قشرة الأرض - محمد صفي الدين . مصر ، دار الطباعة ١٩٥٧ .

١٧٩ - الكامل في التاريخ - ابن الأثير ، علي بن ابي الكرم محمد بن محمد الشيباني - ٦٣٠ هـ القاهرة ، دار الطباعة ١٢٩٠ هـ .

١٨٠ - الكامل في اللغة والأدب - المبرد ، ابو العباس محمد بن يزيد -
٢٨٥ هـ ، تحقيق احمد محمد شاكر بمصر . مطبعة مصطفى البابي

الخليبي ١٩٣٧ .

١٨١ - الكتاب المقدس .

١٨٢ - الكشف - الزمخشري ، ابو القاسم جار الله محمود بن عمر ٥٣٨ هـ

القاهرة مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٦٧ هـ - ١٣٧١ هـ .

١٨٣ - لباب الآداب - اسامة بن منقذ - ٥٨٤ هـ ، تحقيق احمد محمد

- شاکر • مصر المطبعة الرحمانية ١٩٣٥ م - ١٣٥٤ هـ •
- ١٨٤ - لسان العرب - ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم - ٧١١ هـ ، بولاق ، المطبعة الأميرية ١٣٠٠ هـ •
- ١٨٥ - لسان الميزان - ابن حجر احمد بن علي المتوفى سنة ٨٥٢ هـ •
- حيدر اباد الدکن • مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٣٠ - ١٣٣١ هـ •
- ١٨٦ - اللغات في القرآن - ابن عباس ، عبد الله ، تحقيق صلاح الدين المنجد • مطبعة الرسالة ١٩٤٦ م •
- ١٨٧ - متشابهات القرآن - ابن شهر اشوب • محمد بن علي المازندرانی •
- ایران مطبعة شركة سامي ١٣٢٨ هـ •
- ١٨٨ - مجاز القرآن - ابو عبيدة : معمر بن المنثى التميمي سنة ٢١٠ هـ •
- تحقيق محمد فؤاد سرکين • مصر • محمد امين الخالنجي ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م •
- ١٨٩ - مجالس ثعلب : ثعلب ، ابو العباس احمد بن يحيى - ٢٩١ هـ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون • القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٠ •
- ١٩٠ - مجالس العلماء - الزجاجي ، ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق - ٣٤٠ هـ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون • الكويت ، وزارة الارشاد والانباء ١٩٦٢ •
- ١٩١ - جمع الأمثال - الميداني ، ابو الفضل محمد ٥١٨ هـ • القاهرة ١٣٥٢ - ١٣٥٣ هـ •
- ١٩٢ - المحاسن - البرقي ، ابو جعفر احمد بن خالد • نشر محمد كاظم الکتبي • النجف الأشرف • المطبعة الحيدرية ١٣٨٤ هـ •
- ١٩٣ - المحاسن والأضداد - الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر -

- ٢٥٥ هـ ، تصحيح محمد امين الخانجي . المطبعة الجمالية .
- ١٩٤ - محاضرات في تاريخ العرب - العلي ، صالح احمد . بغداد مطبعة المعارف ١٩٥٩ .
- ١٩٥ - المحبر - ابن حبيب ، ابو جعفر محمد بن حبيب بن امية البغدادي - ٢٤٥ هـ تحقيق الدكتورة ايلزه ليحتن ستير بمحدرآباد الدكن . مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م .
- ١٩٦ - المحكم - ابن سيدة ، علي بن اسماعيل ٤٥٨ هـ ج ١ ، تحقيق مصطفى السقا ، حسين نصار . مصر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٨ م ١٣٧٧ هـ ج ٢ ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ١٩٥٨ - ١٣٧٧ مصر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
- ١٩٧ - مختصر البلدان - ابن الفقيه ، ابو بكر . احمد بن ابراهيم ٣٦٥ هـ ليدن . مطبعة برييل ١٣٠٢ .
- ١٩٨ - المخصص - ابن سيدة . علي بن اسماعيل ٤٥٨ هـ . بولاق . المطبعة الأميرية سنة ١٣١٦ هـ .
- ١٩٩ - المداخلات او المداخل - غلام ثعلب ، ابو عمر . محمد بن عبد الواحد الزاهد المطرز - ٣٤٤ هـ - ٣٤٥ هـ تحقيق عبد العزيز الميعني الراجكوتي . نشر في مجلة المجمع العلمي العربي . دمشق المجلد ٢٩١ ج ٨ ، ج ٩ . ١٩٢٩ م | ١٣٤٨ هـ .
- ٢٠٠ - مرصد الاطلاع على اسماء الامم الكنة والبقاع - عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ٧٣٩ تحقيق علي البجاوي . مصر ، دار الكتب العربية ١٩٥٤ .
- ٢٠١ - المزهرة في علوم اللغة العربية - السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين

- ٩١١ هـ ، تحقيق محمد احمد جاد المولى وآخرون . مصر دار
احياء الكتب العربية ١٩٥٨ م - ١٣٧٨ هـ .
- ٢٠٢ - المسالك والممالك - ابن حزداذبة ، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله -
٣٠٠ هـ . لندن ، مطبعة بريل ١٨٨٩ م .
- ٣٠٢ - المستقصى في امثال العرب - الزمخشري : جار الله محمود بن عمر -
٥٣٨ هـ ، تحقيق محمد عبد الرحمن خان . حيدر آباد الدكن ،
مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٩٦٢ - ١٣٨١ هـ .
- ٢٠٤ - المسلسل في غريب لغة العرب - التميمي ، ابو الطاهر محمد بن
يوسف بن عبد الله - ٦٣٨ هـ . تحقيق محمد عبد الجواد . مصر
وزارة الثقافة والارشاد القومي .
- ٢٠٥ - مسند الامام احمد بن محمد بن حنبل - ٢٤١ هـ .
- ٢٠٦ - مشاهد القيامة في القرآن الكريم - سيد قطب . القاهرة ١٩٦٠ .
- ٢٠٧ - المفضليات : المفضل الضبي ، تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام
محمد هارون ط ٣ . القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٤ م .
- ٢٠٨ - المعارف - ابن قتيبة ابو محمد عبد الله بن مسلم - ٢٧٦ هـ .
تحقيق ثروت عكاشة ، مصر . وزارة الثقافة والارشاد القومي
١٩٦٠ م .
- ٢٠٩ - معاني الشعر - الاشنانداني ، ابو عثمان سعيد بن هارون سنة
٣٢١ هـ ، تحقيق صلاح الدين المنجد . بيروت . دار الكتاب
الجديد ١٩٦٤ م .
- ٢١٠ - معاني القرآن - الفراء ابو زكريا يحيى بن زياد سنة ٢٠٧ هـ ،
تحقيق احمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار . القاهرة دار

الكتب المصرية ١٩٥٥ م .

- ٢١١ - المعاني الكبير : ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم -
٢٧٦ هـ . حيدر آباد الدكن . مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٦٩ هـ .
- ٢١٢ - معجم البلدان - الحموي ، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله ٦٢٦ هـ .
لينزج ١٨٦٨ .
- ٢١٣ - معجم الشعراء - المرزباني ، ابو عبد الله محمد بن عمران بن
موسى . تحقيق ف . كرنكو . القاهرة . مكتبة القدسي ١٣٥٤ هـ .
- ٢١٤ - معجم ما استعجم : البكري ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز
ابن ابي مصعب - ٤٨٧ هـ . المغرب ، المعهد الخليفي للابحاث
المغربية ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م .
- ٢١٥ - المعجم المفهرس لالفاظ القرآن - محمد فؤاد عبد الباقي . مطابع
الشعب ١٣٧٨ هـ .
- ٢١٦ - معجم مقاييس اللغة - ابن فارس ، ابو الحسين احمد بن فارس
ابن زكريا - ٣٩٥ هـ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون . القاهرة
دار احياء الكتب العربية ١٣٦٩ هـ .
- ٢١٧ - المغرب عن الكلام الأعجمي - الجواليقي ، ابو منصور ، موهوب
ابن احمد بن محمد - ٥٤٠ هـ ، تحقيق احمد محمد شاكر . القاهرة .
مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦١ هـ .
- ٢١٨ - العمرون - السجستاني ، ابو حاتم سهل بن عثمان - ٢٥٠ هـ ،
تحقيق عبد المنعم عامر . مصر ، دار احياء الكتب العربية ١٩٦١ .
- ٢١٩ - مفني اللبيب عن كتب الأعراب - ابن هشام ، ابو محمد عبد الله
جمال الدين بن يوسف - ٧٦١ هـ . تحقيق محمد محي الدين

عبد الحميد .

٢٢٠ - المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهاني : محمد بن الفضل -

٥٠٢ هـ كراجي ١٩٦١ .

٢٢١ - المقدمة - ابن خلدون عبد الرحمن بن خلدون - ٨٠٨ هـ تحقيق

نصر الهوريني ١٣٧٤ هـ .

٢٢٢ - الملاهي واسماؤها - المفضل بن سلمة - ٢٩٠ هـ . تحقيق عباس

العزاوي . مع كتاب الموسيقى العراقية . بغداد شركة التجارة

والطباعة المحدودة ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ .

٢٢٣ - من حديث الماء في الأدب العربي - جميل سعيد (مستل من مجلة

المجمع العلمي العراقي) . بغداد مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .

٢٢٤ - المنازل والديار - اسامة بن منقذ بن مرشد بن مقلد . نشر انس

ابن خالدوف . موسكو ، دار النشر للاداب الشرقية ١٩٦١ .

٢٢٥ - المنمق في اخبار قريش - ابن حبيب : محمد ابو جعفر البغدادي

٢٤٥ هـ . حيدر آباد الدكن . دائرة المعارف العثمانية ١٣٨٤ -

١٩٦٤ م .

٢٢٦ - المؤلف والمختلف - الأمدي : ابو القاسم الحسن بن بشر بن

يحيى ٣٧٠ هـ تحقيق عبد الستار احمد فراج القاهرة . دار احياء

الكتب العربية ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .

٢٢٧ - الموطأ - مالك بن انس . بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . القاهرة

دار احياء الكتب العربية .

٢٢٨ - النبات - (قطعة من الجزء الخامس) ابو حنيفة . احمد بن

داود الدينوري ٥٢٨٢ هـ . نشر ب . لوين ، لندن . مطبعة بريل ١٩٥٣ .
٢٢٩ - نخبة عقد الجياد في الصافات الجياد - الجزائري ، محمد . بيروت
المطبعة الأهلية ١٣٢٦ .

٢٣٠ - زهرة الألباء في طبقات الأدباء - ابن الأنباري ، ابو البركات
كمال الدين عبد الرحمن بن محمد . تحقيق إبراهيم السامرائي بغداد
مطبعة المعارف ١٩٥٩ م .

٢٣١ - زهرة العمر في التفضيل بين البيض والسود والسمر - السيوطي ،
عبد الرحمن جلال الدين - ٩١١ هـ . دمشق المكتبة العربية .

٢٣٢ - نسب قریش - الزيري ، ابو عبد الله المصعب بن عبد الله بن
مصعب - ٢٣٦ هـ تحقيق ليفي بروفنسال . القاهرة . دار المعارف
١٩٥٣ م .

٢٣٣ - نظام الغريب - الربيعي ، عيسى بن إبراهيم ٤٨٠ هـ . تصحيح
بولس برونلة . مصر . مطبعة هندية .

٣٣٤ - النقائص - (نقائص جرير والفرزدق) - ابو عبيدة ، معمر
ابن المنى ٢١٠ هـ لندن . مطبعة بريل ١٩٠٥ م .

٢٣٥ - النهاية في غريب الحديث - المبارك بن محمد الجزري . تصحيح
عبد العزيز بن اسماعيل الطهطاوي . مصر . المطبعة العثمانية ١٣١١ م .

٢٣٦ - النوادر - ابو مسحل الاعرابي ، عبد الوهاب بن حريش .
تحقيق الدكتور عزة حسن . دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية
١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م .

٢٣٨ - هذا العالم - الشرقاوي ، محمد عبد المنعم ، ومحمد محمود الصياد .
القاهرة دار المعارف . ١٩٥٩ م .

- ٢٣٨ - مع الموامع في شرح جمع الجوامع في علم العربية - السيوطي ،
جلال الدين عبد الرحمن ابو بكر - ١٩١١ هـ . تحقيق محمد
بدر الدين النعساني . مصر ، مطبعة السعادة ١٣٢٧ هـ .
- ٢٣٩ - الوحشيات (وهو الحماسة الصغرى) - ابو تمام ، حبيب بن
اوس . تحقيق عبد العزيز الميني الراجكوتي . القاهرة . دار
المعارف ١٩٦٣ .
- ٢٤٠ - الوصف في شعر العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين -
جميل سعيد . بغداد . مطبعة الهلال ١٩٤٨ .
- ٢٤١ - وفاة الوفا باخبار دار المصطفى - السمهودي : علي بن احمد
المصري - ٩١١ هـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .
- ٢٤٢ - الينابيع - السجستاني ، ابو يعقوب اسحاق ٣٣١ هـ تحقيق مصطفى
غالب . بيروت . المكتب التجاري للطباعة والنشر ١٩٦٥ .

ج - المقالات :

- ٢٤٣ - احساس الشعراء العرب بالألوان والأصوات - جميل سعيد . مجلة
كلية الآداب العدد الأول لسنة ١٩٥٦ بغداد مطبعة وزارة المعارف ١٩٥٦ .
- ٢٤٤ - الألفاظ السمرانية في المعاجم العربية - مار اغناطيوس افرام الأول
برصوم مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ٢٣ ج ٢ ، ج ٣ ،
ج ٤ لسنة ١٩٤٨ .
- ٢٤٥ - الأنسجة في القرنين الأول والثاني - صالح احمد العلي مجلة الابحاث
ج ٤ كانون الأول السنة ١٤ لسنة ١٩٦١ .
- ٢٤٦ - البيئة العربية في القرآن الكريم - ابراهيم السامرائي . مجلة البيئة

السنة الأولى العدد العاشر ١٩٦٣ م - ١٣٨٢ هـ .

٢٤٧ - الدخيل في اللغة العربية - فؤاد حسين علي . مجلة كلية الآداب

المجلد ١١ ج ١ . مايو سنة ١٩٤٩ م . مطبعة جامعة فؤاد الأول

١٩٤٩ م .

٢٤٨ - ذيل الالفاظ السريانية في المعاجم العربية - مار اغناطيوس :

افرام الأول بوصوم . مجلة المجمع العلمي العربي م ٢٦ ج ٤

لسنة ١٩٥١ .

الكتب الأجنبية :

- 249 - Arabic English Lexicon - Edward William Lane . Edinburgh ,
England , 1956 .
- 250 - Encyclopaedia of Islam , vol . I . Leiden , Brill 1960 .
- 251 - Encyclopaedia of Religion and Ethics , Art : Religion of the
Semites . Smith Vol . I .
- 252 - Travels in Arabia Desert , Charles , M . Doughty . London ,
1936 .

الفهارس

- ١ - الاحاديث النبوية .
- ٢ - الاشعار .
- ٣ - الاعلام .
- ٤ - التعابير القرآنية .
- ٥ - المحتوى .

فهرس الاحاديث النبوية

٢٩٦	اذا اكل احدكم طعاماً...
٣٠	دع داعي اللبن...
٢٠٦	شدة الحر...
٣٠٥	عليكم بالشفائين...
٥٥	عيادة المريض...
٣٠٩	من اراد...
٢٠٦	من صبر على حر
٥٥	من قاتل في سبيل الله

فهرس الاشعار

الصفحة	الشاعر	العجز	الصدر
--------	--------	-------	-------

(الالف)

١٣٧	الحارث بن حلزة	غبراءُ	أسدُ
١٢٠	زهير بن ابي سلمى	خلاءُ	بأرزة
٤١	بشر بن ابي خازم	اللقاءُ	بشيبُ
١٩٥	زهير بن ابي سلمى	الظباءُ	فلما أن
١٤٤	عنبرة بن شداد	دواءِ	لئن اك
٧٣	ابو زبيد	بالدهماءِ	فلحا الله

(الباء)

٢٧٧	اللهمي	العربُ	وانا الاخضر
٢٢	عامر بن عمرو	المغيَّبُ	ولا تنقريني
٢١٥	غير منسوب	متغبُ	كأن بها
٤٢	طفيل الغنوي	متحذبُ	فباتوا
١٠٩	المثقب العبيدي	تشيبُ	يطيف
٤٨	امرؤ القيس	منعبُ	فللساق
١٥٥	ذو الرمة	كذبوا	زرق
١٨١	علقمة الفحل	تصوبُ	فلا تعدلي
٣٠٣	عدي بن زيد	شاربها	اذ غبقته
٢٩٦	عنبرة بن شداد	الاجربِ	لا تذكرى

الصفحة	الشاعر	العجز	الصدر
٢٧٤	امرؤ القيس	شعبب	تبصّر
١٨١	غير منسوب	التراب	لما غدوت
١٢٧	انيف بن جبلة	مشذب	بمطع
	(الجيم)		
٦٦	الذابغة الجعدي	تهملج	بأرعن
٢٩٣	الحارث بن حلزة	النااتج	لا تكسع
	(الحاء)		
٦٨	غير منسوب	يطلحوا	ومهمه
٢٦١	عنتره بن شداد	النوائح	تر كنا
٤٥	الذابغة الذبياني	صياحا	كان على
١٥٨	بشار بن برد	القباح	تراخت
	(الدال)		
١٤٢	الاعشى	سود	فما أجشمت
٢٤٧	قيس بن خويلد	حرود	وحبسن
١٥٨	بشار بن برد	سود	وللبخيل
١٠٩	الطرماح	جدده	طوف
١٥٥	الاعشى	اكسادها	تنخلها
٢٣٤	غير منسوب	المبردا	واني
١٥٨	مسلم بن الوليد	سودا	اذا سيل
١٤٣	الكميت بن زيد	سودا	رمى
١٤٣	ابو زبيد	بسود	بدل
٢٦١	عنتره بن شداد	بالصفاد	وعدنا

الصفحة	الشاعر	العجز	الصدر
١٩	دريد بن الصمة	الممدد	فجئت
٢٣٣	القطامي	الصادي	فهنّ
١٥٥	الاعشى	المعمد	ويروي
٨٧	طرفة	اليد	صهابية
٢٩٨	طرفة	تصطد	وان تبغي
١٤٤	عنتره بن شداد	جلدي	يعيبون
١٧٦	طرفة	غدي	فلو كان

(الراء)

١٢٢	طرفة	فقر	واذا تلسني
٢٤	ابن ماوية	زمر	انا آبن
٣٢	طرفة	الذعر	حين نادى
٢٩	طرفة	منقعر	واذا قامت
٨٦	الخطيئة	المور	لمن الديار
٢٨١	حاتم الطائي	صر	او قد
٢٣	عمرو بن الأهم	عور	وقوم
١٤٥	عنتره بن شداد	الفجر	يعيبون
٢٧٧	ذو الرمة	اخضر	اتراب
٢٩٤	عنتره بن شداد	تعار	فمن يك
٢٩٣	الخطيئة	مشافره	قروا
٣٠٣	ابو ذؤيب	سوارها	ترى
٢٦٢	يريد بن عمرو بن الصعق	اسيرا	وضر جنا

الصفحة	الشاعر	العجز	الصدر
٢٧٥	امرؤ القيس	فُتَقِّيرَا	فشبهتهم
١٦٢	غير منسوب	نضرا	انّا ملوك
٢٩١	الاعشى	مشورا	كأن القرنفل
١٦٣	الاعشى	السنارة	وسبتك
١٢١	الاعشى	الفقارا	وَرَأْيَا
٢٥٢	طرفة بن العبد	قفر	تلاعب
٢٤٣	زبان بن صهار الفزاري	حادر	كأنك
١٧٥	عوف بن عطية	أبصر	ومكبل
١٦٣	ظالم بن البراء	النضر	فيامن
٤٥	النابغة الذبياني	الأنفار	قوم
٢٧	طرفة بن العبد	أصفري	يالك
١٦٢	الاعشى	الناضير	والشافعون
٤٨	الخرنق بنت هفان	الزجر	قوم
٢١٤	قيس بن الخطيم	حجر	ونصدق
٨٦	زهير بن ابي سلمى	القطر	لعب
٩٣	غير منسوب	كدر	لو كنت
٣٠٦	النابغة الذبياني	مشتار	كأن
	(السنين)		
١١٧	العجاج	ابلاس	وَجُمِّتْ
٢٣	المرقش الاكبر	حادس	وجيف
١٣٦	ابو زبيد	هموس	فباتوا
٧٥	غير منسوب	نفسا	عنس

الصفحة	الشاعر	العجز	الصدر
٢٢٣	الذابغة الجعدي	نحاسا	تضيقكم
٧٢	غير منسوب	بسا	لا تخزنا
١١٥	غير منسوب	ابلسا	ياصاح
١٣٨	امرؤ القيس	الهمس	أُجدُّ
	(الضاد)		
٢٤	امرؤ القيس	غضيض	اخفضه
	(الطاء)		
٤٩	غير منسوب	منحط	لما سمعت
	(الظاء)		
٢٢٢	امية بن خلف	عكاظ	الامن
٢٢٢	حسان بن ثابت	عكاظ	فتأنيه
	(العين)		
١٢٩	غير منسوب	مهطع	تعبدني
١٢١	غير منسوب	لا تضيع	ان الصلاة
٢٩٥	متمم بن نويرة	لا يخالع	فله ضريب
٢٩٦	الاعرج المعنى	توجع	ارى
١٣٣	رؤبة	مقنعا	اشرف
٤١	الكلحبة العربي	اجمعا	ونادى
٣٠	متمم بن نويرة	افزعا	وقد كان
٥٤	الاعشى	رضعا	حتى اذا
١٧٢	غير منسوب	مجمع	جزى
١٢٨	غير منسوب	ممنع	بمستهطع

الصفحة	الشاعر	العجز	الصدر
١٢٨	يزيد بن مفرغ	السماع	بدجلة
٢٤٩	مالك بن عوف الغامدي	بالضريع	الامنعت
٢٤٤	الحادرة	الاذرع	اودى
١٣٢	الشاخ	الوقيع	يباكرن
	(الفاء)		
٢٥٣	غير منسوب	أعرف	عجيز
٢٩٥	مالك بن نويرة	هاتف	اعلل
١٤٣	غير منسوب	كلف	يزملون
	(القاف)		
١٦٢	غير منسوب	طوالق	يرشح
١٥٧	سويد بن ابى كاهل	ازرق	لقد زرقت
١٥٧	الاعشى	تزرق	كذلك
١٥٥	المزرد بن ضرار	مطرق	وما كنت
٢٩	زهير بن ابى سلمى	فانخرقا	يمري
٢٩٤	غير منسوب	اورقا	ويشربه
٢٦٢	المهلهل بن ربيعة	الوثاق	واليك
٢٤٧	امرؤ القيس	شبرق	فاتبعتهم
١٦٣	امرؤ القيس	يحرق	فقمنا
	(الكاف)		
١٩٨	ابن الدميمة	شمالك	أبيني
	(اللام)		
١٠٤	النابعة الجهمدي	فتمسل	عسلان

الصفحة	الشاعر	العجز	الصدر
٣٢	النابعة الجمهلي	نزل	يستخفون
٢٩١	امرؤ القيس	غلل	كأن
٧٤	عبدية بن الطيب	براطيل	إذا أبس
٢٥٩	الشنفرى	فاذهل	اديم
٢٤٤	غير منسوب	يتصلصل	فما وجد
٨٦	الاعشى	عجل	كأن
٣٠٢	طفيل الغنوي	غول	ولا أحالف
٦٤	غير منسوب	تنهل	لمن زحلوقة
٦٤	الخنساء	تقتالها	قان تك
١٨١	امرؤ القيس	الجبالا	نقلت
١٨٦	الربيع بن زياد	طولا	لئن رحلت
٢٥٤	امرؤ القيس	اغوالا	ايقتلني
١٤١	امرؤ القيس	المحلل	كبكر
٢٩٩	طرفه بن العبد	مخلدي	الا ايهدا
١٤١	امرؤ القيس	كالسجنجل	مهفهفة
١١٣	الاسلع بن سالم	عل	كأن
٤١	دريد بن الصمة	اتغفل	اني اذا
٣٠١	غير منسوب	بالاول	وما زالت
١١٤	جرير	المصطلي	ان الفرزدق
١١٢	غير منسوب	المصطلي	اودى
	(الميم)		
٦٧	الاعشى	يطم	فطار

الصدر	العجز	الشاعر	الصفحة
بمشعلة	جاحم	الاعشى	٢١٤
قد أدبر	ترسيم	علقمة الفحل	٢٦٧
اجزت	هيم	لييد	٢٤٤
الا يا نحلة	السلام	غير منسوب	٢٢٤
وما يندوهم	فنام	بشر بن ابي خازم	٣٧
تجتاف	هيامها	لييد	٢٤٥
كانك	هيمها	غير منسوب	٢٤٣
فبتلك	اكامها	لييد	٦٨
تحيد	الحزما	النابعة الذبياني	٢٥٣
تنحفي	فانهلما	النابعة الذبياني	٢٩
واني	جرمي	ابو خراش الهذلي	٢٥٩
فاذا سكرت	يكلم-	عنرة بن شداد	٣٠٣
كان	يحطم-	زهير بن ابي سلمى	٧٧
متى	صيام	غير منسوب	٣٢
ولقد شربت	المعلم-	عنرة بن شداد	٢٩٩
تنخور	اجسامها	الطرماح	٥٤

(النون)

لمقد نطحناهم	الصورين	غير منسوب	١٩
اراك	الرجوان	القتال الكلابي	١٤٣
يقولون	ودينها	غير منسوب	١٥٦

الصفحة	الشاعر	العجز	الصدر
١٤١	عمرو بن كلثوم	تهونا	على آثارنا
٢٩٨	عمرو بن كلثوم	الاندرينا	الاهبي
٩٣	عمرو بن كلثوم	طينا	وانا الشاربون
٣٨	ذو الاصبغ العدواني	الهون	عف
٢٤٦	لييد	الكثبان	يزرع
١٤٥	عنتره بن شداد (الياء)	العيون	وما وجد
١٥٤	سحيم	عاريا	رأت قتباً
٢٣٤	امرؤ القيس	ريا	لعمرك
١٤٥	سحيم	بسواديا	فلو كنت
٢٣٢	غير منسوب	أتي	تبشري

فهرس الاعلام

٣٠١ ، ٢٤٧ ، ٢٤٢ ، ٢٢٧ ، ٢٢٢ ، ٢١٢

ابن فارس ٧ ، ٢٢ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٥٣ ،

٨٩ ، ٩١ ، ٩٤ ، ١١٦ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ،

١٦٤ ، ١٩١ .

ابن الفقيه ١٤٢ .

ابن قتيبة ٧ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٨٠ ،

٢١٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ،

٢٧٨ .

ابن الكلبي ١٠٨ .

ابن ماوية ٢٤ ، ٢٥ .

ابن المجاور ٣٠٤ .

ابن مسعود ٨٧ ، ٨٣ .

ابن منظور ٢٩ ، ٣٠ ، ١٠٤ ، ١٢٨ ،

١٢٩ ، ١٤٢ ، ١٥٠ ، ٢٧٨ .

ابن النديم ١٩٤ .

ابن هشام ٢٧ .

ابو تمام ١٧٢ .

ابو جهل ٢٥١ ، ٢٥٢ .

ابو حاتم الرلزي ٢١٢ .

(أ)

ابراهيم السامرائي (الدكتور) ٨ ، ١٢ ، ٢٠ ،

ابن الاعرابي ٢٢ ، ٩٣ ، ١٢٥ ، ١٦١ ،

١٦٢ ، ١٨٠ .

ابن الاثير ٢٠ ، ١٩٥ .

ابن بري ١٢٧ .

ابن جني ٤٠ .

ابن حبان ٢٦٣ .

ابن خلدون ٦ ، ١٧١ .

ابن دارة ١٧٢ .

ابن دريد ٦٢ ، ٦٣ ، ٢٩٢ .

ابن الدمينة ١٩٧ .

ابن رسته ٦ .

ابن السكيت ٧٢ ، ١٦١ .

ابن سيده ٤٧ ، ١٤٩ .

ابن عباس ١١ ، ٤٤ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٨ ،

٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩١ ،

١٠٣ ، ١١١ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ،

١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٦٠ ، ١٨٤ ،

الاشعث بن قيس ١٧٥ .
 الاعرج المعنى ٢٩٦ .
 الاعشى ١٤٢ ، ١٢١ ، ٨٦ ، ٦٧ ، ٥٤ ، ١٦٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٢٩١ .
 الاصمعي ١٧٩ ، ١٣٣ ، ٩٦ ، ٨٠ ، ٧٨ ، ١٩٨ ، ٢٣٢ ، ٢٤٥ ، ٢٥٣ .
 أكرم بن صيفي ١٧٠ .
 امرؤ القيس ١٦٣ ، ٤٧ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ١٦٣ ، ٢٥٤ ، ٢٤٧ ، ٢٣٣ ، ١٨١ ، ١٤١ ، ١٣٧ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٩١ .
 امية بن خلف ٢٢٢ .
 انيف بن جهلة ١٢٧ .
 (ب)
 بجير بن عبد الله العامري ٢٦٢ .
 البخاري ١٥٤ .
 البسوس ١٥٣ .
 بشار بن برد ١٥٧ ، ١٥٨ .
 بشر بن ابى خازم ٣٧ ، ٤١ .
 بشر بن عمرو بن مرثد ٤٨ .
 بلال الحبشي ٢٢٢ .
 بنت الشاطىء ٨٤ ، ٩٠ .
 بنو بكر بن وائل ١٨٢ .

ابو حنيفة الدينوري ٨٩ ، ١٦١ ، ٢٦٢ ، ٣٠٣ .
 ابو ذؤيب ٣٠٣ .
 ابو زيد الطائي ٧٣ ، ١٣٦ ، ١٤٣ .
 ابو زيد الانصاري ٣٥ ، ٣٧ .
 ابو عبد الرحمن بن سهل (احمد بن سهل) ١٢٤ .
 ابو عبيد القاسم بن سلام ٣٥ ، ١٢٤ ، ١٢٥ .
 ابو عبيدة ٦ ، ١٦ ، ١٨ ، ٤٥ ، ٥٣ ، ٦٢ ، ٧٢ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ١٠٤ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٤٦ ، ١٨٥ ، ٢١٥ ، ٢٣٨ ، ٢٥٤ ، ٣٠١ .
 ابو عثمان المازني ٤٨ .
 ابو محجن الثقفي ٢٦٢ .
 ابو مسحل (عبد الوهاب بن حريش) ١٢٤ .
 ابو الهيثم ١٨ ، ٣٧ ، ١٣٧ .
 ابليس ١١٦ .
 الاحوص ٢٣٤ .
 الاخفش ٨٦ .
 الازهري ٢٣ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ١٤٢ ، ١٧٩ ، ٢٦٤ .
 الاسلام بن سالم الضبي ١١٣ .

جواد علي (الدكتور) ٣٠٤ .
الجواليقي ٢١ .
الجوهري ١٩ ، ٨٦ ، ١١٦ ، ١٣٣ ،
١٣٥ ، ١٧٩ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ٣٠٤ .

(ح)

حاتم الطائي ٢٨١ .
الحادرة ٢٤٣ .
الحارث بن حنزة ١٣٧ ، ٢٩٣ .
حام (ابن النبي نوح) ١٤٧ .
حسان بن ثابت ٢٢٢ .
الحسن البصري ١٦ ، ١٨ ، ٢٤٧ .
الحسن المؤدب ١٦٠ ، ١٦١ .
حسين نصار ١٢ .
الخطيئة ٨٦ ، ٢٩٣ .
حنين بن اسحاق الطبيب ١٥٠ .

(خ)

خالد القسري ١٥٦ .
خالد بن سنان ٩٧ ، ٩٨ .
الخرنق بنت هفان ٤٨ .
الخطابي ٢٠٣ .
الخطيب البغدادي ١٦٠ .
الخفاجي ٢١ .
الخليل بن احمد ٢٣ ، ٢٤ ، ٤٠ ، ٤٤ ،

بنو تغلب ١٨٢ .
بنو خلف ٢٧٨ .
بنو سلاءان ١٧٦ .
بنو سليم ٩٧ .
بنو لؤي ٢٢٢ .
بنو مازن ١٧١ .
بنو مخزوم ٩٧ .
بيربي ٩٦ .

(ت)

تأبط شرأ ٢٤٨ .
القسري ٧ .

(ث)

ثعلب ٨٧ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٤٩ ، ١٩٠ ،
٢٣٤ .
ثمود ٣٤ .

(ج)

الجاحظ ٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٢٦ ،
١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٥٣ ، ١٨٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ،
٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٧٩ .
جبريل ١٥٤ .
جبرير ١١٤ .
جساس ١٨٢ .
جميل سعيد (الدكتور) ٨ ، ١٢ ، ٢٥٧ ،

الزخشي ١١، ٤٢، ٤٦، ٤٩، ٥١، ٥٣،
 ٦٣، ٧٣، ٨٧، ١٠٤، ١١٣، ١١٦،
 ١٢٨، ١٣٥، ١٤٠، ١٥٢، ١٥٤، ١٦٣،
 ١٧٩، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٤، ٢١٥، ٢١٨،
 ٢٣١، ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٨٩، ٣٠١،
 زهير بن ابي سلمى ٢٩، ٧٧، ٨٦،
 ١٢٠، ١٩٥،
 (س)
 السجستاني ٧، ٣٥، ٤٤، ٤٦، ٧٣،
 ٢١٥،
 سحيم عبد بني الحسحاس ١٤٥،
 السمهودي ٩٦، ٩٨،
 سمويل ١٨٦،
 سويد بن ابي كاهل ١٥٧،
 سيويه ٣٥،
 السيد الحميري ١٢٨،
 سيد قطب ٩،
 السيوطي ٢١،
 (ش)
 شداد بن معاوية العبسي ٢٩٤،
 الشراوي ٩٦،
 الشريف المرتضى ٧، ١٢٣، ١٢٤،
 شليفر ٩٦،

٤٦، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٤٩، ١٨٦،
 ٢١٦،
 الحنساء ٦٤،
 (د)
 الدجال ١٦،
 دريد بن الصمة ١٨، ٤١،
 (ذ)
 ذو الاصبغ العدواني ٣٨،
 ذو الرمة ١٥٥، ٢٧٧،
 ذهل بن مالك ١١٣،
 (ر)
 الرازي ٧،
 الراغب الاصفهاني ٤٧، ٨٠،
 الربيع بن زياد العبسي ١٨٦،
 الربيع بن سليمان ٧٤،
 ربيعة بن مقروم ٢٤٤،
 رؤبة ١٣٣،
 رؤبة بن رومانس ٢٦٢،
 (ز)
 زبان بن صبار الفزاري ٢٤٣،
 الزجاج ٤٩، ٧٢، ٨١، ٨٥، ١١٢،
 ١٨٣، ١٥٠،
 زرادشت ٢٠٤،

عباس بن شراحبيل العبدى ١٥٣ .
 عبد الجبار بن احمد (القاضى المعتزلى)
 . ٢٥١ ، ١٨٥
 عبد الرحمن بن عوف ٢٢٢ .
 عبد السلام هارون ٢٠ ، ٢٤ .
 عبد الملك بن مروان ٢٧٧ .
 عبدة بن الطيب ٧٣ .
 عبس ٩٧ .
 عتبة بن ابى سفيان ١٢١ .
 العجاج ١١٥ ، ١١٧ .
 عدي بن زيد ٣٠٣ .
 عرام ٢٤٣ .
 عزرائيل ١١٦ .
 علقمة الفحل ٤٧ ، ١٨١ ، ٢٦٦ .
 علي بن ابى طالب ١٢٣ ، ٢٣٤ .
 عمر بن الخطاب ٥ ، ١٢٣ ، ١٥٥ .
 عمرو بن الاهتم ٢٣ .
 عمرو بن كلثوم ٩٣ ، ١٤١ ، ٢٩٨ .
 عمرو بن هند ١٠٩ .
 عميرة بن شداد ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٦ ،
 . ٢٦١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ .
 عوف بن عطية ١٧٥ ، ١٨٠ .
 عميد الله بن زياد ١٢٨ .

الشماخ ١٣٢ ، ١٥٥ .
 الشنفرى ١٧٦ ، ٢٥٨ .
 (ص)
 صحار العبدى ١٥٣ .
 (ط)
 الطبرى ٧ ، ١١ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٦٢ ، ٦٦ ،
 ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٨ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٢٨ ، ١٥٠ ،
 . ١٦٠ ، ١٨٤ ، ٢٠٢ ، ٢٤٥ .
 طرفة بن العبد ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٤٨ ،
 ٨٧ ، ١٢٢ ، ١٧٦ ، ٢٥٣ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ،
 الطرماح ٥٤ ، ١٠٩ .
 طفيل الغنوى ٤٢ ، ٣٠٢ .
 الطوسى ٢٧ ، ٥١ ، ٦٦ ، ١٦٠ ، ١٨٤ ،
 . ٢٩١
 طي ١٧٢ .
 (ظ)
 ظالم بن البراء ١٦٣ .
 (ع)
 عمار بن ياسر ٢٩٧ .
 عائشة ٣٤ ، ١٨٩ ، ٣٠٥ .
 عامر بن صعصعة ٢٦٢ .
 عامر بن الضرب العدوانى ١٧٠ .
 عامر بن الطفيل ٢٣٣ .

الكهيت بن زيد ١٤٣ .
 ليبد ٦٨ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ .
 اللهبي (الفضل بن عباس بن عتبة) ٢٧٧
 الليث بن المظفر ٢٣ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ٢٩٢
 (م)
 ماجوج ١٠٣ .
 مار اغناطيوس ٧٦ ، ٢٢٩ .
 مالك بن عوف الغامدي ٢٤٩ .
 مالك بن نويرة ٣١ ، ٢٩٥ .
 المبارك بن الاثير ١٧ .
 المبرد ٢٤ ، ٨١ ، ٢٧٨ .
 متمم بن نويرة ٣١ ، ٢٩٥ .
 المثقب العبيدي ١٠٩ .
 المنفى بن حارثة ٧٣ .
 مجاهد ١٨٤ ، ١٨٥ .
 محمد (النبي وقد ترد الرسول) ١٦ ، ٥
 ١٧ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٩٨ ، ١٤٨ ، ١٥٤ ، ١٦٠
 ١٧٥ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢٢٤ ، ٢٣٤
 ٢٤٧ ، ٢٥٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ .
 محمد بن مروان ٣١ ، ٢٦٣ .
 الخبل السعدي ٢٥ .
 المرقش الاكبر ٢٣ .
 المزرد بن ضرار ١٥٥ .

غطفان ٧٢ ، ١٧٢ .
 غيلان بن سامة ١٧٠ .
 الفارسي (ابو علي) ٨١ ، ٢١٥ .
 الفراء ١٧ ، ٥٣ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٣٧ ،
 ١٦٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢١٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ .
 فرات الكوفي ٧ .
 الفرزدق ١٥٧ .
 الفضل بن الربيع ٢٥٤ .
 فرعون ٣٤ ، ١١١ .
 فؤاد حسنين ٢٩١ .
 قتادة ٨٥ ، ١٣٢ .
 القتال الكلابي (الحسن بن علي) ١٤٣ .
 قريظ بن انيف ١٧١ .
 القزويني ٦ .
 القسطلاني ١٥٤ .
 القطامي ٢٢٣ .
 قعنب بن عتاب الرياحي ٢٦٢ .
 قيس بن الخطيم ٢١٤ .
 قيس بن زهير ١٥٣ .
 (ك)
 كارادي فو ٢١٠ ، ٢١١ .
 الكلعبة الغريني ٤١ .
 كليب ١٨٢ .

- النجمان بن المنذر ١٠٩ ، ١٥٤ ، ١٨٦ .
 نفظويه ٧٤ .
 نوح (النبي) ٣٤ ، ١٤٧ .
 نوف البكالي ٢٦٣ .
 (ه)
 همام ١٨٢ .
 (ي)
 ياجوج ١٠٣ .
 ياقوت ١٠٨ .
 يزيد بن عمرو بن الصعق ٢٦٢ .
 يزيد بن مفرغ الحميري ١٢٨ .
 اليعقوبي ١٦٩ .
 يونس بن حبيب ٢١٠ .

- مسلم بن الوليد ١٥٨ .
 مصطفى جواد ١٢ ، ٢١ .
 معاوية ١٢١ ، ١٥٣ .
 الفضل بن سلامة ٥٥ .
 مقاتل بن سليمان ٧ .
 المقدسي ٢٨١ .
 موسى (النبي) ١٩٧ .
 المهلهل بن ربيعة ٢٦٢ .
 (ن)
 النابغة الجعدي ٣١ ، ٦٦ ، ١٠٤ ، ٢٢٣ .
 النابغة الذبياني ٢٩ ، ٤٥ ، ٧٠ ، ٢٢٣ ،
 ٢٥٣ ، ٣٠٦ .
 نافع بن الأزرق ١١ ، ٢٢١ .

فهرس التعابير

(الباء)

رداً ٢٤١ (إن جهنم كانت مرصداً ، للطاغين مآباً لابئين فيها احقاباً ، لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً) سورة النبأ ٧٨ : ٢١ - ٢٥ .

برق البصر ١١٨

(فاذا برق البصر ، وخسف القمر ، وجمع الشمس والقمر ، يقول الانسان يومئذ اين المقر) سورة القيامة ٧٥ : ١ - ٥ .

باسرة ١١٩

(وجوه يومئذ باسرة ، تظن ان يُفعل بها فاقرة) سورة القيامة ٧٥ : ٢٤ - ٢٥ .

بُسَّتْ الجبال ٧١ - ٧٥

(اذا رجمت الارض رجا ، وبست الجبال بسّاً ، فكانت هباءً منبثاً) سورة الواقعة ٥٦ : ٢ - ٥ .

يبلس ١١٥ - ١١٨ .

(ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) سورة الروم ٣٠ : ١٢ .

تبييض وجوه ١٣٩ - ١٤٨

(يوم تبييض وجوه ، وتسود وجوه ، فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون . واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) سورة ال عمران ٣ : ١٠٦ - ١٠٧ .

(الثاء)

مثقال ذرة ١٨٧ - ١٩٠

(وما يعزبُ عن ربك من مثقال ذرة في الارض ، ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ، ولا أكبر الا في كتاب مبين)
سورة يونس ١٠ : ٦١ .

(الجيم)

الجحيم ٢١٣ - ٢١٥

(والذين كفروا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم) سورة المائدة
١١ : ٥ .

جراد منتشر ١١٠ - ١١١

(فتولّ عنهم يوم يدع الداعي الى شيء نكُرُ ، خشعاً أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر) سورة القمر
٥٤ : ٦ - ٨ .

جماليات صفر ٢٢٨ - ٢٣٠

(انها ترمي بشرر كالقصر ، كانه جالات صفر) سورة المرسلات
٧٧ : ٣٢ .

الجنة ٢٧٣ - ٢٨٠

جهنم ٢٠٩ - ٢١١

(الحاء)

حبة خردل ١٩٠ - ١٩١

(ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها ، وكفى بنا حاسبين)
سورة الانبياء ٢٠ : ٤٧ .

الحشر ٣٧

(يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) سورة هريم ١٩ : ٨٥ .

الحميم ٢٣٥ - ٢٣٩

(ان شجرة الزقوم طعام الاثيم ، كالمهلل يغلي في (البطون

كغلي الحميم . . .) سورة الدخان ٤٤ : ٤٣ - ٤٩ .

اليحموم ٢٢٣ - ٢٢٤

(واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم ، وظل من

يحموم ، لا بارد ولا كريم) سورة الواقعة ٥٦ : ٤١ - ٤٤ .

(الخاء)

خشعاً ابصارهم ١٣٥ - ١٣٦

(فتولّ عنهم يوم يدع الداعي الى شيء نُكْر ، خشعاً

اصواتهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر) سورة

القمر ٥٤ : ٦ - ٧ .

خشعت الاصوات ١٣٤ - ١٣٦

(ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعاً صفصفا

لا ترى فيها عوجا ولا أمّتا ، يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له

وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا) سورة طه ٢٠ :

١٠٥ - ١٠٨ .

خضر ٢٧٦ - ٢٨٠

(متكئين على رفرف خضر) سورة الرحمن ٥٥ : ٧٦ .

(الدال)

الداعي ٢٨ - ٣٤

(ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا ، فيذرها قاعاً

صفصفا ، لا ترى فيها عوجا ولا أمّتا ، يومئذ يتبعون الداعي

لاعوج له ، وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا)
سورة طه ٢٠ : ١٠٥ - ١٠٧ .

دكت الجبال ٧٦

(فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة ، وحملت الارض والجبال
فدكتا دكة واحدة) سورة الحاقة ٦٩ : ١٣ - ١٦ .

مدهامتان ٢٧٨

(ومن دونها جنتان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ، مدهامتان)
سورة الرحمن ٥٥ : ٦٢ .

الدهان ٧٩ - ٨٢

(فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) سورة الرحمن
٥٥ : ٣٧ .

(الذال)

ذرة ١٨٩ - ١٩٠

(فن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً
يره) سورة الزلزلة ٩٩ : ٨ .

(الراء)

رؤوس الشياطين ٢٥٢ - ٢٥٦

(أذلك خيرٌ نزلنا ام شجرة الزقوم ، انا جعلناها فتنة للظالمين
انها شجرة تخرج في اصل الجحيم ، طلعها كأنه رؤوس الشياطين)
سورة الصافات ٣٧ : ٦٢ - ٦٧ .

رجت الارض ٦١ - ٦٥

(اذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة اذا
رجت الارض رجاً ، وبسّت الجبال بسّاً) سورة الواقعة ٥٦ : ١-٥ .

(الزاء)

الزجرة ٤٥ - ٥٠

(يوم ترجف الراجفة ، تتبعها الرادفة ، قلوب يومئذ واجفة
ابصارها خاشعة ، يقولون إنا لمردون في الحافة . إذا كنا
عظاماً نخرة ؟ قالوا تلك اذا كرة خاسرة فانما هي زجرة واحدة
فاذا هم في الساهرة) سورة النازعات ٧٩ : ٦ - ١٤ .

الزاجرات : ٤٧

(والصفات صفاء ، والزاجرات زجرا) سورة الصفات ٣٧ : ١ - ٢

مزدجر : ٤٩

(ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر) سورة القمر ٥٦ : ٤ .

زرقا ١٤٨ - ١٥٩

(يوم يُنفخ في الصور ، ونحشر المحرمين يومئذ زرقا) سورة

طه ٢٠ : ١٠١ - ١٠٢ .

الزقوم ٢ - ٢٥٢

(ان شجرة الزقوم طعام الاثيم ، كالمهل يغلي في البطون كغلي

الحميم) سورة الدخان ٤٤ : ٤٣ .

زلزلت الارض ٦٣

(اذا زلزلت الارض زلزالها ، واخرجت الارض اثقالها . وقال

الانسان مالها ؟ يومئذ تحدث اخبارها . . .) سورة الزلزلة

٩٩ : ١ - ٤ .

الزنجبيل ٢٩٠ - ٢٩١

(ويطاف عليهم بأنيّة من فضة ، واكواب كانت قواريرا ،

قوارير من فضة قدروها تقديرا ويسقون فيها كأساً كان مزاجها

زنجبيلا ، عينا فيها تسمى سلسبيلا) سورة الانسان ٧٦ : ١٤ .

(السين)

سبعون ٢٦٢ - ٢٦٤

(خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم) سورة الحاقة ٦٩ : ٣٠ - ٣٤ .

سجرت ٩٤

(اذا البحار سجرت) سورة التكوير ٨١ : ٦ ،

السراب ٦٥ - ٦٦

(اعماهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء) سورة النور ٢٤ : ٣٩ .

السمير ٢١٥ - ٢١٩

(كتب عليه انه من تولاه فانه يضلّه ويهديه الى عذاب السمير)

سورة الحج ٢٢ : ٤ .

سقر ٢١٩ - ٢٢١

(سأصليه سقر ، وما أدراك ما سقر ، لا تبقي ولا تذر لواحده)

للشمر) سورة المدثر ٧٤ : ٢٦ - ٢٩ .

سلاسل ٢٦٠

(انا اعتدنا للكافرين سلاسلًا واغلالًا وسعيرا) سورة الانسان

٧٦ : ٤ .

تسود وجوه ١٤٠ - ١٤٨

(يوم تبيض وجوه ، وتسود وجوه ، فاما الذين اسودت وجوههم)

أكرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون . واما الذين

ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) سورة آل

عمران ٣ : ١٠٦ - ١٠٧ .

أساور ٣٠٩ - ٣١٠

(يخلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضرًا)

سورة الكهف ١٨ : ٣١ .

الساهرة ٤٥

(فانما هي زجرة واحدة ، فاذا هم بالساهرة) سورة النازعات

. ١٤ : ٧٩ .

نسيير الجبال ٦٥

(يوم نسيير الجبال وترى الارض بارزة ، وحشرناهم فلم نغادر

منهم احدا) سورة الكهف ١٨ : ٤٦ .

(الشين)

شاخصة ١١٩

(واقرب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا)

سورة الانبياء ٢١ : ٩٧ .

شفاعة ١٧١ - ١٧٤

(واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا تقبل منها

شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون) سورة البقرة: ٤٨ .

انشقت السماء ٨٨

(وانشقت السماء فهي يومئذ واهية) سورة الحاقة ٦٩ : ١٦ .

الشمال ١٩٣ - ١٩٩

(واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم ، وظل من

يحموم) سورة الواقعة ٥٦ : ٤٤ .

الشواظ ٢٢١ - ٢٢٢

(يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) سورة

الرحمن ٥٥ : ٣٥ - ٣٦ .

(الصاد)

صدید ۲۳۹ - ۲۴۰

(واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ، من ورائه جهنم ويسقى من

ماءٍ صديد) سورة ابراهيم ۱۴ : ۱۵ - ۱۶ .

الصور ۱۵ - ۲۱

(ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات والارض الامن

شاء الله وكل أتوه داخرين) سورة النمل ۲۷ : ۸۷ .

الصيحة ۴۳ - ۴۵

(ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ، ما ينظرون الا

صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون) سورة يس ۳۶ : ۴۸ .

(الضاد)

ضريع ۲۴۶ - ۲۵۰

(وجوه يومئذ خاشعة ، عاملة ناصبة ، تصلى ناراً حامية تسقى

من عين آنية ليس لهم طعام الا من ضريع ، لا يسمن ولا

يغني من جوع) سورة الغاشية ۸۸ : ۶۲ .

(الطاء)

طمست ۹۱ - ۹۲

(فاذا النجوم طمست واذا السماء فرجت ...) سورة المرسلات

۷۷ : ۸ - ۱۲ .

(العين)

العدل : ۱۷۸ - ۱۸۳

(واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها

شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون) سورة البقرة ۲ : ۴۸ .

اعمى ١٥١ - ١٥٢

(ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم
القيامة اعمى قال ربي لم حشرتني اعمى ؟ وقد كنت بصيراً ؟)
سورة طه ٢٠ : ١٢٤ - ١٢٦ .

العن ٧٦ - ٧٧

(يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ، ولا يسأل
حميم حمياً) سورة المعارج ٧٠ : ٨ - ٩ .
(الغين)

الغساق : ٢٤١ ، ٢٥٧

(إن جهنم كانت مرصاداً ، للطاغين مآباً ، لا بشئ فيها احقاباً ،
لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً الا حمياً وغساقاً) سورة النبأ
٧٨ : ٢١ - ٢٥ .

الغسلين ٢٥٧ - ٢٥٨

(فليس له اليوم ههنا حميم الاطعام من غسلين) سورة الحاقة
٦٩ : ٣٠٦ .

الغول ٣٠١ - ٣٠٢

(يطاف عليهم بكأس من معين ، بيضاء لذة للشاربين ، لافيهما
غول ، ولا هم عنها ينزفون) سورة الصافات ٣٧ : ٤٧ .

الاعلال ٢٦٠

(انا اعتدنا للكافرين سلاسلاً واغلالاً وسعيراً) سورة الانسان
٧٦ : ٤ .

(الفاء)

تفجيراً ٢٩٠

(عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا) سورة الانسان

٧٦ : ٦ .

الفداء ١٧٤ - ١٧٨

(إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء

الارض ذهباً ، ولو افئدى به اولئك لهم عذاب اليم) سورة

آل عمران ٣ : ٩١ .

الفردوس ٢٧٤

الفراش المبيوث ١١٠ - ١١٤

(يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن

المنفوش) سورة القارعة ١٠٢ : ٢ - ٥ ،

منفطر به ٨٨ - ٩٠

(فكيف تتقون ان كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً السماء منفطر

به ، كان وعده مفعولاً) سورة المزمل ٧٣ : ١٧ - ١٨ :

الفاقرة ١١٩ - ١٢٦

(وجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة) سورة القيامة

٧٥ : ٢٤ - ٢٥ .

فواق ٥٣ - ٥٦

(وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق) سورة

ص ٣٨ : ١٥ .

(القاف)

قتره ١٤٠

(وجوه يومئذ عليها غبرة ، ترهتها قتره ، اولئك هم الكفرة

الفجرة) سورة عبس ٨٠ : ٤٣ .

القصر ٢٢٦ - ٢٢٨

(انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون ، انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب ، انها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر) سورة المرسلات ٧٧ : ٢٩ - ٣١ .

قطران ٢٦٥ - ٢٦٨

(وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد ، سراويلهم من قطران وتغشى وجوههم النار) سورة ابراهيم ١٤ : ٤٨ .

مقنعي ١٣١ - ١٣٤

(ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء) سورة ابراهيم ١٤ : ٤٢ - ٤٣ .
(الكاف)

كثيب مهيل ٧٨ : ٧٩

(يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً) سورة المزمل ٧٣ : ١١ - ١٤ .

انكدرت ٩٢ - ٩٤

(اذا الشمس كورت ، واذا النجوم انكدرت . . .) سورة التكويد ٨١ : ١ - ٢ .

كافور ٢٩١ - ٢٩٢

(انا اعتدنا للكافرين سلاسلًا واغلالًا وسعيراً ، ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا) سورة الانسان ٧٦ : ٤-٦ .

كورت ٩٥

(اذا الشمس كورت) سورة التكوير ٨١ : ١ .

(اللام)

لباسهم ٣٠٨

(يملون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ، ولباسهم فيهاحرير)

سورة الحج ٢٢ : ١٤ - ٢٣ .

لبن ٢٩٢ - ٢٩٨

(مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن ،

وانهار من لبن لم يتغير طعمه) سورة محمد ٤٧ : ١٤ .

(الميم)

مسك ٣٠٤

(ان الابرار لفي نعيم ، على الارائك ينظرون ، تعرف في

وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مخنوم ، ختامه مسك وفي

ذلك فليتنافس المتنافسون) سورة المطففين ٨٣ : ٢٢ - ٢٦ .

تمور ٨٥ - ٨٨

(يوم تمور السماء موراً ، وتسير الجبال سـيراً ، فويل يومئذ

للمكذبين) سورة الطور ٥٢ : ٩ - ١١ .

المهل ٨٢ - ٨٥

(انهم يرونه بعيدا ونراة قريبا ، يوم تكون السماء كالمهل وتكون

الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميا) سورة المعارج ٧٠ : ٧ - ١١ .

المهل ٢٤٠

(وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه ، بشس الشراب

وساعت مرتفقاً) سورة الكهف ١٨ : ٢٩ .

(الواو)

واحدة ٥٢

(وما ينظر هؤلاء الاصيحة واحدة ماها من فواق) سورة ص

٣٨ : ١٢ - ١٥ .

وَرْدًا : ٢٣٠

(يوم نخسر المتقين الى الرحمن وفدا ، ونسوق المجرمين الى جهنم

وردا) سورة مريم ١٩ : ٨٦ .

وردة كالدهان ٧٩ - ٨٢

(فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) سورة الرحمن

٥٥ : ٣٧ .

الموازين ١٨٣ - ١٨٧

(فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه

فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون) سورة المؤمنون ٢٣ : ١٠٣

يوفضون ١١٠

(كأنهم الى نُصِيب يوفضون) سورة المعارج ٧٠ : ٤٣ .

(النون)

انتثرت ٩٤

(اذا السماء انفطرت ، واذا الكواكب انتثرت) سورة الانفطار

٨٢ : ١ - ٣ .

المنادي ٣٤ - ٤٣

(واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب ، يوم يسمعون

الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج) سورة ق ٥٠ : ٤١ - ٤٢ .

ينزقون ٣٠٢ - ٣٠٤

(لا فيها غول ، ولا هم عنها ينزفون) سورة الصافات ٤٧:٣٧

ينسفها ٦٩ - ٧١

(ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا ، فيزورها قاعا

صفصفا . .) سورة طه ٢٠ : ١٠٥ - ١٠٦ .

ينسلون ١٠٣ - ١٠٦

(ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون)

سورة يس ٣٦ : ٥٢ .

نصب ١٠٦

(يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون)

سورة المعارج ٧٠ : ٤٣ .

ناضرة ١٥٩ - ١٦٤

(وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) سورة القيامة ٧٥ :

٢٢ - ٢٣ .

النعيم ٢٣٢

(كلا لو تعلمون علم اليقين ، لترون الجحيم ، ثم لترونها عين

اليقين ، ثم لتستلن عن النعيم) سورة التكاثر ١٠٢ : ٥ - ٨ .

الناقور ٢١ - ٢٨

(فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير ، على الكافرين

غير يسير) سورة المدثر ٧٤ : ٧ - ٨ .

انهار من خمر ٢٩٨ - ٣٠٤

(مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار

من لبن لم يتغير طعمه ، وانهار من خمر لذة للشاربين)

سورة محمد ٤٧ : ١٥ .

انهار من غسل ٣٠٤ - ٣٠٨

(مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن ،
وانهار من لبن لم يتغير طعمه ، وانهار من خمر لذة للشاربين ،
وانهار من عسل مصفى) سورة محمد ٤٧ : ١٤ - ١٥ .
(الهاء)

مهطعين ١٢٧ - ١٣١

فتولَّ عنهم يوم يدع الداعي الى شيء نكر خشعا ابصارهم
مهطعين الى الداعي يقول الكافرون هذا يوم عسر) سورة القمر
٥٤ : ٦ - ٨ .

الهمس ١٣٦ - ١٣٨

(وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا) سورة طه
٢٠ : ١٠٨

الهاوية ٢١١ - ٢١٣

(فاما من خفت موازينه فامه هاوية ، وما ادراك ما هي نار)
حامية) سورة القارعه ١٠١ : ٨ - ١١ .

الهميم ٢٤٢ - ٢٤٦

(ثم انكم ايها الضالون المكذبون ، لا تاكلون من شجر من
زقوم فالثون منها البطون فشاربون عليه من الحميم ، فشاربون
شرب الهميم . .) سورة الواقعة ٥٦ : ٥١ - ٥٦ .
(الياء)

اليمن ١٩٢ - ١٩٩

(يوم ندعو كل اناس بامامهم ، فن اوتى كتابه يمينه فاولئك
يقرأون كتابهم ، ولا يظلمون فتىلا) سورة الاسراء ١٧ : ٧١ .

المحتوى

١٢ - ٥	١ - المقدمة
٥٧ - ١٥	٢ - الفصل الاول : النفير (بعث الناس من القبور)
٩٩ - ٦١	٣ - الفصل الثاني : اضطراب السماوات والارض
١٦٥ - ١٠٣	٤ - الفصل الثالث : صفة الناس يوم القيامة
١٩٩ - ١٦٩	٥ - الفصل الرابع : القضاء بين الناس
٢٦٩ - ٢٠٣	٦ - الفصل الخامس : العقاب بالنار
٣١٠ - ٢٤١	٧ - الفصل السادس : الثواب بالجنة
٣١٥ - ٣١١	٨ - الخاتمة
٣٤٧ - ٣١٦	٩ - المراجع والمصادر
٣٨٢ - ٣٥٠	١٠ - فهارس الكتاب

التصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٤	٢٣	أثابي	أثابي	١٥٨	١	ننلها	تنلها
٣١	١٣	ن أ	إن	١٧٧	١١	لربهم	لربهم
٦٦	١٣	٢٦٧	٢٧	١٨٠	٢٢	قتيبة	قتيبة
٦٧	٥	الهيته	البيته	١٨٦	١٢	بن	ابن
٧٠	٥	الطلية	الطلبية	٢٣٦	٥	صوّر	صوّر
٧٠	٧	بروضة	بروضة	٢٤٣	٨	مطرَد	مطرَد
٧٠	٨	مُلث	مُلث	٢٦٥	٣	لله	لله
٧٥	١٢	وتكون	ويكون	٢٦٧	٢	سيم	ترسيم
٨٣	١٧	العلا	العلاء	٢٧٩		لقد اغفلت الاشارة الى	
٨٩	١٢	ويعكسه	ويعكسه			مصدر النص الاول وهو مأخوذ من فخر	
١٠٥	٤	سبر	سير			السودان : رسائل الجاحظ ١ : ٢٠٤ .	
١٢٥	٦	مشغره	مشفره	٢٩٠	١٥	قواريراً	قوارير
١٣٦	٩	تَسْمَعُ	تَسْمَعُ	١٨٢	١٢	لقد قطعت بعض العبارات	
١٣٨	٢	أجدُ	أجدُ			وصواب النص : ومعناه فداء ذلك والعدل	
١٤٩	٧	الزرق	الزرق			المثل وذلك ان تقول عندي عدل غلامك	
١٥٣	٧	ياأحمر	ياأحمر			وعدل شاتك اذا كانت شاة تعدل شاة	
١٥٥	١٥	زرُق	زرُق			او غلام يعدل غلاماً.	
١٥٥	١٥	جارورتهم	جارورتهم				

Library of



Princeton University.

Princeton University Library



32101 074320738